

3 كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير



كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

4 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

**الأهداء الى كل عربي يرفض أن يكون ظالما بقدر ما يرفض أن
يكون مظلوما**

نبذة تاريخية

من الثابت تاريخيا ان مدينة كركوك تم بناؤها من قبل اللولويين، أو من قبل الخوريين، وهما شعبان أديا دورا اساسيا في تكون الشعب الكردي الحالي، كما انهما أقدم شعبين معروفين سكنا كردستان تربطهما صلات حضارية و لغوية قوية. ورد اسم اللولويين، الذين سكنوا سهلي شهرزور وزهاو مع امتداداتهما، ورد واضحا في الكتابات القديمة التي تعود الى آلاف الثالث قبل الميلاد. وكما نلاحظ لاحقا ان كركوك دخلت ضمن إيالة شهرزور إداريا ردحا من الزمن، أي ضمن الوطن الاصلي للولويين، كما ارتبطت بها سياسيا طيلة التاريخ القديم و الوسيط و الحديث.

ومما يعزز احتمال كون اللولويين بناء مدينة كركوك الاولين هو ان اسمهما لم يرد في الكتابات السومرية و الأكديّة ضمن أسماء المدن التي قام ملوك سومر و أكد بتشبيدها، اذ كان كل ملك من هؤلاء الملوك يسجل عادة اسم اي مدينة تؤسس في عهده، وبأمره. بل تتوفر نصوص سومرية تؤكد صراحة ان السوباريين وهم ايضا من شعوب كردستان الاصليين عاصروا اللولويين و ادوا دورا مشابهها لدورهم في تكوين الكرد

6 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الحاليين، كانوا يعيشون خارج بلاد سومر¹. من الضروري ان نشير هنا الى ان معظم المدن القديمة الشمالية التي تمتد الى الشرق من نهر دجلة قد تم تشييدها من قبل شعوب المنطقة الاصليين، أي من قبل شعوبيا زاغروس، او من قبل الشعوب الاربية، بينما كانت الشعوب السامية تبني مدنها عادة غربي دجلة و امتداداتها، اذ أراد حكام تلك الشعوب ان يكون النهر الكبير احد ادوات صد هجمات شعوب زاغروس والشعوب الآرية.

وردت اشارات صريحة الى مدينة كركوك الحالية في النصوص المسمارية التي تعود الى العهد الأكدي، مما يفترض تأريخيا ان يكونت اللولويين هم بناء المدينة. و من الثابت تأريخيا ان الخوريين هم الذين كانوا يقطنون كركوك و توابعها في الألفين الثاني و الأول قبل الميلاد، و يومذاك كانت كركوك نفسها تعرف باسمين -ارابخا و اليلاني، أي مدين الالهية. و الخوريون يؤلفون شعبا " انحذر منذ نهاية الالف الثالث قبل الميلاد من الجبال الشمالية، ولعب دورا مهما في تأريخ الشرق الأدنى و سياسته و ثقافته في الألف الثاني قبل الميلاد"². و مما له مغزاه بهذا

¹ حول ذلك ينظر: الدكتور فوزي رشيد، سكان جبال زاغروس و كردستان القدماء، في كتاب "تأريخ الكرد القديم" (تأليف مشترك مع الدكتور جمال رشيد)، من منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة صلاح الدين، 1990، ص

41، و للتفصيل عن الخوريين و السوباريين و علاقاتهما ينظر:

I.Gelb, Hurrians and Subarians, Chicago, 1944.

² جان بوتيرو، بلاد الرافدين، الكتابة، العقل، الالهة، ترجمة البير أبونا، مراجعة الدكتور وليد الجادر، بغداد، 1990، ص 89.

7 كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير

الصدد ان اعمال بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، ولا سيما في تل شمشاره الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من هضبة دوكان، قرب مضيق دوكان تحديدا، اسفرت عن اكتشاف آثار خورية يعود زمنها الى الالف الثاني قبل الميلاد، من بينها حوض آجره من النوع المستخدم في نوزي³. و نوزي هو الاسم الذي أطلقه الخوريون انفسهم على مدينة كركوك⁴، التي اكتشفت فيها لوحات مدونة باللغة الأكديّة، تتضمن معلومات تاريخية مهمة عن الخوريين، وعن حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية⁵. وقد وجدت هذه الآثار بالتحديد في تل يورغان تيه التي تبعد عن كركوك الحالية مسافة ثلاثة عشر كيلومترا، والذي اتخذ مقبرة فيما بعد⁶، وتقدر بعض المصادر عدد الألواح المكتشفة هنا بأكثر

³ البروفيسور هارولد اينفلوت، بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، 6- "سومر" (مجلة)، بغداد، الجزء الاول والثاني، المجلد الثالث عشر، 1957، ص 197-198.

⁴ G. Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter Darmstadt, 1982, P. 10.

⁵ Seton Liloyd, Twin Rivers, Oxford, 1943, P. 46 "Sovets-kaya Istorcheskaya Encyclopedia", Vol. 7. Moscow, 1965, P. 289.

⁶ "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 6, Moscow, 1965, pp. 178-179.

8 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

من خمسة الاف⁷، مما يؤشر عمقا حضاريا كبيرا حسب مقاييس عصره دون شك.

ومما له مغزاه ايضا ان الخوريين، الذين حكموا بلاد اشور على مدى قرن من الزمان، هم الذين شيّدوا، دون ريب، عددا من توابع كركوك اهمها طوزخورماتو التي تحمل اسمهم حتى اليوم. فان اسم المدينة الأصلي هو خورماتو، المشتق مبنى من كلمتي خور، أي الخوريين، وماتو التي تعني المدينة في الأكديّة، فيكون معنى الاسم مدينة الخوريين. و ظل خورماتو متداولاً في العصور الاسلاميّة⁸. ولغاية اواخر القرن التاسع عشر دون ان يفقه الناس معناه الأصلي، وقد ظنوا خطأ ان الاسم يشير الى خورما (التمر) و تو (التوت) اللذين اشتهرت منطقتة طوزخورماتو بانتاجهما يومذاك، فلقد اشار الرحالة الى وجود اشجارهما هناك بكثرة⁹. وخورما وتو كلمتان متداولتان في اللغة الكردية منذ قديم الزمان. فالاول منهما من الكلمات الشائعة في اللغات الارية القديمة، اذ وردت بصيغ متقاربة في البهلوية والبازند (تفسير الافيستا) و

⁷ سيتون لوريد، بلاد الرافدين، ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص 206.

⁸ "التاريخ الغياثي"، دراسة و تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد، /1975، ص 90.

⁹ C. J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan., Vol. 1, London, 1836, PP. 26-27.

9 خُرُوجُكَ وَ تَوَابِعُهَا حَكْمُ التَّأْرِيخِ وَ الضَّمِيرِ

الارمنية وغيرها¹⁰. وكلمة تو بمعنى (التوت) دخلت اللغات نفسها، بما فيها الكردية، منذ أقدم الأزمنة عن طريق الارامية و السريانية¹¹. و أخيرا أضاف أهل المدينة، عن جهل كذلك، اسم منتج آخر اشتهرت في منطقتهم ايضا، وهو (دوز) الذي يعني الملح في التركية، الى اسمها ليصبح دوزخورماتو الذي تحول في التداول الى طوزخورماتو.

وبقي الاسم متداولاً بصيغته الاولى، أي خورماتو، حتى مطلع القرن التاسع عشر، فقد سجل الرحالة الانكليزي جيمس بكنغهام في العام 1816 الاسم هكذا¹²، وكما ورد لدى المنشئ البغدادي في العام 1820 بصيغة مقاربة¹³.

و من المفيد ان نشير هنا الى ان اسماء العديد من المواقع الخورية وغيرها في كردستان لاتزال تحتفظ حتى اليوم بصياغاتها القديمة، منها، على سبيل المثال، اسم قرية شمشارة قرب دوكان التي كان يطلق عليها قديما اسم شوشرا، الموقع الذي تم اكتشاف اثار خورية كبيرة فيه قبل انت تغمره مياه السد.

¹⁰ دكتور محمد معين، برهان قاطع، جلد دوم، تهران، 1331 شمسي، ص 738.

¹¹ المصدر نفسه، الجزء الاول، طهران، 1330، ص 527.

¹² جيمس بكنغهام، رحلتي الى العراق سنة 1816، ترجمة سليم طه التكريتي، الجزء الأول، بغداد، 1968، ص 156، 168.

¹³ "رحلة المنشئ البغدادي"، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي، بغداد، 1948، ص 54 – 56.

10 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

و ينبغي ان نشير ايضا الى الصلة القوية بين الخوريين و الاربيين الذين لاشك في ان الخوريين امتزجوا بهم، فكان الاربيون يؤلفون بين الخوريين طبقة ارسقراطية قائدة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، أي في الوقت الذي امتلك فيه الخوريون "عمليا كامل شمال العراق". وعلى هذا الاساس كان يطلق على المملكة الخورية ايضا اسم "مملكة ميتاني"، و الميتانيون كنية مشتقة كانت تطلق على الأريين¹⁴.

ارتبط اسم شعب زاغروسي اخر باسم كركوك. فمن الثابت من النصوص السمارية ان الغوتيين، الذين ادوا نفس دور اللولويين و الخويين و السوباريين، في تكوين الشعب الكردي لاحقا، كانوا يعيشون في الألف الثالث قبل الميلاد في المنطقة الواقعة جنوب سهل شهررزو¹⁵، ووصلوا كركوك وتوابعها، بل انهم اخذوا من كركوك "مركزا لهم، وقد اصبحت المدينة تعرف يومذاك باسم جديد هو اراپخا (ARAPKHA)¹⁶، ولقد اعترف السومريون، ومن بعدهم الأكديون

¹⁴ للتفصيل عن ذلك ينظر: جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان

حسين، مراجعة الدكتور فاضل عبدالواحد علي، بغداد، 1982، ص 317-319.

¹⁵ عن علاقة الطوتيين بالکرد تنظر: "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol., 4 Moscow, 1963, PP. 913-914.

¹⁶ الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص 53.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 11

بمملكة الكوتيين في إطار شبه المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر ديالى مع عاصمتها في ارباخا¹⁷ .
يؤيد السر سدني سمث في كتابه "تأريخ اشور القديم حتى الالف الأول قبل الميلاد" الحقيقة ذاتها حين كتب ان قلب المملكة الكوتيه " كان المربع الواقع بين نهري الزاب الاسفل ودجلة، وبين جبال السليمانية ونهر ديالى، وكانت عاصمتها ارباخا تقع حيث مدينة كركوك الان". وكما تؤكد الواح بابل كانت بلاد الكوتيين تؤلف دولة مستقرة، و ان سكانها كانوا متخذين يحكمهم ملك واحد منذ اواسط الالف الثالث قبل الميلاد. و يبدو ان السومريين و الأكديين و الاشوريين كانوا في قتال مستمر مع الكوتيين "بوضع دفاعي اكثر منه هجومي" فمن الثابت تاريخيا ان الكوتيين كانوا يغيرون على اطراف الامبراطورية الأكديّة القوية، كما انهم حكموا منطقة بابل مدة تجاوزت القرن من الزمان (اواخر الالف الثالث قبل الميلاد) ونقلو منها، ومن مدن سومر كنوزهم الى عاصمتهم ارباخا. ويبقى اسم ارباخا متداولاً، وحرف حديثاً الى (ارافا- عرفه)، واطلق على حي العمال الجديد في منطقة شركة نفط كركوك¹⁸ .

¹⁷ "Cambridge Ancient History", Cambridge, 1924, Vol. I, P. 423; Vol. III, P.223.

¹⁸ "سورمر"، بغداد، المجلد الثامن، الجزء الأول، 1952، ص 275.

12 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

غدت هذه الحقيقة التاريخية امرا مسلما به حتى في الكتب المنهجية العربية العامة، ورد في كتاب "الجغرافية السياسية" من تأليف عدد من الاساتذة الجامعيين المصريين في العام 1961، مانصه بهذا الخصوص:

"الاكرد سلالة منحدره من أصل شمالي.. وكانت لهم دولة قديمة عاصمتها ارابخا ARAPKHA، هي كركوك الحالية"¹⁹. و من المفيد ان نشير ايضا الى ان سكان بلاد ما بين النهرين القدماء كانوا في الألف الأول قبل الميلاد يطلقون اسم الكوتيين على جميع الشعوب التي كانت تقطن الى الشمال والشرق من بابل، بما في ذلك الميديون²⁰. الذين انتقلوا يومذاك الى تلك المنطقة ليتفاعلوا مع بقايا شعوب زاغرون، و يؤدوا الدور الأخير في بلورة الشعب الكردي.

يلخص الاستاذ الجامعي العراقي المعروف الدكتور فوزي رشيد في مبحثه المعنون "سكان جبال زاغروس وكردستان القدماء" علاقة اصول الكرد تاريخيا بكركوك على النحو الآتي:

¹⁹ الدكتور دولت احمد صادق وآخرون، الجغرافية السياسية، الطبعة الثانية، القاهرة، 1961، ص 458.

²⁰ "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 4. P. 914.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 13

"وهذه الحقيقة²¹ لاتنفي العلاقة القوية التي كانت تربط اللولويين بالسكان القدماء الآخرين لكردستان كالكوتيين، او الخوريين، لغويا كانت ام حضاريا لكردستان كالكوتيين، او الخوريين، لغويا كانت ام حضاريا، و خاصة لو عرفنا بان مركز هؤلاء كان في مناطق قريبة بعضها عن البعض الآخر، كمستوطنات نوزي الخورية، و ارباخا الكوتيه، و بابيت اللولوبية، و جميعها حوالي كركوك الحالية²².

و للتأكيد على مدى تقارب الأصول الكردية القديمة هذه فيما بينها نشير الى ان المصادر الاشورية التي تعود الى الالفين الثاني و الأول قبل الميلاد كانت تطلق على الخوريين اسم السوباريين الذين كانوا يؤلفون في الألف الثالث قبل الميلاد شعبا قائما بذاتهم على الرغم من قرابتهم اللغوية والاجتماعية والحضارية مع الخوريين و اللولويين و غيرهم من شعوب زاغروس²³.

اختلف موقف الاشوريين من كركوك و توابعها من موقف اللولويين و الخوريين و الطوتيين منها، فانهم دمروا المدينة في أواسط الالف

²¹ يقصد تحول الصيغة الأكديّة القديمة لاسم لولويو الى لولومي في الصيغة الاشورية.

²² الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص 49.

²³ M. Diakonov, Subaretsi, - "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 13, Moscow, 1971, P. 905, Khurriti, Vol. 15, Moscow, 1974, PP. 690-691.

14 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الثاني قبل الميلاد²⁴ وذلك في خضم صراعهم مع شعوب زاغروس اولا، ومن ثم مع الآريين، ولاسيما الميديين منهم فيما بعد. وبعد اعادة بنائها اتخذها الاشوريون في الحقبة الممتدة بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد حصنا لصد الميديين²⁵، الا ان ذلك لم يجديهم نفعا، فقد تمكن الميديون من القضاء على الدولة الاشورية، واحتلال عاصمتها نينوى سنة 612 ق. م.²⁶ على اثر ذلك دخلت كل المنطقة الممتدة الى الشرق من دجلة شمالي بغداد ضمن الدولة الميديية المترامية الاطراف، بما في ذلك كركوك و اربيل وتوابعهما. وقد غدا هذا الامر ايضا حقيقة تاريخية مسلمة تقرها المصادر والمراجع على مختلف مشاربها. ورد في مصدر عراقي رسمي معتبر²⁷ الاتي نصه بهذا الصدد:

²⁴ "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 7, Moscow, 1965, P. 289.

²⁵ J. H. Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, Leyden- London, 1927, P. 1027.

²⁶ البروفيسور فلاديمير مينورسكي، الاكراد احفاد الميديين، ترجمة و تعليق الدكتور كمال مظهر، -"مجلة المجمع العلمي الكردي"، بغداد، المجلد الاول، العدد الاول، 1973، ص 556-557.

²⁷ نقصد به "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936" وهو مصدر موسوعي ضخيم صدرت "تحت عناية واشراف وزارة الداخلية" في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية، يقع في 1220 صفحة من الحجم الكبير، اعدته مجموعة من ابرز الباحثين

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 15

"الماديون هم من الشعب الآري الذي كان يسكن البلاد التي يسميها المتأخرون بلاد شيروان و أذربيجان، وقد نهض بهم الحظ فعدوا تحالفا مع بختنصر الكلداني، فحاربوا الآشوريين من الشمال، كما ان الكلدان حاربوهم من الجنوب الى ان قوضوا تلك الدولة القوية الشكيمة، واستولوا على تركتها. وكانت النتيجة ان انفرد الكلدان بالسيادة في الجنوب و الماديون في الشمال. فاصبح في العراق شعبان يسودانه، الكلدان وهم من الشعب السامي، والماديون وهم من الشعب الآري"²⁸.

بعد سقوط الدولة الميديّة في العام 549-550 قبل الميلاد ظهر اقرباؤهم الفرثيون فوق المسرح السياسي للمنطقة. ففي حدود الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد حكمت اسرة سكاثية اديابين (حدياب) وكانت كركوك عاصمة حكامها الذين كانوا تابعين للأمبراطورية الفرثية، و كانت اربيل تدخل بدورها ضمن مملكتهم، وتؤلف احدى قواعدهم²⁹. ورد في مصدرين رسميين عراقيين، صدر الاول منهما في العهد الملكي، وصدر الثاني منهما في العهد الجمهوري، ورد ما مفاده:

العراقيين المعروفين يومذاك برئاسة محمود فهمي درويش. صدر الدليل نفسه في مجلد مستقل باللغة الانكليزية في السنة ذاتها.

²⁸ "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، بغداد، 1936، ص 64

²⁹ E. Herzfeld, Archaeological History of Iran, Oxford, 1935, p.8.

16 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

في العهد سيطرة الدولة الفرثية (141 قبل الميلاد- 227 للميلاد) كان العراق يتكون من اربع امارات، الاولى امارة ميسان، والثانية امارة الحضر في الشمال الغربي، والثالثة امارة حدياب وقاعدتها اربيل، والرابعة امارة الحيرة العربية³⁰.

حسب المؤرخ الارمني المعروف موسيس (موفسيس) الخوريني Moses of Khurene الذي عاش في القرن الخامس - بداية القرن السادس، كان الساسانيون، اقرباء الميديين، يطلقون في عهده على المنطقة اسم گهمهركان (Gamarkan) على المنطقة التي تقع كركوك في قلبها، والتي تمتد حدودها في الشمال الغربي الى حد الزاب الصغير، وفي الجنوب الغربي الى جبل حميرين، وفي الجنوب الشرقي الى نهر ديالى، وفي الشمال الشرقي الى زاگروس³¹. وقد خضعت المنطقة نفسها للحكم الساساني، كما ان جانبا كبيرا من آثار كركوك وتوابعها تعود الى ذلك

³⁰ "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، ص 68-69 × "دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960 دائرة معارف علمية، تاريخية، جغرافية، اجتماعية، صناعية، زراعية، تجارية"، تأليف محمود فهمي درويش والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسه، صدر تحت اشراف وزارة الارشاد بقرار من مجلس الوزراء في 17 كانون الاول 1960، بغداد، 1961، ص 178.

³¹ J. H. Kramers, Op. Cit., P. 1027.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 17

العهد³². ومن المفيد ان نشير الى ان رشيد ياسمي، الاستاذ السابق بجامعة طهران، يعيد اصل الساسانيين الى الأكراد³³.

اطلقت المصادر السريانية على كركوك وتوابعها اسم باث گهرمه (Beth Garne)، و أطلق السلوقيون على القلعة التي شيدها في كركوك لاحقا اسم سهربهگ - سهربوگ (Sarbug)³⁴. و مما يجلب الانتباه ان في اللغة الكردية الحالية كلمات حية قريبة جدا من جميع هذه الأسماء الساسانية والسريانية والسلوقية. فان كلمة گهرمهكان قريبة من كلمة گهرميان التي يطلقها الكرد الحاليون على الأصقاع الحارة من بلادهم، بضمتهها كركوك و توابعها. و لا يستبعد ان تكون سهربهگ كلمة مركبة، فان سهر هي الرأس في الكردية، و بهگ هي الكبير فيها، والاله في بعض اللغات الارية، فيحتمل الاسم بذلك معنى الاله الرئيس.

كوركوك و توابعها في ظل الاسلام والخلفاء

³² C. J. Rich, Op. Vol. I, PP. 10-25, 30.

³³ رشيد ياسمي، كرد و پيوستگی نژادی و تاریخی او، تهران ص 165-174؛ مجلة "ههتاو"، اربيل، الاعداد 133-142، حزيران- تشرين الاول 1958 (سلسلة مقالات بعنوان "الساسانيون كانوا كردا لا فرسا" بقلم گيو موكرياني).

³⁴ J. H. Kramers, Op. Cit. P. 1027.

18 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بعد ان فقد الكرد دولتهم، و تقلص دورهم الحضاري في ظل الدول التي توالى حكمها على كردستان اثر سقوط الميديين، كان امرا طبيعيا ان يرحبوا بالاسلام باعتبار ذلك وسيلة للانتقال الى وضع افضل مما كانوا فيه. دشن ذلك اول احتكاك مباشر، و واسع للكرد و كردستان، بما في ذلك كركوك و توابعاها، بالعرب - حملة راية الدين الجديد.

لم يمس الاسلام الكيان القومي للكرد داخل وطنهم، بل انه ساعد على تعزيز ذلك الكيان بوجه الشعوب، والانظمة غير الاسلامية المتاخمة لكردستان، ولاسيما في طرفها الشمالي. يقول باحث محايد، مخلص للاسلام، ان الخلفاء لم يحاولوا "التدخل في الكيان المستقل للاغوات و البكوات الاكراد"³⁵ الذين يقصد بهم امراء الكرد ذلك الحين. يكمن في هذا، دون شك، احد الاسباب الاساسية التي دفعت الكرد الى الترحيب بالدين الجديد، و الاخلاص له، و التفاني من أجله. ان احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية، و بلغتهم في ظل الاسلام و حضارته، على الرغم من تحولهم الى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما، لهو درس بليغ من التأريخ كان يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار.

و مما يضفي اهمية خاصة على هذا الامر ان ابناء الكرد رحبوا بالعربية بوصفها لغة القرآن، و اداة الروح، و التقرب من الخالق، الا ان ذلك لم يتجاوز حدود اداء الفرائض الا بالنسبة لرجال الدين، و

³⁵ المقدم الشيخ عبدالوحيد، الأكراد وبلادهم. تأريخ الشعب الكردي منذ أقدم

كركوك و تواجعها حكم التاريخ و الضمير 19

المتخصصين الذين ظلوا، مع ذلك، متمسكين بلغتهم القومية لانهم، و كانوا في ذلك على حق، لم يروا أي تعارض بين ايمانهم واخلاصهم للغة قومهم، لذا لاغرو ان معظم شعراء الكرد البارزين من العصرين الوسيط و الحديث كانوا في الوقت نفسه رجال دين كبارا، وان بعضهم تغنى بالاسلام بلغته القومية، وان الكتاتيب و المدارس الدينية الكردية، بما فيها كتاتيب و مدارس كركوك الدينية، غالبا ماكانت تدرس تلاميذها أدب الكرد جنبا الى جنب مع علوم الدين، و اصول الفقه.

ظل الكرد يؤلفون باستمرار روح الاسلام في كركوك، فكانت مساجد المدينة و تواجعها، و تكاياهما و اوقافهما و مدارسهما الدينية بيد رجال الدين الكرد اساسا. و يعتز الكرد باشرافهم على "مقام السجادة النبوية" في مدينة كركوك نفسها، الأمر الذي تولدت منه اسرة دينية كردية معروفة باسم خادم السجادة، لها مقامها الاجتماعي و السياسي، خرج من بين ظهرانيها ادباء و مفكرون قوميون، و من مثل اهل المدينة في البرلمان العراقي كما نشير الى ذلك فيما بعد.

لم يول المسلمون الاوائل كركوك اهتماما يذكر، ولم يشر البلدانيون العرب الى اسمها الحالي نهائيا، بل ذكروها نادرا باسم كرخيني³⁶، فلم "يذكر ياقوت، ولا من سبقه من جغرافيين مدينة كركوك" كما ورد

³⁶ "سومر"، المجلد الثامن، الجزء الاول، 1952، ص 275.

20 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

نصا في مجلة "سومر" العراقية المعتبرة³⁷. اما بالنسبة للكرخيين فان القلقشندي (توفي 821 هـ / 1418 م) حدد طابعها الكردي مكانا وسكانا بالاستناد الى "مسالك الابصار في ممالك الامصار" للجغرافي الدمشقي ابن فضل الله العمري (توفي 748 هـ / 1347-1348م). كتب القلقشندي:

"جبال الاكراد: قال في "مسالك الابصار": والمراد بهذه الجبال، الجبال الجاهزة بين ديار العرب و ديار العجم، دون اماكن من توغل من الاكراد في بلاد العجم. قال: وابتداؤها جبال همذان و شهرزور، و انتهاؤها صياحي الكفره من بلاد التكفور، و هي مملكة سيس و ماهوا مضاف اليها بايدي بيت لادن. ثم ذكر منها عشرين مكان في كل مكان منها طائفة من الأكراد".

بعد ذلك يعدد القلقشندي الأماكن العشرين تلك، و تحت البند العاشر منها يقول:

"بلاد الكرخيني و دقوق الناقة – وبه طائفة منهم (من الاكراد) عدتهم تزيد على سبعمائة، ولهم أمير يخصهم"³⁸. و يجدر بالذكر ان

³⁷ القلقشندي، شهاب الدين أحمد، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، الجزء الرابع، ص

373.

³⁸ المصدر نفسه، ص 374.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 21

السبعمائة رقم معتبر من المنظور الديموغرافي بالنسبة لذلك العهد والزمان.

و كانت داقوق (دقوقا) اكثر شهرة من كركوك يومذاك، بل ان الأخيرة و لغاية أواخر القرن الثامن الهجري/ اواخر الرابع عشر الميلادي غالبا ما كانت تتبع داقوق اداريا واقتصاديا، كما انهما كانتا، في الوقت ذاته، على اتصال باربيل و شهرزور و امتداداتهما اوثق من اتصالهما باي بقعة اخرى في المنطقة من جميع الواجه. من هنا فان الجغرافيين المسلمين (ابن خردادبه من القرن الرابع الهجري، و ياقوت الحموي من القرن السابع الهجري، و ابو الفدا من الربع الأخير من القرن السابع والثالث الأول من القرن الثامن الهجريين) عندما يأتون على ذكر داقوق فانهم يربطونها بأربيل وصفا³⁹. في مطلع القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وصف العالم الجغرافي و المؤرخ حمدالله المستوفي القزويني في الصفحة 24 من كتابه المعروف "نزهة القلوب" داقوق هكذا:

"داقوق من الأقليم الرابع، بلدة متوسطة، مناخها اطييب من مناخ ايلات العراق العربي".

بالمقابل كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، فقلما استخدم الطريق البري القديم الممتد من بغداد الى كفري – داقوق – كركوك – اربيل للوصول الى الموصل، بل كان يجري الاتصال

³⁹ "مجلة المجمع العلمي العراقي" (الهيئة الكردية)، بغداد، المجلد العاشر، 1983، ص 372-373؛ "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، 1956.

22 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بين بغداد والموصل) حسب وصف الجغرافيين العرب، بمحاذاة نهر دجلة في الاغلب⁴⁰.

انعكس هذا الواقع بقوة على الوضع الاداري و الاقتصادي لكركوك و توابعها التي ارتبط اسمها باسم شهرزور منذ العهد الاسلامي المبكر، و قد تجاوزت حدود "بلاد شهرزور" كركوك بعيدا في العصور العباسي الأخير لتغدو اربيل قاعدة لها يومذاك. في اواسط القرن السابع للهجرة (اواسط القرن الرابع عشر للميلاد) وصف ابن خلكان شهرزور هكذا: "وهي بلدة كبيرة معدودة من أعمال اربيل"⁴¹. والامر نفسه مثبت في "تقويم البلدان" لأبي الفداء، و "صبح الاعشى" للقلقشندي وغيرهما. اما ياقوت فقد قال عن "بلاد شهرزور" مانصه: "وأهل هذه النواحي كلهم أكراد"⁴². و كان هؤلاء الاكراد يتمتعون بقدر كبير من الاستقلالية، عبر عنه ياقوت نفسه هكذا "واهلها عصاة على السلطات"⁴³.

⁴⁰ The Encyclopedia of Islam", Vol. II, P. 1027.

⁴¹ ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، حققه وعلق حواشيه و وضع فهارسه محمد محى الدين عبدالحميد، الجزء الثالث، القاهرة، 1948، ص 233، عبدالسلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان، القاهرة، 1987، ص 193.

⁴² ياقوت الحموي، معجم البلدان، باشراف فردناند وستنفلد، المجلد الثالث، لايبزغ،

1868، ص 340.

⁴³ المصدر نفسه.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 23

تؤكد المصادر الاسلامية وجود مدينة قديمة باسم شهرزور كانت تقع في كورة⁴⁴ شهرزور. و يحدد العديد من الباحثين، منهم المستشرق الانكليزي المتخصص في "الجغرافية التاريخية للبلدان الاسلامية" ك. سترنج (Guy Le Strange) (1854-1933) موقع تلك المدينة بياسين تبه القريبة من مدينة كركوك الحالية⁴⁵. يلخص المستشرق نفسه الحقائق الاتية عن مدينة كركوك و كورة شهرزور بالاستناد الى ابن خرداذيه و قدامه و ابن حوقل و القزويني و المستوفي:

"و على مسيرة اربع مراحل شمال غربي الدينور مدينة شهرزور في كورة شهرزور. و قد ذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد) شهرزور مدينة حصينة عليها سور يسكنها الأكراد، و قد سرد اسماء قبائلهم المثبتة في تلك الارحاء. وكانت "من رغد العيش، وكثرة الرخص، وخصب الناحية، بحالة واسعة و صورة رائعة". و وصفها الرحالة ابن مهلهل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد)، على ما اقتبس

⁴⁴ كورة مصطلح اداري استخدم في العهد الاسلامي، والكورة في "مختار الصحاح" الرازي ص 582 "المدينة والصنق، والجمع كور"، وفي المنجد"/ ص 702 "البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى".

⁴⁵ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية. يتناول صفة العراق والجزيرة وايران واقاليم اسية الوسطى منذ الفتح الاسلامي حتى ايام تيمور، نقله الى العربية بشير فرانسيس وكوركيس عواد، من مطبوعات المجمع القومي العراقي، بغداد، 1954، ص 225.

24 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

منه ياقوت بقوله " شهرزور مدينت و قرى، فيها مدينة كبيرة، و هي قصبته في وقتنا هذا" .. و كان اكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تنشيء ستين الف بيت. وحين كتب المستوفي في المئة الثامنة كانت شهرزور مدينة زاهرة، واهلها اكراد⁴⁶.

يبدو من هذا الكلام، و مما سبقه، و من غيرهما ايضا ان شهرزور كانت جديرة في ذلك الوقت باستيعاب اصقاع شاسعة اقتصاديا و سياسيا، فقد كانت معروفة على اوسع نطاق، عامرة بالسكان، مزدهرة. حسب المصادر العربية الكلاسيكية قامت اماره اربيل الاتابكية "على انقاض الامارة الهذبانية والامارة القبحاقية (القبحاقية) التي كانت تجاوز اربيل، و تضم قلاع شهرزور و منطقة الكرخيني/ كركوك"⁴⁷. و قد اصبحت كركوك تتبع اربيل في عهد الاتابكة على مدى قرن و نصف (مف 522 حتى 630 الهجرة، أي من 1128 حتى 1233 للميلاد)، التبعية التي تعززت بصورة خاصة في عهد مظفرالدين كوكيوري الذي حكم اماره اربيل من سنة 586 حتى سنة 630 للهجرة (1190-1130 للميلاد)، حتى ان كوكيوري اتخذ من داقوق قاعدة لصد التتر، ومنعهم من التغلغل في العراق⁴⁸، بل انه اتخذ من سجن قلعة كركوك

⁴⁶ المصدر نفسه، ص 225-226.

⁴⁷ عن ذلك ينظر: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي 522-630 هـ/

1128-1233 م، بغداد، 1976، ص 179.

⁴⁸ "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، 1956، ص 48.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 25

مكاننا للاحتفاظ بمعارضيه رهائن طوال سنوات حكمه⁴⁹. كتب م. ستريك (M. Streck) في "دائرة المعارف الاسلامية" عن هذا الموضوع يقول:

"وقد أسس في عام 563 هـ (1167م) زين الدين علي كوجك بن بكتكين دويلة اتخذ اربل عاصمة لها. واشهر حكام هذه الدويلة من الاسرة البكتينية الكردية هو مظفر الدين كوكيوري، صهر صلاح الدين. و لم تبلغ اربل اوحبها طوال العصور الوسطى الا بان حكم هذا الأمير. فقد وسع مظفرالدين الى حد كبير هذه الدويلة التي ورثها عن اخيه عام 586 هـ (1190م)، فاخضع الامارات الصغيرة المجاورة، وضم ايضا اقليم شهرزور، بما فيه كركوك"⁵⁰.

تؤكد المصادر المعنية ان سكان الامارة الاتابكية، وجيش مظفرالدين كوكبوري كانوا من الكرد قاطبة⁵¹، بل ان بعض تلك المصادر تحدد

⁴⁹ محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص 209، 317.

⁵⁰ "دائرة المعارف الاسلامية" "الطبيعة العربية"، المجلد الاول، العدد الاول، اكتوبر 1933، ص 571.

⁵¹ عبدالقادر احمد طليمات، مظفرالدين كوكبوري امير اربل، القاهرة، 1963، ص 196-195.

26 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

سكان كركوك وتوابعها يومذاك ببناء عشائر زهنگنه وجاف و هموند الكردية المعروفة⁵².

كانت حدود العراق منذ اواخر القرن الرابع حتى اواسط القرن السادس للهجرة تنتهي شمالا عند سامراء و ما والاها يومذاك⁵³، ولم تضم من المدن الكردية سوى خانقين و حلوان باتجاه الشمال الشرقي من بغداد. اما التوسع نحو الشمال في العصر العباسي الأخير فقد بدأ سنة 551 للهجرة (1156 للميلاد) حين جرت محاولة فاشلة للاستيلاء على قلعة تكريت التي اخذت بعد ذلك التأريخ بثلاثة عقود ونيف. ثم شمل التوسع اربيل التي " اخذت عنوة بعد وفاة صاحبها كوكبوري سنة 630 هـ - 1232م"، والأرجح ان شهرزور "الواقعة بين اربل وهمدان قد ضمت الى العراق في نفس الفترة التي ظلمت بها اربل، و ذلك لانها كانت تابعة المظفر الدين كوكبوري صاحب اربل"⁵⁴. و هذا

⁵² فهمي عرب وفاضل محمد، مدينة كركوك، ترجمة هتاو، مجلة "هتاو"، العدد 128، 10 نيسان 1958، ص 3.

⁵³ في العصر البويهي (945-1058 للميلاد) كان يحدد اقليم العراق "من الشمال خط يمر عبر الانبار على نهر الفرات الى تكريت على نهر دجلة" ينظر: محمد حسين الزبيدي، العراق في العصر البويهي. التنظيمات السياسية والادارية والاقتصادية، القاهرة، 1969، ص 65)..

⁵⁴ للتفصيل عن ذلك ينظر: الدكتور بدري محمد فهد، تأريخ العراق في العصر العباسي الأخير (522-656 هـ / 1157-1258م)، بغداد، 1973، ص 74.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 27

يعني ان كردستان الجنوبية، بما فيها كركوك و توابعها، اصبحت تؤلف ولايتين من ولايات العراق العشر عندما اشرف العصر العباسي الأخير على نهايته، و هما ولاية اربيل و ولاية شهربور التي ضمت الى العراق تحديدا سنة 630 للهجرة/ 1332 للميلاد⁵⁵.

و في غضون حوالي قرن ما يعرف بعهد السيطرة المغولية في العراق لم يغير المغول من التقسيمات الادارية التي كان عليها في العصر العباسي الأخير⁵⁶. و في ذلك العهد تحديدا ظهر اسم كركوك بصيغته الحالية لأول مرة، و ذلك في تأريخ تيمور من تأليف شرف الدين علي يزدي. تقرأ في الكتاب المذكور ان تيمورا، بعد ان احتل العراق، توجه صوب دياربكر عن طريق دافوق و كركوك و التون كوبرو (كوبرى). بعد المغول انتقل حكم كركوك. و توابعها مع كل اقليم شهربور، الى الاق قوينلو⁵⁷. في المراحل التاريخية تلك دخل اقليم شهربور، بما فيه كركوك و توابعها، ضمن الامارات الكردية شبه المستقلة التي كانت تظهر بين الحين و الآخر. منها الامارة او الحكومة الحسنية التي تأسست في اواسط

⁵⁵ عن ذلك، وعن التقسيم الادارى للعراق في العصر العباسي الاخير ينظر: المصدر نفسه، ص 128-141.

⁵⁶ الدكتور محمد صالح. داود القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية النجف، 1970، ص 219.

⁵⁷ J. H.Kramers, Op. Cit., P. 1027.

28 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

القرن الرابع للهجرة (اواسط القرن العاشر للميلاد)⁵⁸ ، ومنها ايضا الامارة العنازية التي تأسست في اواخر القرن نفسه⁵⁹ . و لكركوك و توابعها موقع متميز في وقائع تلك الامارات. فكان للعنازيين اخذ ورد كبيرين مع السلاجقة الذين، كما تذكر حوادث سنة 495 للهجرة (1101-1102 للميلاد) استولوا "على جميع بلاد سرخاب من بدر الكردي الا داقوق وشهرزور" حيث نشأت امارة ضمن طوزخورماتو وغيرها، و قد "صارت حصة سرخاب بن بدر الكردي، وكان ذلك في زمن الخليفة المستظهر بالله ابو العباس احمد"⁶⁰ . و حسب "الكامل" لابن اثير و "شرفنامه" للبدليسي و غيرهما كانت داقوق في القرون الثالث و

⁵⁸ علي اكير دهخدا، لفت نامه، شماره مسلسل 171، شمارهء حرف شين، بخش دوم، تهران، خردادج 1350 و- شمسي؛ محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الان، نقله الى العربية وعلق عليه محمد على عوني، القاهرة، 1939، ص 140-141.

⁵⁹ "Encyclopedia Iranica", Vol, II, London, 1985, PP. 97-98.

مجلة المجمع العلمي العراقي "الهيئه الكرديه"، المجلد العاشر، 1983، ص 386.

⁶⁰ للتفصيل عن ذلك تنظر: "سومر" المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني 1956، ص 46 - 47.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 29

الرابع و الخامس الهجرية احدى مراكز الامارات الثلاث المتتابعة الحسنية العيارية (الغمازية) والجاوانية⁶¹.

دخلت كركوك و توابعها، مثل اربيل، مرارا في حوزة الاردنانيين الذين برزت امارتهم في القرن الخامس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، اذ كانت حدودها تمتد احيانا الى حد الزاب الكبير، و كانت امارة قوية، منظمة، اعترف بها حتى جنگيز خان، و عجز الجلانيون الذين حكموا العراق في القرن الرابع عشر للميلاد، عن احتوائها. يعد لونگريگ اردلان افضل امارة ظهرت في المنطقة "من حيث الحضارة او الحكم الملكي" قبل الاحتلال العثماني للعراق حتى انه يصفها بالامبراطورية اكثر من مرة⁶².

كركوك و توابعها في العهد العثماني

بعد ان قضى الصفويون على الآق قوينلو، و اسسوا دولتهم في مطلع القرن السادس عشر انتقل اليهم حكم شهرزور، لكن ذلك لم يدم طويلا لان العثمانيين الذين سبقوهم في تأسيس دولة قوية مترامية الأطراف

⁶¹ عن ذلك تنظر: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد العاشر، 1983، ص 434.

⁶² S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, PP. 5-6.

في الترجمة العربية لجعفر خياط، بغداد، الطبعة الخامسة، ص 18)

30 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

احسوا بخطرهم، فدخلوا معهم في صراع مستفحل طويل دشنته معركة جالديران المعروفة في العام 1514.

في خصم الصراع العثماني - الصفوي برز الكرد قوة فاعلة، لهم وزنهم في تقرير مصير ذلك الصراع. انتهج سلاطين آل عثمان سياسة حكيمة استهدفت كسب الكرد الى جانبهم، مستفيدين من التذمر العام الذي احداثته سياسة مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل (1487 - 1524) في صفوفهم، اذ "كان يرفض كل ما هو كردي"⁶³ بدافع مذهبي جعله يسلط عليهم القبائل التركمانية الشيعية. بدءا استغل الامراء الكرد الهزيمة النكراء التي الحقتها قوات السلطان سليم بقوات الشاه اسماعيل، فاستعاد معظمهم مواقعهم التي فقدوها في ظل حكم الصفويين والاق قوينلو، منهم "سيد بك بن شاه علي امير السوران - السهران" الذي "استرد بلاد كركوك واربل"⁶⁴. ورد عن ذلك في "شرفنامه" (اواخر القرن السادس عشر) الآتي نصه:

"مير سيدي بن شاه علي بك، هو الابن الصغير للشاه علي بك. وقد اشتهر بين حكام كردستان بالشجاعة و السخاء و الكرم. سكن بعد وفاته والده الموضع المسماة شقباد (شقلاوه)، و اقدم على محاربة ثيربوداق حاكم بابان طالبا دم اخيه الامير عيسى. فبعد ان تمكن من قتل

⁶³ محمد امين زكي، المصدر السابق، ص 174-183، كمال مظهر، دراسات في تاريخ

ايران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985، ص 229.

⁶⁴ محمد امين زكي، المصدر السابق، ص 176.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 31

پربوداق هذا ضم بلاد اخيه إمارته، ثم انثنى على (الصفويين) القزلباش، و حاربهم محاربة شديدة حتى انقذ سناجق الموصل و كركوك و اربل من ايدي عمالهم، وضمها الى بلاده، فحكم ردا من الزمن بلاد سهران وملحقاتها حكما استقلاليا⁶⁵.

يقول المؤرخ العراقي المعروف عباس العزاوي عن زعيم الامارة السورانية مير سيدي بن شاه علي بيك: " و هذا توسع حكمه الى اربل، بل زاد نطاق حكمه الى انحاء كركوك و الموصل⁶⁶ .

و قبل ان ينسحب السلطان سليم من اراضي الدولة الصفوية استعان بالشيخ حكيم الدين ادريس بن حسام الدين علي البديسي ليتصل بامراء الكرد من اجل كسبهم الى جانب السلطان، اذ كان يتعذر عليه الاحتفاظ بقواته في المناطق الكردية التي تم تحريرها من قبضة الصفويين، و التي لم تدخل القوات العثمانية معظمها اصلا. كان الادريسي من مشاهير الكرد و "نوابغ عصره في العلم و الادب"، تمتع بنفوذ ديني و دينوي واسع، و باسلوب ديبلوماسي في التعامل جعله من اقرب المقربين للسلطان. يقول المؤرخ الانكليزي المختص بتاريخ الدولة

⁶⁵ شرف خان البديسي، شرفنامه، الجزء الاول، طبعة القاهرة، ترجمة محمد علي عوني بتكليف من وزارة التربية والتعليم، ص 271، طبعة بغداد، ترجمة ملا جميل رؤبباني بتكليف من المجمع العلمي العراقي، الجزء الاول، ص 277، الطبعة الروسية، ترجمة فاسيلفا، الجزء الاول، موسكو، 1976، ص 324.

⁶⁶ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص 42.

32 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

العثمانية كريسي (E.S.Creasy) عن الشيخ البدليس انه كان "صاحب القدرة الادارية العالية في تنفيذ القرارات"⁶⁷ لذا لاغرو ان عهد السلطان سليم اليه امر تنظيم المناطق الكردية من الناحية الادارية، وارسل اليه فرامين موقعه على البياض حتى يملأها حسبما يراه.

تمكن ارديس البدليسي بدهائه من ضمان ولاء عدد كبير من الامراء الكرد و مناطق نفوذهم للسلطان العثماني، على ان يحتفظوا بقدر كبير من الاستقلالية في ادارة شؤون تلك المناطق. و باعتراف عدد كبير من المصادر العثمانية و العراقية و العربية و الاجنبية و الكردية كانت كركوك وتوابعها احدى تلك المناطق التي ادخلها البدليسي في حوزة العثمانيين في العقد الثاني من القرن السادس عشر، مع احتفاظ الزعماء الكرد بكامل سيطرتهم عليها⁶⁸. و فيما يلي نقتبس ماورد على لسان مؤلفين اجنبيين بهذا الصدد:

يقول الشيخ وحيد الباكستاني، و هو جامعي يحمل شهادة ماجستير في الاداب و بكلوريوس في القانون، يقول: "و قد لقيت مهمة البدليسي

⁶⁷ مقتبس في: الدكتور سيبان كوكب جميل، تكوين العرب الحديث 1516 - 1916، الموصل، 1991، ص 86.

⁶⁸ ينظر على سبيل المثال في: عباس العزاوي، العرق بين احتلافين، الجزء الثالث، ص 252، محمد امين زكي، خلاصة تاريخ كردستان...، ص 176-177، المقدم الشيخ عبدالواحد، المصدر السابق، ص 118-120.
Safrastian, Kurds and Kurdistan, London, Harvill Press, 1948. PP. 39-40, 103.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 33

نجاحا منقطع النظير، اذ استطاع عقد معاهدات مع كل من شرف بيك البديليسي.. و اسرة بدرخان العظيمة الشأن في جزيرة ابن عمر و امراء اربيل وكركوك والسليمانية وخلفاء اسرة بابان الكبيرة والبيك الكردي في دياربكر..⁶⁹ . و يضيف المؤلف نفسه الى ذلك قوله في مكان آخر من كتابه:

"كان هدف السلطان التركي من وراء هذا التحالف هو ضمان سلامة حدوده من عدوه اللدود ملك فارس. و بمرور الزمن تمكن الملا ادريس من تكوين تسع ولايات في البلاد الكردية تعرف باسم الحكومات، و كانت كل حكومة مستقلة تماما عن الحكومات الاخرى، وعن السلطان التركي، ويحكمها (اغا) زعيم اقوى القبائل المقيمة في المنطقة، ووسعها نفوذا. و كان لكل اغا في كل حكومة جيشه الخاص، و محاكمه الخاصة، و كان بعضهم يضرب السكة باسمه، غير ان مشكلة العملة في كردستان لم تكن مشكلة عويصة، اذ ان معظم التجارة كانت على اساس المقايضة.. و كان من بين الحكومات التي انشئت بهذه الطريقة اربيل و كركوك و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكاري و ساسون و آميدي (العمادية) و بدليس، و كانت هذه الامارات المستقلة تقام بموجب فرمان سلطاني..⁷⁰ .

⁶⁹ المقدم الشيخ عبد الوحيد، المصدر السابق، ص 119.

⁷⁰ المصدر نفسه، ص 120.

34 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

اما مؤلف كتاب "الكرد وكردستان" ارشاك سافرستيان فيقول بصدد الموضوع نفسه ما نصه:

"دشن النصر العثماني في چالديران (سنة 1514) بداية تأريخ العشائر الكردية الحديث. فبفضل جهود الملا ادريس، و هو من مدينة بدليس، غدا التوزيع الجغرافي للعشائر الكردية و اقسامها و اسماء مناطقها و زعمائها اكثر وضوحا. كان هذا السياسي الكردي سكرتير دولة لدى يعقوب خان، احد المدعين بالتاج الايراني، قدم خدمات جلى للسلطان سليم بارشاده في شؤون كردستان و ارمينيا. في العام 1515 ارسله السلطان من اماسيا الى كردستان مع رسائل ود، وهدايا لكبار زعماء الكرد في گوتيوم⁷¹. و زاگروس بهدف ابعادهم عن خلفائهم الفرس، و كسبهم الى الجانب العثماني. و تلبية لدعوة السلطان اعلن تسعة من دهرههگ (الزعماء الاقطاعيين) الكرد ولاءهم للعثمانيين. بقيت اربع عشرة عشيرة كبيرة في معاقل زاگروس و طوروس ابرم معهم الملا ادريس باسم السلطان اشبه مايكون بمعاهدة و بعث السلطان لجمعهم فرامين تتضمن اعترافه بالزعماء بوصفهم "بگريگا" في مناطق نفوذهم، و تنص على انتقال تلك الحقوق و الامتيازات الى

⁷¹ گوتيوم (Gutium) مصطلح تاريخي يطلق على منطقة سكنى الغوتيين التي تحديها المصادر، كما اسلفنا، المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر ديبالى مع عاصمتها في ارابخا (كركوك) يطلق سافرستيان نفسه على طوتيوم اسم "الموطن الاصلي للعنصر الكردي" (P. 45).

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 35

ورثتهم كاملة دون المساس بقلاعهم و حصونهم و اراضيهم. انهم منحوا لقب الحكومات الكردية (Kurdish Hukumates) على ان يلتزموا فقط بدفع ضريبة اسمية، مع تقديم عدد محدد من الخيالة المسلحين في حالة الحرب⁷².

و في الملحق (i) للفصل الثالث من كتابه يحدد سافرستيان اسماء الزعماء الاقطاعيين (الدهرهههگ) التسعة الكرد الذين اعلنوا ولاءهم للسلطان، وهم كل من "شرف بيك البدليسي و ملا خليل، وورثة سعرد و حصن كيف (على دجلة) الذين ابعدوا الحاميات الفارسية من تلك القلاع، و محمود بيك من سامسون، و بدرخان الكبير حاكم جزيرة ابن عمر، و الامراء الوارثيين لاربييل و كركوك و السليمانية، المناطق التي تؤلف معا مملكة بابان، او مملكة شهرزور القديمة تقريبا.. و بيك دياربكر الكردي و جمشيد بيك المقدسي ومرتد ارمني من پالو⁷³.

بعد ذلك يحدد سافرستيان في الملحق (ب) للفصل الثالث اسماء "الحكومات الكردية التسع" و هي "حكومات اربيل و كركوك و السليمانية و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكارى و سامسون و العمادية و بدليس" التي سميت، كما يقول، بـ "اكراد حوكماتي"⁷⁴ (Ekrad Hukmaiti).

⁷² A. Safrastian, Kurds and Kurdistan, PP. 39-40.

⁷³ I bid, PP. 102-103.

⁷⁴ I bid, P. 103.

36 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

يضيف سافراستيان الى ماسبق حقيقة مهمة اخرى بالنسبة لموضوعنا حين يشير الى ان "مشروع الملا ادريس استهدف اساسا حماية الحدود من غزو تشنه بلاد فارس في المستقبل. ان الحدود بين أشهر ديالى والزابين (وهي المنطقة التي تقع كركوك و توابعها في قلبها)⁷⁵ كانت تصان من قبل الحكومات الكردية"⁷⁶.

تعزز الوجود العثماني في المنطقة، و في كل العراق، بصورة فعلية في عهد السلطان سليمان القانوني الذي دخل بغداد على رأس جيشه سنة 1534 عن طريق تبريز- السلمانية، فتعد تلك السنة بداية العهد العثماني بالنسبة للعراق ككل. وضع العثمانيون بعد ذلك نظاما اداريا جديدا للعراق، قائما على أساس نظام الايالات الذي طبقوه على بقية احزاء الامبراطورية "مراعين بعض الاسس والايوضاع السائدة، و على الاخص فيما يخص الاكراد في القسم الشمالي و الشمال الشرقي من البلاد، والعشائر العربية في الأقسام الجنوبية و الجنوبية الغربية"⁷⁷.

⁷⁵ العبارة التي وضعت بين القوسين الكبيرين اضيفت من قبلنا من اجل التوضيح.

⁷⁶ A. Safrastian, Kurds and Kardistan, P. 44.

⁷⁷ خليل علي مراد، تأريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (1164-1048 هو/ 1750-1638م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، 1975، ص 45-44.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 37

قسم العراق حسب النظام الاداري الجديد على اربع ايالات هي بغداد و الموصل و البصرة و شھرزور. كانت "حدود ايالة شھرزور هي ايالة بغداد من الجنوب، و الموصل و حكومة عمادية من الغرب، و حڪاري (هڪاري) و اذربيجان من الشمال، و بلاد فارس من الشرق"⁷⁸، بمعنى ان كركوك و توابعها كانت تقع في قلب الايالة، و تمثل جزءا اساسيا منها. فان اوليا ضلبي عندما يتحدث عن الواب الصغير يقول انه "نهر يقع في ايالة شھرزور"، و يقع الزابان الصغير و الكبير، كما هو معروف الى الشمال من كركوك. و لم يتغير واقع ايالة شھرزور على مدى القرون التالية الا قليلا، و كان التغيير في بعض الحالات يجري لصالحها. فان الاستاذ الجامعي المصري المتخصص في تاريخ العراق الحديث الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار يشير الى ان امارة بهدينان، مع عاصمتها العمادية، كانت تتبع احيانا كركوك التي غدت، كما نبين، مركزا لايالة شھرزور⁷⁹. و أشر الممثل الروسي في لجنة تخطيط الحدود بين الدولة العثمانية و ايران في 1849-1852 جيريكوف الحدود نفسها تقريبا لايالة شھرزور في ملاحظاته التي نشرها سنة 1857، و هي ايالات الموصل و حڪاري (هڪاري) شمالا، و ايالة بغداد جنوبا، و نهر دجلة غربا، و الحدود الايرانية شرقا. و كانت الايالة تتألف، كما ورد في

⁷⁸ المصدر نفسه، ص 60.

⁷⁹ الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، 1986، ص

38 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

ملاحظاته، من سناجق كركوك و اربيل و كويسنجق و السليمانية و رواندوز و حرير، اما "مركزها فكانت مدينة كركوك"⁸⁰. و بحكم واقع حجمها، و امكاناتها تحولت "ايالة شهرزور" الى "الند الأكبر لايالة بغداد" قبل ان تتعزز السلطة المركزية في العهد العثماني⁸¹.

سجل اهم مصدرين عثمانيين كلاسيكيين هذه الحقائق بصورة واضحة، لا لبس فيها. المصدر الأول هو كتاب "سياحتنامه" للرحال التركي الشهير اوليا جلي⁸² الذي زار المنطقة بنفسه، و درسها عن كثب في القرن السابع عشر، أي بعد مرور قرن على دخولها في حوزة العثمانيين ورد في الصفحة 74 – 75 من الجزء الرابع من كتابه "سياحتنامه" ان تسع ولايات في عهده كانت تؤلف كردستان، و هي ارضروم و وان و هكاري (حكاري) و دياربكر و جزير (جزيرة ابن

⁸⁰ E. I. Chirikov, Putevoy Journal Russkovo Comisar Posreed- nika po Turtsko- Persidskomy Razgranichenio 1849-1852 gg., "Zapiski Kavkzskovo Otdelenia Imperatorskovo Russkovo Geographicheskovo Obshestva", Kn., IX, Tiflis, 1857, P. 457.

⁸¹ S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 209.

(في الترجمة العربية: ص 251).

⁸² هو محمد بن ظلي درويش المعروف باوليا جلي) من مواليد اذار 1611، تختلف المصادر في تحديد سنة وفاته بين 1679 و 1682 و 1683. قام برحلات طويلة الى ممتلكات الدولة العثمانية وغيرها، وسجل ملاحظات دقيقة عنها نشرت في عشرة اجزاء في ستانبول في غضون الفترة الممتدة بين عامي 1896 و 1938.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 39

عمر) و العمادية و الموصل و شهرزور (وكانت كركوك تدخل ضمنها) و اردلان، و قال عنها ان "المرء يحتاج الى سبعة عشر يوما لقطعها"⁸³. وحسبما ورد في الصفحة 188 من الجزء الأول من "سياحتنامه" فان ايالة شهرزور كانت مقسمة في القرن السادس عشر على عشرين سنجقا. و كان السنجق يقابل اللواء، او ما يعرف بالمحافظة حاليا، وكان يؤلف الوحدة الاساسية في ادارة الايالة او الولاية في العهد العثماني.

أكد كاتب چلبى، و هو جغرافي و بيبليوغرافي تركي معروف⁸⁴، عاصر اوليا چلبى، جانبا كبيرا من الحقائق نفسها في الص 445 - 448 من كتابة "جهان نما". و حسب قائمة الأخير ارتفع عدد سناجق ايالة شهرزور في منتصف القرن السابع عشر الى 32 سنجقا، اهمها قاطبة كان سنجق كركوك، و هو سنجق او مقر الباشا، لذلك كان يطلق اسمه احيانا على كل ايالة شهرزور، فيسمى ايالة كركوك. و كانت السناجق الاخرى الداخلة بضمنها كردية جميعها ايضا، اهمها، فضلا عن منطقة شهرزور نفسها، اربيل و حميرين و كويسنجق و حرير و شهر بازار (چوارتا

⁸³ عن ذلك ينظر كذلك في الطبعة الاخيرة من "دائرة المعارف الاسلامية".

Th. Bois, Kurds, Kurdistan, -"The Encyclopedia of Islam".
Leiden, 1981, P. 439.

⁸⁴ هو مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة المعروف بكاتب ضلبي، ولد سنة 1609 وتوفي سنة 1657.

40 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

حاليا) و مرگه (في قضاء پشدر) و مخمور، بل و حتى اشتو التي تدخل حاليا ضمن الاراضي الايرانية.

اقرت هذه الحقائق، الثابتة تاريخيا، المصادر الرسمية و الدراسات الجامعية العراقية مرارا⁸⁵، منها آخر مصدر موسوعي اصدرته وزارة الثقافة والاعلام سنة 1985⁸⁶. كما يقر الشيء نفسه المؤرخون المختصون العرب من غير العراقيين، منهم الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار الذي ذكر في كتابه "تاريخ العراق الحديث" الآتي نصه:

"و عندما اكتمل الفتح العثماني للعراق اصبح يتألف من اربع ولايات عي الموصل و شهرزور و بغداد و البصرة.. و الى الشرق من ولاية الموصل كانت توجد ايالة شهرزور (کردستان).. اما ايالة شهرزور (کردستان) فلم تعمّر طويلا (اداريا)، ويرجع ذلك الى ان السلاطين العثمانيين اتبعوا سياسة الاعتراف بحكم العصبية المحلية. وكان كردستان مليئا بالامارات والعشائر الكردية السنية التي وقفت في وجه الغزو الفارسي، وشدت ازر العثمانيين خلال حروبهم ضد الفرس. وعلى رأس هذه الامارات الامارة السورانية والبهدينانية والبابانية، فأبقوا هؤلاء الامراء على اماراتهم، وكانت لاتزال امارات صغيرة. ولكن هذا

⁸⁵ ينظر على سبيل المثال: "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، ص 50-52؛

خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني- ص 61-62.

⁸⁶ في النص: منها.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 41

النظام تطور الى استبداد هؤلاء بالسلطة، حتى لم يعد للولاة اية قدرة على ادارة الأمور هناك، فترك العثمانيون امر كردستان لامرائه تحت اشراف ولاة بغداد. وكانت كركوك مقر هذه الايالة⁸⁷.

سجلت اهم دوائر المعارف المهتمة بقضايا العالم الاسلامي الحقائق ذاتها. ففي مقالة "كركوك" في الطبعة الاولى لـ "دائرة المعارف الاسلامية" ورد ان "ولاية شهرزور ضمن 32 سنجقا، كانت كركوك واحدة منها و تحولت مدينة كركوك منذ ذلك الوقت الى المقر الرسمي لباشوات شهرزور"⁸⁸.

كان ولاة شهرزور، وحكام كركوك الاوائل من الزعماء الكرد المعروفين في زمانهم. فان اول وال لايالة شهرزور في العهد العثماني كان الزعيم الاردلاني بيطة بك. كما ان اول حاكم (محافظة) عين لسنجق كركوك في عهد سليمان القانوني كان مأمون بيك بن بيطة بك بمرتب قدره 300 الف اقضة سنويا كما هو مثبت في مذكرات مأمون بيك نفسه الذي كتبها في العام 1574 باللغة التركية، وهي عبارة عن "مخطوطة نفيسة" عثر عليها في مكتبة المجمع العلمي العراقي الباحث

⁸⁷ الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، 1968، ص 7-8.

⁸⁸ J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

42 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

التركي عصمت پارماقستر اوغلو، فحقتها، و نشرها في مجلة "بولتن" في العام 1973⁸⁹.

عقب وفاة بيطة بك، والد مأمون بك، في العام 1550 ملح الأخير ايالة شهرزور. كما ان محمدا، نجل مأمون بك "عمل هو ايضا فترة من الزمن" محافظا للواء (سنجق) كركوك. و يبدو واضحا من مضمون المخطوطة نفسها ان الامراء الكرد كانوا يؤدون في ذلك العهد الدور الحاسم في تعيين ولاة كركوك و حكامها⁹⁰. و هنا يجدر بنا ان نشير ايضا الى ان الصفويين حين اعادوا سيطرتهم على المنطقة في عهد الشاه طهماسب الأول (1524-1576) بصورة مؤقتة فانهم عهدوا حكم كركوك الى زعيم كلهري كردي⁹¹.

لم يطرأ تغيير يذكر على الواقع الاداري لكركوك و توابعها ضمن ايالة شهرزور على مدى حقبة تاريخية طويلة في ظل الحكم العثماني. فبعد ان استعاد السلطان مراد الرابع العراق في العام 1638 من الصفويين الذين كانوا قد احتلوه في عهد الشاه عباس الكبير (1587 - 1629)، لم يجر أي تغيير على التقسيم الاداري للبلاد سوى ماجرى من

⁸⁹ التفاصيل تنظر: "مذكرات مأمون بك بن بيطة بك"، نقلها الى العربية وعلق عليها محمد جميل الروذبياني و شكور مصطفى، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1980، ص 10، 7، 3، 12، 60-62، 76، 74.

⁹⁰ المصدر نفسه، ص 10-11.

⁹¹ عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص 252.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 43

دمج ايلة البصرة بايالة بغداد، فأصبح العراق يتألف من ثلاث ايالات هي بغداد و الموصل و شهرزور. ولكن في اوائل القرن الثامن عشر انفصلت ايلة الموصل عن باشا بغداد، و خضعت زمنا لايالة دياربكر، كما انفصلت من بعدها ايلة شهرزور مع مركزها كركوك⁹².

في تلك المرحلة كانت سلطة باشا بغداد، في كل الاحوال، سلطة اسمية بالنسبة لايالة شهرزور، الظاهرة التي لاحظها المراقبون الاجانب ايضا. ففي عهد اقوى الولاة واشهرهم في تلك الايام، ونقصد به داود باشا (1816 - 1831)، الذي قيل عنه ان العراق اصبح "في عهده، و لأول مرة بلدا موحدًا وقويًا" سجل الرحالة الانطليزي جيمس ريموند ولستيد⁹³. الملاحظة الآتية:

"لقد اتسعت سلطة الولاية اسميا اثناء زيارتي، فراحت تمتد من البصرة جنوبا الى ماردين شمالا". ثم يضيف "غير ان الكثير من هذه الاراضي يحتله البدو الاكراد الذين كان اعترافهم بسلطان الباشا اسميا وليس حقيقيا"⁹⁴.

⁹² "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936"، ص 50؛ "دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960"، ص 93.

⁹³ في كتابه:

J.R.Wellsted, Travels to the City of Caliphs, London, 1840.

⁹⁴ "رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا" للرحالة الانطليزي جيمس ريموند ولستيد، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد، 1984، ص 64، 7.

44 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

استوجبت التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية العميقة التي شهدتها الامبراطورية العثمانية منذ العقود الاولى من القرن التاسع عشر اثر اندماجها بالأسواق الرأسمالية العالمية، اجراء اصلاحات ادارية امتدت آثارها، بطبيعة الحال، الى الايالات العراقية ايضا، لكن دون ان يترك ذلك أي اثر ملموس على الرابطة القومية و الادارية بين المناطق الكردية بما فيها كركوك و توابعها.

صدر قانون اداري جديد للايالات العثمانية في تشرين الثاني 1864 في ضوء القانون الاداري الفرنسي، و الذي استهدف اعادة تنظيم الايالات. و تعزيز ربطها بالمركز. و في كانون الاول سنة 1870 صدر نظام ادارة الايالات على اساس القانون الجديد. طبق مدحت باشا الاسس الادارية الجديدة في عهد ولايته على العراق (1869 - 1872).

قسم مدحت باشا العراق الى ايلتين، هما بغداد و الموصل، قد خلت كردستان العراق برمتها، استثناء خانقين و توابعها، ضمن ايالة الموصل التي اصبحت تتألف من ثلاثة الوية هي الموصل و كركوك و السليمانية. و قد ضم لواء كركوك قضاء كركوك مع نواحي دافوق و التون كوبرى و طيل و ملح و شوان، فضلا عن قضاء اربيل مع ناحيتي سلطانية و دزهيي، و قضاء رواندز مع نواحي حريير و قوش تپه و بالهك و شيروان، و قضاء رانية مع ناحية بيتواته، و قضاء صلاحية (كفري) مع ناحية طوزخورماتو و قرهتپه، و قضاء كويسنجق مع ناحية باليسان و شقلاوة، بمعنى ان الجزء الأكبر من اقليم شهرزور التاريخي بقي مرتبطا

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 45

بكركوك، بل استمرت المصادر تنعت مدينة كركوك بـ "عاصمة شهرزور"⁹⁵. و جاء في القرار الصادر في عهد مدحت باشا: "2- كركوك، ويسمى لواء شهرزور"⁹⁶. و في التاسع عشر من رجب سنة 1289 للهجرة، الموافق للثاني و العشرين من ايلول سنة 1872 نشرت صحيفة "زوراء" الرسمية قرارا يقضي بجعل متصرفية السليمانية قضاء، او قائممقامية ربطت بدورها بلواء شهرزور، أي كركوك"⁹⁷. و على الرغم من أن مفعول هذا القرار لم يدم طويلا، الا انع يعكس مدى الرابطة العضوية القوية بين كركوك و بقية المناطق الكردية في العراق، الظاهرة التي سوف نلاحظها ثانية في عهد الانتداب البريطاني على العراق بالنسبة للروابط الادارية بين كركوك و السليمانية.

و على الرغم من الاصلاحات الادارية في عهد مدحت باشا فان مصطلح "ايالة شهرزور" لم يختف من نصوص القوانين والتعليمات العثمانية اللاحقة، و بارتباط مباشر بكركوك. ففي القانون الصادر من الباب العالي "بتأريخ 1308 الموافق 1891 ميلادية" ظهر اسم "ايالة شهرزور"، مع تحديدها على اساس انها عبارة "عن لواء كركوك بما فيه

⁹⁵ ينظر على سبيل المثال:

J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II. P. 1028.

⁹⁶ عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع، ص 168.

⁹⁷ نشر المؤرخ العراقي المعروف عباس العزاوي بدوره هذه المعلومة في الص 13 من

الجزء الثامن من كتابه المصدر "تأريخ العراق بين احتلالين".

46 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

لواء اربيل⁹⁸. ثبتت الحقيقة نفسها في الكتب المدرسية العثمانية. فقد ورد في كتاب "الجغرافية" من تأليف أحمد بك حمدي، المنشور في شعبان 1288هـ/ تشرين الاول 1871م، و الذي كان يدرس رسماً في المدارس التركية ان الوية العراق كانت "بغداد و الموصل و سليمانية و شهرزور، أي كركوك و في ضمنه اربيل، و ديوانية و بصرة و منتفك و كربلاء"⁹⁹. لم يتغير هذا الواقع لغاية الحرب العالمية الاولى كما هو مثبت في السالنامات العثمانية التي تعد اهم مصدر بالنسبة لمثل هذه الموضوعات. فبموجب سالنامه 1911/1329 كان سنجق كركوك يتألف من اربيل و رواندوز و كويسنجق و رانية و الصلاحية (كفري) جميع توابع هذه البلدات¹⁰⁰.

كما ورد في مصدرين رسميين عراقيين، الاول منهما من العهد الملكي، و الثاني من العهد الجمهوري، الآتي نصه بهذا الخصوص:

⁹⁸ مقتبس في: "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل. رفعت الهيئة المركزية لحزب الامة هذا التقرير الى لجنة الحدود التي انتدبتها عصبة الامم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق و تركية"، بغداد، 1342 هـ- 1925 م، ص 23.

⁹⁹ مقتبس في المصدر نفسه، ص 17.

¹⁰⁰ عن ذلك ينظر كتاب الامين العام السابق للجمع العلمي العراقي الدكتور وسف عزالدين، داود باشا ونهاية المالك في العراق، الطبعة الثانية، بغداد، 1976، ص

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 47

"قبل الحرب العظمى (القصء الحرب العالمية الاولى) كانت تقسيمات

العراق الادارية هكذا:

1-ولاية بغداد..

2-ولاية الموصل:

أ-متصرفية الموصل: مركزها الموصل، اقليتها الموصل، دهوك،

زاخو، زيبار، عقرة، سنجار.

ب-متصرفية شهرزور: مركزها كركوك، اقليتها كركوك، اربيل،

رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري.

ج-متصرفية السليمانية:..¹⁰¹.

سجلت افضل المصادر الجغرافية العراقية في العهد الملكي هذه

الحقيقة بحدافيرها. ورد في كتاب "مفصل جغرافية العراق" للفريق

الأول طه الهاشمى (1888 - 1961) رئيس اركان الجيش العراقي و

رئيس الوزراء العراقي الأسبق، و الأخ للزعيم السياسي العراقي القومي

المعروف ياسين الهاشمي، ان "ولاية الموصل" كانت تنقسم "قبل الحرب

الكبرى" الى "ثلاث متصرفيات" و هي:

1-متصرفية الموصل..

2-متصرفية شهرزور: مركزها كركوك، واقليتها ست، وهي

كركوك، اربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري¹⁰².

¹⁰¹ "الدليل الرسمي العراقي لسنة 1936"، ص 51-52؛ "دليل الجمهورية

العراقية لسنة 1960"، ص 94.

48 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

اتحدت صلات كركوك و توابعها السياسية و الادارية في العهد العثماني طابعا آخر، خاصا ارتبط بتاريخ الامارات الكردية الذي امتد حتى اواسط القرن التاسع عشر.

كركوك و الامارات الكردية في العهد العثماني

لم تنقطع علاقات كركوك و توابعها بالامارات الكردية، و التي ظهرت بوادرها في العصور الاسلامية المتأخرة كما سبق الذكر. فبالسنة للامارات الكردية الحديثة (اردلان، بابان، سوران) انها (كركوك و توابعها) اما كانت تتحول الى جزء منها، او الى مسرح لأهم احداثها، و وقائعها.

قبل كل شيء لاحظنا ان الاردلانيين هم الذين تولوا حكم كركوك و توابعها في عهد سليمان القانوني في النصف الأول من القرن السادس عشر. في مقالته "كركوك" في "دائرة المعارف الاسلامية" يقول كريمر، و هو من كبار المستشرقين باعتراف المصادر العربية المتخصصة¹⁰³، عن نفوذ الاردلانيين في كركوك مانصه:

"ان السادة الحقيقيين للمنطقة (كركوك و توابعها) كانوا، على أي حال، الزعماء الكرد في مقاطعة اردلان"، و هو يستند في كلامه هذا الى

¹⁰² طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، الطبعة الاولى، بغداد، 1930، ص 550.

¹⁰³ نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف بمصر، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1965، ص 670-671.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 49

الص 45 من مصدر عثماني كلاسيكي اصيل هو "جهان نامه" للحاج خليفة الذي سبقت الاشارة اليه¹⁰⁴.

و حسب لونجريغ، و هو من افضل من درس تأريخ العراق الحديث و المصادر، ان "پاشا كركوك العثماني" كان يضطر احيانا الى ان ينسحب من كركوك ويترك امورها لخان احمد خان زعيم امارة اردلان (توفي سنة 1636) الذي كان له، ولزعماء كرد آخرين، دورهم الكبير في الصراع العثماني الصفوي حول المنطقة في النصف الأول من القرن السابع عشر¹⁰⁵. و على الرغم من ان الاردلانيين كانوا يعلنون ولاءهم للصفويين، و للعثمانيين احيانا¹⁰⁶، الا انهم كانوا يتمتعون بقدر كبير من الاستقلال¹⁰⁷. و لابس ان نشير ايضا الى ان هناك رأيا علميا يرجع

¹⁰⁴ "The Emcyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

¹⁰⁵ S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 45, 63-67, 98.

في الطبعة العربية ص 64، 90-85، 125.

¹⁰⁶ R.N.Frye, Ardalan, "The Encyclopedia of Islam", Vol, I, Lieden- London, 1960, P. 626.

¹⁰⁷ The Encyclopedia of Islam", Vol. I, Lieden- London 1913, P. 427.

50 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

ان يكون الاردلانيون من الكاكائيين بالأصل¹⁰⁸ ، وكما لا يخفى فان الكاكائيين يؤلفون جزءا اساسيا من سكان توابع كركوك.

و حين ابعد الاردلانيون عن المنطقة في اواخر القرن السابع عشر – اوائل القرن الثامن عشر سيطر البابانيون عليها¹⁰⁹ . لكن اسم البابانيين ارتبط بها قبل ذلك التاريخ بما لا يقل عن قرنين من الزمان. فقبل انتقال المنطقة الى ايدي العثمانيين بردح من الزمن انتقل حكم كركوك الى البابانيين. ومما يذكر بهذا الصدد ان "شرفنامه" حينما تأتي على ذكر "امراء بابان" يقول عن "پيربوداق بن مير ابدال" الاتي نصح:

".. و ارسل عدة عمال وموظفين بلقب مير سنجق من قبله الى الاطراف و الجوانب، و منحهم الطبل و العلم، فنشر بذلك الوية العدل و الادارة الجازمة من تلك الارجاء. ثم عمد الى ناحية كركوك، من اعمال بغداد، فنزعها منها، و اسند ادارتها لاحد عماله الملازمين له. و لقد ابدع في فن الحكم والادارة بعض القواعد والأصول التي لم يسبق اليها احد من حكام كردستان¹¹⁰ .

¹⁰⁸ عن ذلك ينظر في "مجلة المجمع العلمي العراقي. الهيئة الكردية"، العدد العاشر، 1983 ص 415 (الهامش رقم 228) و ص 424-425 (الهامش رقم 263).
¹⁰⁹ V. Minorsky, Shehrizur, "The Encyclopedia of Islam, Vol. IV, Lieden - London, 1936, P.345.

¹¹⁰ "شرفنامه" / طبعة القاهرة ص 277، طبعة بغداد ص 289-290، الطبعة

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 51

كما ان بعض الباحثين المعنيين حين يتحدثون عن المقاطعات الكردية التي اعلنت ولاءها للعثمانيين بوساطة ادريس البدليسي في مطلع القرن السادس عشر يطلقون على شهرزور، بما فيها كركوك واربيل وتوابعها، اسم "مملكة او امارة بابان"¹¹¹. ومما يجلب الانتباه ان المصادر العثمانية تشير الى وجود البابانيين حتى في ماردين والرها¹¹². شهدت الامارة البابانية في اواخر القرن السابع عشر و اوائل القرن الثامن عشر سلسلة تطورات مهمة بارتباط مباشر بكركوك بصورة رسمية، و ذلك بعد ان اضطر الامير الباباني سليمان بك بن مامند الى اللجوء الى العثمانيين تحت ضغط الصفويين، مع العلم انه كان الى ذلك الحين "لايعبأ بالسلطان و لا بالشاه"¹¹³. لكن مصير كركوك و توابعها ظل يتقرر، مع ذلك، بتأثير مباشر من زعماء المنطقة من الكرد. فبعد ان عجز باشا كركوك دلاور في ردع زعماء شهرزور، و دفع رأسه ثمنا، بدأت كركوك تعترف بالتبعية لباشوية بغداد بناء على طلب الزعماء انفسهم، فأوفد باشا بغداد الى "كركوك متسلما" و كانت هذه المرة الاولى التي تعترف بها كركوك او الموصل بسلطة بغداد باعتبارها اكبر من

¹¹¹ ينظر على سبيل المثال:

Safrastian, Kurds and Kurdistan, P. 103.

¹¹² عن ذلك ينظر: الدكتور ابراهيم الداغوي، اكراد الدولة العثمانية، ص 37.

¹¹³ S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 80-81.

52 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

مجرد جارة متساوية¹¹⁴. لكن التبعية هذه بقيت، مع ذلك، اسمية على مدى حقبة طويلة من التاريخ. يقول لونغريغ عن حوادث تلك المرحلة:

"كانت باشويتا الشمال الموصل وشهرزور (وعاصمتها كركوك) على طول هذه المدة مستقلتين عن باشا بغداد الا عندما كانت تصدر الاوامر السلطانية بالتعاون و التآزر"¹¹⁵.

لم يطرأ تغيير كبير على هذا الواقع طيلة جانب كبير من القرن الثامن عشر. ففي بداية ذلك القرن كان نفوذ امارة بابان "يمتد من كركوك الى همدان"¹¹⁶. و في خصم الصراع بين الزعماء البابانيين تحولت كركوك و توابعها الى ساحة للعمليات العسكرية، والى نقطة لتجمع القوات الموجهة الى المنطقة من قبل الأطراف المختلفة، بل انها تحولت الى مقر اقامة عدد من الامراء البابانيين، منهم عبدالله ثاشا¹¹⁷. و في مرحلة الاصلاحات التي عاشتها الدولة العثمانية، و ما اسفر عنها من تعزيز السلطة المركزية في اواسط القرن التاسع عشر، شهدت

¹¹⁴ I bid, PP. 93-94. 119 في الطبعة العربية ص

¹¹⁵ I bid, P. 95. 121 في الطبعة العربية ص

¹¹⁶ I bid, P. 159. 193 في الترجمة العربية ص

¹¹⁷ I bid, PP. 158 F, 178-180, 182F, 20F- 209, 227, 233, 246

في الترجمة العربية ص 288, 284-282, 293-294, 297 وغيرها؛ عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص 168-170.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 53

المنطقة تقلصا واضحا لنفوذ الامارات الكردية التي بدأت تلحق اداريا بكركوك و الموصل بصورة فعلية تبعا لازدياد نفوذ العثمانيين على حساب تلك الامارات¹¹⁸.

سجل جميع الرحال الاجانب، الذين زاروا المنطقة في اوقات مختلفة، هذه الحقائق، مع غيرها بشيء من التفصيل تأتي على جوانب قسم منها في مكان آخر من هذه الدراسة. نقتصر هنا على ذكر ثلاثة نماذج فقط، الأول منها ما أورده الرحالة الانكليزي جيمس بيلي فريزر في كتابه الذي نشر بجزأين بعنوان "رحلات في كردستان وبلاد ما بين النهرين"¹¹⁹ على اثر سياحته فيهما سنة 1834. و لكلام فريزر اهميته لالمجرد كونه شاهد عيان، بل ايضا بوصفه "رجلا مهنته الكتابة"، سافر "من استانبول الى ايران بمهمة دبلوماسية و قطع المسافة على ظهور الخيل و لانه كان يسجل في رسائل متتالية الى زوجته "بشياء غير يسير من التفصيل.. كل ما كان يرى في طريقه، او يفكر فيه" حسب وصف افضل مترجم عراقي له¹²⁰.

¹¹⁸ I bid, P. 280. 336 في الترجمة العربية ص

¹¹⁹ J.B.Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia, London, 1840.

¹²⁰ المقصود جعفر خياط، من مقدمته لذلك الجزء من كتاب فريزر الذي عربته ونشره بعنوان "رحلة فريزر الى بغداد في 1834"، 6. اما عن كون "مهنته فريزر الكتابة" فقد اشار الى ذلك لونطريط. ينظر:

54 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

في رسالته الثالثة المؤرخة في السابع عشر من تشرين الأول 1834 يقول فريزر عن محمد باشا، امير رواندز، انه "مديده ايضا الى الغرب والشمال، و توقف في ذلك، بحيث اصبح الان مسيطر على قسم كبير من شمالي مابين النهرين، الى جانب الاصقاع الممتدة من اربيل الى كركوك في الجانب الشرقي من دجلة".

قبل فريزر بربع عشرة سنة استقبل محمد اغا، الذي كان يشغل منصب "ايشك اغاسي" (رئيس التشريعات" في ديوان الامير الباباني محود باشا، استقبل باسم الامير المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريش في طوزخورماتو يوم التاسع والعشرين من نيسان عام 1820 وهو في طريقه الى مقر الامير في السلمانية. يقول ريش عن محمد اغا انه "عين مهماندارا لنا، و جلب لي (الى طوزخورماتو) رسالة رقيقة جدا من محمود باشا"¹²¹.

اما الميجر سون الذي زار المنطقة متنكرا في سنة 1908 فقد ذكر ما يأتي عن امير كردي آخر:

S.H.Longrigg, Four centuries..., P. 337.

¹²¹ C. J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, London, 1. 36, P. 33.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 55

"وبعد سنوات قليلة امتلك محمد باشا، و هو من البابانيين ايضا، سطوة عظيمة في رواندوز، و طالب بدوره بالاستقلال القومي، و استطاع ان يملك بلاد ما بين النهرين العليا، واربيل و كركوك فعلا"¹²². تحتل هذه الحقائق، في الوقت نفسه، مكانة بارزة في الدراسات الأكاديمية التي كرس لتاريخ المنطقة الحديث، الاجنبية منها والعربية على حد سواء، لقد تطرق اليها البروفيسور خالفين¹²³، والدكتور جليلي¹²⁴ و آخرون غيرهما.

و يهمننا ان نسجل هنا بصورة خاصة مذكره بهذا الصدد عدد من الباحثين العرب من عراقيين و غيرهم. فحسب الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار "امتد نفوذ امارة بابان¹²⁵ الى كركوك التي كانت قاعدة ايالة شهرزور. و يرجع الغاء هذه الايالة من التقسيمات الادارية للعراق الى ان الامارة البابانية اصبحت هي القوة البارزة في تلك الجهات. نظرا

¹²² E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise with historical notices of the Kurdish Tribes and Chaldeans of Kurdistan, Second Edition, London, 1926, PP. 371-372.

في الترجمة العربية لفؤاد جميل، الجزء الثاني، بغداد، 1971، ص 148.

¹²³ N. A. Khalfin, Borba za Kurdistan, Moscow 1963, P.

18.

¹²⁴ J. Jalil, Kurdi Osmanskay Imperii v perrvoy polovne xix veka, moscow, 1973, PP. 52, 60.

56 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

لاتساع هذه الامارة خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر و اوائل القرن التاسع عشر اصبح يطلق على الحاكم باباني اسم باشا كردستان¹²⁶.

يقول المؤرخ و الدبلوماسي العراقي الدكتور علاء موسى كاظم نورس " و أخذت الاسرة البابانية تتوسع على حساب الامارات المجاورة لها مثل الصورانية و البهدينانية، حتى اصبحت تسيطر على رواندوز و كفري و كوي و حرير و قزوجة و سروجك و قرهداغ و أربيل، و امتد نفوذها الى كركوك. و هكذا توسعت الامارة البابانية التي اصبحت تعرف في التأريخ العثماني باسم بابان او جاغلقلي¹²⁷. و يقول ايضا:

" و قد بلغ البابانيون ذروة مجدهم في عهد عبدالرحمن الباباني الذي تولى امارة بابان سنة 1788 (بلغت مدة حكمه اربعا وعشرين سنة تقريبا)، فقد كانت اطماعه السياسية، و مطامحه القومية ترمي دائما الى تأسيس حكومة مستقلة في العراق، فاجتهد في سبيل ذلك كثيرا، حيث اشتبك مع قوات بغداد في عدة معارك، و كاد أن ينتصر في احدى معاركه الفاصلة على قوات بغداد في معركة جوار كفري سنة 1812 لولا ان الفشل لحق به في النهاية. و لم يكن عبدالرحمن الباباني

¹²⁶ الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ: العراق الحديث، ص 112-113.

¹²⁷ علاء موسى كاظم نورس، حكم المالك في العراق 1750-1831، بغداد، 1975، ص 164-أصل الكتاب رسالة جامعية قدمت الى كلية الاداب جامعة بغداد في العام 1973 لنيل شهادة الماجستير.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 57

يعمل على تحقيق هدفه بالاستقلال عن بغداد فحسب، بل كان طامعا
بباشوية بغداد ايضا.. ثم انه بلغ من القوة بحيث انه هو الذي نصب
الوالي المملوك عبدالله باشا على بغداد¹²⁸. و يقول عن الأمير الباباني
محمود الذي تولى الامارة بعد وفاة والد عبدالرحمن الباباني المذكور في
سنة 1813 انه طالب الوالي داود باشا الموافقة على ضم اربيل والتون
كوبري، اللتين تقعان الى شمال و الشمال الشرقي من كركوك، الى
امارته¹²⁹.

و سجل الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف في كتابه "الموصل في العهد
العثماني" الملاحظة الدقيقة التالية التي لها مغزاها العميق بالنسبة
لموضوعه علاقة كركوك و توابعها بالامارات الكردية الحديثة. يقول
الدكتور، و هو بدوره متخصص عراقي معروف في تأريخ العراق
الحديث، و عضو سابق للمجلس الوطني الحالي:

" و في عام 1812م / 1227هـ قرر و الي بغداد الجديد عبدالله باشا
عزل عبدالرحمن باشا الباباني عن الوية كوي و حرير، بعد ان كان قد
حرمه - في العام السابق - من منصب لواء بابان نفسه. و عندما زحف

¹²⁸ المصدر نفسه، ص 166.

¹²⁹ المصدر نفسه، ص 166-167.

58 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

والي بغداد بجيشه الى كركوك وجد بان جميع رؤساء المدينة واطرافها وعشائرها يتعاونون سرا مع عبدالرحمن باشا¹³⁰.

اما فيصل محمد الارحيم الذي نالت رسالته للماجستير "تطور العراق تحت حكم الاتحاديين" تقدير ممتاز من جامعة عين شمس بالقاهرة، فإنه يقول عن الموضوع نفسه:

"فقد توسعت هذه الامارة (البابانية) كثيرا، و امتد نفوذها حتى شمل كركوك، قاعدة ايالة شهرزور.. و في اوائل القرن التاسع عشر بلغت هذه الامارة اكبر اتساع لها، واصبح الحاكم الباباني يطلق عليه باشا كردستان.."¹³¹.

لم تكن هذه الامور، دون ريب، مرتبطة فقط بواقع سكاني و جغرافي محدد، بل و انها نجحت، في الوقت نفسه، وفي سياق عام لخاص يتجاوز عادة حدود الزمان و المكان، عن واقع اقتصادي مرتبط بهما بصورة موضوعية.

الواقع الاقتصادي لكركوك وتوابعها

¹³⁰ عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي 1139-

1249 هـ / 1834-1726 م، النجف، 1975، ص 150.

¹³¹ فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (1908-1914)،

الموصل، 1975، ص 83.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 59

لاسباب شتى لم تؤد كركوك تاريخيا دورا اقتصاديا متميزا، و يكمن في ذلك احد الاسباب الاساسية لعدم شهرتها حتى القرن العشرين على العكس تماما من الموصل مثلا. فكما اسلفنا كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، اذ قلما استخدم يومذاك الطريق البري الممتد من بغداد الى كفري - دافوق - كركوك - اربيل للوصول الى الموصل. ولكن شجع الخراب الذي اصاب شاطيء دجلة و المناطق المحاذية له على تطوير ذلك الطريق في العهد العثماني، الا انه حتى يومذاك سلك اوليا ضلبي الطريق المحاذي لدجلة في سفرته من تركيا الى بغداد، و العودة منها كما هو مثبت في الصفحة السادسة من الجزء الخامس من "سياحتنامه"¹³².

لكن كركوك و توابعها الفت، مع ذلك، نقطة تمويل و تلق تجاري مهما بالنسبة للمناطق الكردية منذ اقدم الازمنة في نطاق تجارتها المحدودة اصلا. جاء وصف كركوك في "دائرة المعارف البريطانية" باعتبارها "واحدة من اهم مراكز التسويق الرئيسة في كردستان"¹³³. و ورد في طبعة أحدث لدائرة المعارف البريطانية بهذا الخصوص ما نصه

¹³² عن ذلك ينظر ايضا في:

J.H.Kramers, Kirkuk, "The Encyclopedia of Islam", Vol.II, P. 1028.

¹³³ Encyclopedia Britannica?, A New Survey of Universal Kno Wledge, Vol. 13, Chicago- London- Toronto, 1947, P. 414.

60 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

(تعد كركوك سوقاً للمنتوج الزراعي للمنطقة.. ومركزاً لتصدير الصوف والحبوب والمواشي والحفص والصمغ المنتج في مرتفعات زاغروس¹³⁴. وردت اشارات واضحة الى الحقيقة نفسها في كتب الرحلات. لاحظ الوكيل الرسمي الفرنسي ج. أ. اوليفيه (G.A.Olivier) في العام 1791 القوافل المتوجهة من المناطق الكردية الشمالية، و من الموصل الى اربيل و كركوك¹³⁵.

تطلب ذلك، فضلا عن العوامل السوقية (الستراتيجية) المعروفة، ضمان اتصال وثيق بين كركوك والمناطق الاخرى، الامر الذي تتوفر عنه دلائل واضحة من مختلف العصور. فقبل ظهور الاسلام بقرون افتضت العلاقات بين كركوك واربيل تأسيس جسر على الزاب الصغير عند موقع التون كوبرى، او بالقرب منه، اطلق عليه السكان المحليون اسم "پردئ" الذي يعني الجسر في الكردية، ليغدو بالتدريج اسما مرادفا للمنطقة باسرها. وكان الجسر موجودا في القرن السادس عشر عندما

¹³⁴ "Encyclopedia Britannica", Vol. 13, Chicago- London, 1965, P. 388.

¹³⁵ "رحلة اوليفية الى العراق"، ترجمة الدكتور يوسف حبي، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988، ص 61-62.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 61

مر به السائح الاوروبي لئون راولف، فسجل اسم المنطقة بصيغته الكردية (پرسته - پردئ)¹³⁶.

تطورت هذه الروابط لاحقا. فلم يكن مجرد صدفة ان ظهر في اواخر العهد العثماني مشروع سكة حديد كان من المقرر له ان يبدأ من دياربكر و يمر بالموصل ثم كركوك و ينتهي في السليمانية. و في سنوات الانتداب حاول البريطانيون تحويل كركوك و أربيل الى قاعدة لتعزيز العلاقات الاقتصادية بغربي ايران - كردستان و اذربيجان، بهدف شل روابطهما التقليدية بمناطق القفقاس و ما وراء القفقاس الداخلة ضمن الحدود السوفيتية. ففي اواسط العقد الثالث من القرن العشرين ثم ارسال قوافل تجارية خاصة من كركوك الى داخل الحدود الايرانية عن طريق اربيل - رواندوز و من اجل انجاح التجربة ارسلت سلطات الانتداب طلبا خاصا الى لندن لصنع جسرين جديديين لنصبهما على الانهر التي تعترض الطريق المذكور¹³⁷، وتحول هذا الأمر بالتحديد الى احد العوامل الاساسية التي دفعت البريطانيين الى بذل جهود خارقة،

¹³⁶ للتفصيل عن ذلك ينظر في: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء

الثاني، 1375 هـ - 1956 م، ص 370-371.

¹³⁷ "Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1926", London, 1927, P. 28.

62 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

واموال طائفة لشق طريق مبلط بذلك الاتجاه، ينتهي عند الحدود العراقية - الايرانية¹³⁸.

اعتمدت تجارة كركوك اساسا على المنتج الزراعي للريف لكردى المرتبط بها، فضلا عن المناطق الكردية الاخرى. و اذا استذينا كبار التجار اليهود، و عددا من التجار المسيحيين فان التجار الكرد والتركماني، و لاسيما الصغار و المتوسطين منهم، كانوا هم المسيطرون دائما على اسواق كركوك و توابعها و ان اللغتين الكردية والتركمانية كانتا لغة التعامل في تلكم الاسواق، و كما هو معروف فان الشورجة - اكبر اسواق كركوك- هي محلة تجارية خاصة بالكرد.

لاحظ معظم الرحالة الذين زاروا كردستان الروابط الاقتصادية القوية لكركوك و توابعها مع المناطق الكردية الاخرى. في الخامس والعشرين من حزيران سنة 1820 سجل المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريش، اثناء زيارته الى كردستان، الملاحظة الآتية في يومياته عندما كان ضيفا على الامير الباباني في السليمانية:

"في الليلة الماضية كنت منهمكا جدا مع عمر اغا لمعرفة المنتوجات الطبيعية في كردستان. ان كركوك هي السوق التي ينقل اليها كل

¹³⁸ للتفصيل عن ذلك ينظر:

A.M.Harnilton, Road through Kurdistan, London, 1937.

نشر المحامي جرجيس فتح الله الترجمة العربية للكتاب ببغداد.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 63

ماينتج في هذا الجزء من كردستان". واكد ريش ايضا ان الذين يقومون بنقل تلك المنتوجات "هم مواطنو كركوك الذين يأتون الى هنا لهذا الغرض، ولعقد الصفقات مع الزراع لشراء ما ينتجونه من رز وعسل وغيرهما...¹³⁹.

و قبل ذلك تحدث ريش ايضاً عن منتوج الملح في طوزخورماتو، و عن تصديره برمته الى المناطق الكردية، و قدر قيمته بعشرين الف قرش في السنة¹⁴⁰، مما يعد مبلغاً له وزنه حسب القوة الشرائية السائدة في ذلك الزمن. كما يبدو من بعض ملاحظات ريش ان انواعاً من البضائع النادرة في عهده كانت تنقل من كركوك الى السليمانية¹⁴¹.

ان مثل تلك الروابط الاقتصادية القوية هي التي دفعت افراد بعض اسر السليمانية التجارية المعروفة الى اختيار (كركوكي - كركوكلي) لقباً لهم¹⁴².

كما ان الواقع نفسه فرض تشابهاً كبيراً بين المؤسسات التجارية القديمة في كركوك والمدن الكردية الاخرى، الأمر الذي لاحظته Gavin

¹³⁹ C.J.RRCH, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I. P. 141.

¹⁴⁰ I bid, Vol. I, P28.

¹⁴¹ I bid, Vol. II London, 1836, P.3.

¹⁴² M.R.Hawar, The Leader, Sheikh Mahmud and Southern State of Kurdistan, in Kurdish, London, 1990, P. 234.

64 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

Young اثناء زيارته للعراق في أواخر السبعينيات من القرن العشرين¹⁴³.

يمكن ملاحظة جوانب أخرى من الموضوع نفسه من خلال مسجله الرحالة الاجانب الذين زاروا المنطقة، ممن تعد مؤلفاتهم مصادر اصيلة في ميادين التاريخ و الاجتماع و الاقتصاد و السياسة.

كركوك وتوابعها في كتب الرحالة

توجه الرحالة الاجانب الى كردستان في وقت مبكر نسبياً، و زار العديد منهم كركوك و توابعها، و سجلوا ملاحظات دقيقة عنها لها قيمتها العلمية. الخاصة كونها صادرة عن شهود عيان كانوا يتمتعون بثقافة رفيعة حسب مقاييس عصرهم، و عصرنا ايضا. ان ما هو متوفر بين ايدينا من معلومات تلك الرحلات يلقي ضوءا ساطعا على العديد من جوانب الموضوعات التي نحن بصدد معالجتها في هذه الدراسة¹⁴⁴ ، و قد سبقت الاشارة الى قسم منها.

تشير المعلومات الواردة في اقدم الرحلات المتوفرة بين ايدينا الى الطابع الكردي لكركوك وتوابعها بوضوح. فان الطبيب والتاجر الالماني

¹⁴³ G. Young, Iraq: Land of Two Rivers London, 1980
PP. 235- 236, 243.

¹⁴⁴ لاسباب معروفة لم يتسن، للاسف، الاطلاع على جميع كتب الرحلات التي تهتم هذه الدراسة.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 65

الدكتور ليونارد راولف الذي زار كركوك وبعض توابعها في اواخر العام 1574، ونشرت رحلته بالانكليزية في العام 1693¹⁴⁵، قد حدد لنا في ذلك الوقت المبكر حدود المنطقة الكردية التاريخية، و في عهده كذلك، بصورة دقيقة حين كتب يقول:

"بدأنا مسيرتنا (من بغداد) في اليوم السادس عشر من شهر كانون الأول (سنة 1574) متجهين نحو كركوك التي تبعد مسيرة ستة أيام، و تقع في حدود ماذي (ميديا)، و قد بدأنا السفر من الطرف الثاني لنهر دجلة.. و على مسافة قصيرة من دافوق شاهدنا قلعة محصنة فيها احدى الحاميات التركية، و هذه تقع في منطقة الأكراد التي تبدأ من هنا و تسير بامتداد نهر دجلة بين ماذي (مادي - ميديا) و بين النهرين حتى تصل الى ارمينيا". و يقول عن الكرد انفسهم انهم "يتحدثون بلغة خاصة لم يكن رفاقي المسافرين معي¹⁴⁶ يعرفونها، كما ان الاكراد لا يستطيعون التحدث لا بالفارسية او التركية الشائعة الاستعمال مابين

¹⁴⁵ Pr. Leonard Rauwolff, Travels, collected in "A Collection of Curious Voyages and Travels" (12 Vols) by John Ray, London, 1693 (Quoted in: S. H. Longrigg, Fuor Centuries of Modern Iraq, PP. 33,331).

¹⁴⁶ حتما ان هؤلاء المسافرين كانوا اما عربا او موظفين عثمانيين. ونشير بالمناسبة الى اننا اعتمدنا على ترجمة سليم طه التكريتي لرحلة راولف الذي ينعتة المترجم بكونه طبيبا هولنديا، في حين يعده لونطريط طبيبا و تاجرا المانيا كما بينا ذلك في المتن.

66 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بغداد واشور، وذلك اضطررنا الى من يعرفون اللغة الكردية ان يكونوا بمثابة مترجمين لنا اثناء مرورنا ببلاد الاكراد¹⁴⁷.

و حين يصل راولف الى التون كوبري في الثلاثين من كانون الاول 1574 يطلق عليها اسم ثرسته المحرفة من كلمة (پردئ) الكردية التي كان الكرد، و لايزالون يطلقونها اسما على المنطقة¹⁴⁸. و عندما يصل بعد ذلك الى الزاب الكبير يفعل الشيء نفسه، اذ يطلق اسم "كهلهك" الكردي على المنطقة، و هو نفس مصطلح "كهلهكى ياسين اغا" المستخدم حتى يومنا هذا. يتحدث راولف عن الطابع الكردي لهذه المنطقة على النحو الآتي:

"كان ذلك النهر يعترض طريقنا، وكان عريضا، يبلغ عرضه زهاء الميل و لم يكن من اليسير عبوره دون التعرض الى الخطر و ذلك امر يعرفه الاكراد جيدا، في ذات الوقت الذي كنا نحن نشعر فيه بالخوف من

¹⁴⁷ "رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين للرحالة الهولندي الدكتور ليونهارد راوولف"، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، 1978، ص 192، 196-197.

¹⁴⁸ المصدر نفسه، ص 199، عن ذلك ينظر ايضا في "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء الثاني، 1375 هـ - 1956 م، ص 370-371.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 67

اولئك الاكراد انفسهم، و مع ذلك فقد وجدنا بين جماعتنا ممن سبق لهم عبور ذلك النهر، و هكذا غامرنا في عبوره¹⁴⁹.

و يبدو واضحا مما سجله الدكتور راولف ان الكرد كانوا مسيطرين حتى ضواحي مدينة الموصل نفسها — منطقة اتاوتهم، و كانوا موجودين ايضا على مسافة مسيرة طويلة باتجاه الغرب من الموصل صوب نصيبين و حلب، فانه غالبا مايورد اسم الكرد حيثما يحل في غضون المدة التي تغطي شهر كانون الأول من العام 1574 و كانون الثاني من العام 1575 من رحلته، و باسلوب يجلب النظر تماما¹⁵⁰.

يبدو واضحا من كتب الرحلات الاخرى ايضا ان الكرد كانوا يمتدون بعيدا الى الغرب والجنوب من مناطق تمركزهم الحالية في كركوك وتوابعها، وكانوا موجودين على الضفة الغربية (اليمنى) من نهر دجلة باعداد تجلب النظر.

ففي شباط عام 1652 عندما توجه الرحالة الفرنسي تافرينيه (Jean Baptiste Tavernier) من الموصل الى بغداد عن طريق نهر دجلة سجل الملاحظة الآتية في اليوم التاسع عشر من رحلته عندما وصل الى نقطة التقاء الزاب الصغير بنهر دجلة مايعرف بالفتحة الواقعة بين شرقاط شمالا و تكريت جنوبا:

¹⁴⁹ "رحلة المشرق الى العراق.."، ص 202.

¹⁵⁰ المصدر نفسه، ص 207-209.

68 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"و في ذلك اليوم لم نر غير اعراب وأكراد يسرون بمحاذاة ضفتي النهر: الكرد في جهة مابين النهرين، و العرب في الجهة الآشورية"¹⁵¹.

و بعد مرور اكثر من مائة و خمسين عاما عندما يصل ج. س. بكيينغهام الى دلي عباس يسجل الملاحظة الاتية التي وردت في الجزء الثاني من كتابه "رحلات في بلاد مابين النهرين"¹⁵².

"لم نر مساكن يقطنها العرب لوحدهم اثناء طريقنا منذ ان تركنا الموصل حتى الان. فالفرسان العرب الذين التقينا بهم في التون كوثرى كانوا في حملة، في حين كان معظم سكنة المدينة من الاتراك والأكراد. اما هنا في قرية دلي عباس الصغيرة (بالقرب من بعقوبة) فان سحن السكان ومظاهرهم ولغتهم وعاداتهم كلها عربية خالصة، وان البدو فيها اكثر من الفلاحين"¹⁵³.

في العام 1834 لاحظ فريزر الحقيقة ذاتها باتجاه الجنوب الغربي من كركوك¹⁵⁴. فبعد ان يترك كفري، و يتوجه صوب بغداد عن طريق حميرين يقول:

¹⁵¹ "العراق في القرن السابع عشر كما راه الرحالة الفرنسي تافرينيه"، نقله الى

العربية وعلق حواشيه بشير فرانسيس وكوركيس عواد، بغداد، 1944، ص 73.

¹⁵² J.S.Bakingham, Travels in Mesopotamia, Vol. II, London, 1827.

¹⁵³ في الجزء الاول من الترجمة العربية لسليم طه التكريتي الذي طبع في بغداد

بمساعدة المجمع العلمي العراقي بعنوان "رحلتي الى العراق سنة 1816"، ص 175.

¹⁵⁴ في كتابة:

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 69

"فقد زودنا مضيفنا في كفري سليم اغا بدليل الى المرحلة التالية، لكنه اوصانا بالحاح ان لانبدأ برحلتنا قبل الصباح، و لذلك لم نتحرك قبل بزوغ الفجر. و الحقيقة ان هذه المرحلة كانت مرحلة خطيرة، لان الطريق بالنظر لوقوعه على الحدود بين الاكراد و العرب تماما كان يتعرض للسلب والنهب من الفريقين معا"¹⁵⁵.

و عندما يصل فريزر نهايات جبل حميرين يسجل ملاحظة مهمة اخرى، يقول نصها: "فكانت هذه تلال حميرين التي تعد فرعا من جبل حميرين الذي يمتد من كردستان"، و هنا بان له "في الافق البعيد خان دلي عباس"¹⁵⁶.

و قبل فريزر بربع عشرة سنة قدم لنا ريش، اثناء رحلته من بغداد الى كردستان، معلومات مفيدة عن الموضوع نفسه. فانه لم يشر، و منذ دخوله قرعةثة في الساعة الواحدة الا عشرين دقيقة من يوم الرابع و العشرين من نيسان، و كذلك في طريقه من قرعةثة الى كفري التي دخلها في الساعة العاشرة الا عشرين دقيقة صباح يوم الخامس و العشرين من نيسان، لم يشر الى وجود عربي واحد في كل المنطقة، مع

J.B.Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia,
London, 1890.

¹⁵⁵ "رحلة فريزر الى بغداد في 1834"، ص 62.

¹⁵⁶ المصدر نفسه، ص 64-65.

70 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

العلم ان وجود عدد من اليهود في كفري، ممن "كان لديهم معبدهم الخاص هناك"، قد جلب نظره، و اثار دهشته¹⁵⁷.

تكتسب المعلومات التي لاحظها الضابط البريطاني الميجر فردريك مللنجن اهمية خاصة في هذا المضمار. فقد كان مللنجن يعمل بالجيش العثماني، قام برحلة داخل كردستان في العام 1869 فدرسها بقعة بقعة، وتابع كل شيء فيها "من ارضروم حتى قوتور على الحدود الايرانية"، ونشر رحلته بعد عام في كتاب اختار له عنوان "حياة بدائية بين الكرد"¹⁵⁸.

يقول مللنجن "ان النهاية الجنوبية لكردستان تحدد بسلسلة جبال حميرين التي تتاخم سهول بغداد وارض دجلة المنخفضة.. هنا، كما هو الحال على ضفتي نهر دجلة، ادى الاحتكاك المتواصل للكرد مع جيرانهم العرب الى ان يبصم الامر على خصائصهم و اسلوب حياتهم بما يشبه النمط العربي"¹⁵⁹. و بالنسبة لكركوك نفسها لاحظ مللنجن خضوعها للامير الرواندوزي محمد باشا¹⁶⁰، الامر الذي اشار اليه بعده رحالة انكليزي اخر هو المجيرسون كما اسلفنا.

¹⁵⁷ C.T.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 12-15.

¹⁵⁸ Major Fredrick Millingen, Wild life among the Kurds, London, 1870, CXLLL + 380 PP.

¹⁵⁹ I bid, P. 151.

¹⁶⁰ I bid, P. 186.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 71

في الفصل الرابع عشر من "رحلته المتنكرة الى بلاد ما بين النهرين و كردستان" و الذي يحمل عنوان "الى كركوك"، لا يتحدث الميجرسون لا في كركوك، و لا في التون كوبري، و لا في الطريق الممتد بينهما عن لقائه سوى بمسافر عربي واحد، في حين انه يتحدث بالكردية في كل مكان زاره، ويلتقي الكرد و التركمان حيثما يذهب، ويصف سيطرة عشيرة الهوند الكردية المعروفة، التي تعد واحدة من اهم عشائر كركوك، على المنطقة باسرها، ويتحدث في الفصل الذي يليه عن القرى الكردية بين كركوك و التون كوبري و غير ذلك من امور¹⁶¹. و بعد ان يغادر التون كوبري على الكلك، متجها صوب الفتحة و بغداد، و بعد ان يقطع مسافة باتجاه الجنوب الغربي من التون كوبري يسجل لنا ملاحظة دقيقة بخصوص الواقع الأثني للمنطقة، اذ يقول مانصه:

"و قبل نحو ساعة من غروب الشمس ارسينا في قرية صغيرة كردية.. و تناولنا على شاطيء صخري غذاءنا البسيط الذي كان من الخبز و الفاكهة، و اضطجعنا للنوم على الحصي حتى لاحت تباشير الصباح. ثم سافرنا قدما على مدى ثلاثة ايام بين التلال المنخفضة في الزاب الأسفل الأخاذ وهو يخترق ارضا تكاد تكون مهجورة. لقد تجلى الان اننا، على كل حال، جعلنا الكرد و التركمان وراءنا، ذلك اننا لم نر

¹⁶¹ E.B.Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, PP. 235-250, 355-358.

في الترجمة العربية: ص 110، 100، 113، 126، 126 وغيرها.

72 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بعد ذلك الا العرب وعدد قليل جدا منهم (من الكرد واطركمان)¹⁶². و من المفيد ان نشير الى ان العديد من الرحالة الاخرين لاحظوا قبل الميجرسون ان منطقة انتشار عشيرة هموند ونفوذها كانت اوسع بكثير من واقعها المعاصر. ففي اواخر القرن التاسع عشر، مثلا، تحدث قس من القوش الى العالم الاثاري البريطاني الشهير السر ارنست الفرد بدج (1857 - 1935) عن هجوم هموند على دير الريان هرمز هناك في حدود العام 1750¹⁶³. و سجلت "دائرة المعارف الاسلامية، ملحوظة مقتبسة من رحلة تعود الى اواخر القرن التاسع عشر تقول "و اعتادت عشيرة هموند ان تهبط حتى تبلغ ضفاف دجلة"¹⁶⁴. اما لونجريك فانه يقول "كان هموند يغزون من كركوك الى همدان"¹⁶⁵.

¹⁶² I bid, PP. 55-356.

في الترجمة العربية: ص 124-123.

¹⁶³ نشره بدج لاحقا في كتابه:

Sir Willis Budge, By Nile and Tigris, Vol. II, London, 1920.

(وفي الترجمة العربية لفؤاد جميل بعنوان "رحلات الى العراق"، الجزء الثاني، بغداد، 1968، ص 137).

¹⁶⁴ "دائرة المعارف الاسلامية"، المجلد الثاني عشر، العدد الخامس، ص 184.

¹⁶⁵ S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 278.

في الترجمة العربية ص 334.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 73

و الأهم من كل ذلك ماسجله وكيل القنصل البريطاني في الموصل بهذا الخصوص في تقرير مسهب له يقع في خمس صفحات من الحجم الكبير، و يحمل تاريخ 21 نيسان عام 1910، فقد ذكر ان مناطق سكن الهموند كانت تمتد الى الجنوب من كركوك، و قدر عددهم يومذاك بخمسة الاف شخص، مما يمثل ثقلا سكانيا كبيرا حسب الواقع الديموغرافي للمنطقة يومذاك¹⁶⁶.

يبدو واضحا ان الهموند اضطروا الى التركيز في الشمال الشرقي من كركوك، بوصفها منطقة اكثر تحصنا من جنوبي كركوك، و ذلك بعد الضربات القوية التي وجهتها اليهم السلطات العثمانية، بلغت حد نفي اعداد كبيرة منهم الى طرابلس الغرب بهدف وضع حد لتجاوزاتهم المستمرة على القوافل التجارية المارة عبر المنطقة¹⁶⁷.

اورد رحالة شرقي، زار المنطقة في بداية القرن التاسع عشر، اراء وملاحظات مشابهة لاراء وملاحظات الرحالة الاوروبيين عن كركوك وتوابعها. فان السيد محمد بن السيد احمد الحسيني المعروف بالمنشيء

¹⁶⁶ Public Recerd Office, F.O, 195/ 2339, X/K- 780,

H.B.M. Vice- Conulite, Mousul, April 22 st, 1910, P.1.

¹⁶⁷ يبدو ذلك واضحا من كتب الرحالة المتأخرين، كما اشار اليه كل من عباس العزاوي ولونطريط والميجرسون و محمد امين زكي وغيرهم كثيرون، ووردت في تقرير وكيل القنصل البريطاني المذكور تفصيلات مهمة عنه (I bid, PP. 1-5).

74 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

البغدادي تجول سنة 1820 "في ديار الكرد ومواطن العراق الاخرى"، وعندما وصل كركوك سجل عنها مانصه:

"من تازة خورماتو الى كركوك سبعة فراسخ. وكركوك بلدة جميلة، و ان قلعتها تقع على تل، و ان البلدة في اطراف القلعة وحواليها، وان اهلها اشرار، وكلهم اترك ينكجيرية (انكشارية) واكراد، اكثرهم شافعية، وبعضهم حنفية، ولها نحو مائتي قرية، وكل قراها علي اللهية"¹⁶⁸.
وعن طوزخورماتو، التي يذكر اسمها بصيغتها الشائعة يومذاك، أي دوزخورماتو، يقول "ولغتهم الكردية والتركية، وعقيدتهم العلي الهية، يرعون الغرباء ويبرونهم، ويحترمونها في ضيافتهم، ونساؤهم شهيرات بالحسن والجمال، ويقرب عددهم من الف بيت"¹⁶⁹. و على بعد نصف فرسخ من پردئ (التون كوپرى) يلتقي "قبيلة بربرية تبلغ نحو اربعمائة بيت ليس لها كسب سوى ضرب العود، و صغارها يرقصون، يذهبون لكل بلد و مدينة، وهؤلاء يقال لهم الكرد الجولكية"، ومن "التون كوپرى الى اربل ثمانية فراسخ، و في الطريق اكراد ديزقوى، و يبلغون الف بيت"¹⁷⁰.

توجد اراء اخرى كثيرة للرحالة الاجانب عن كركوك وتوابعها جديرة بالتسجيل نتطرق الى قسم منها في مباحث لاحقة من هذه

¹⁶⁸ "رحلة المنشيء البغدادي"، ترجمة عباس العزاوي، بغداد، 1948، ص 64.

¹⁶⁹ المصدر نفسه، ص 55.

¹⁷⁰ المصدر نفسه، ص 76.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 75

الدراسة. يلخص لونجريك في كتابة المصدر "اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" اراء الرحالة الذين مروا بكركوك في اوقات مختلفة قبل القرن العشرين بقول له مغزاه الكبير، هو:

"و قد اعجب الرحالون بكركوك، فوصفوها بانها مدينة جميلة رائعة، حيث كان النطق السائد التركية المفككة و الكردية الشهرزورية"¹⁷¹.

و آخر مانقتبسه من كتب الرحالة هو ملاحظات معاصرة وردت في كتاب الصحفي الهولندي ماليبارد الذي زار العراق في مطلع العقد السادس من القرن العشرين، أي بعد طبع كتاب لونجريك بثلاثة عقود. فبعد ان يترك ماليبارد بغداد متوجها صوب كردستان، و يقترب من تلول حميرين يصف لنا بأسلوب رومانسي اخاذ في مبحثه المعنون "بين سهول العراق وجبال كردستان" الانتقال الى منطقة جديدة، فقال:

"بين تلك التلول المنتشرة وبطاحها الملتوية، حيث تبين ارض الأكراد، يبدو الربيع باجمل حله، ينشر في الفضاء عبر نسامته فترى الارض مختصرة تكشف عن زينتها و مفاتنها على امتداد افاقها وابعادها، يسودها الهدوء و الكسينة، فيشعر الانسان في اعماق نفسه

¹⁷¹ S.H.Longrigg, Four Centures of Moclern Iraq, P. 10.

في الترجمة العربية، الطبعة الخامسة، ص (23).

76 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بالراحة و الهناء و الأمن و السلام، و يتحسس بعظمة الله في خلقه، و يشاهد جماله في سحر الطبيعة و اغرائها¹⁷².

ثم يضيف ماليبارد على ذلك قوله " و يعيش هنا على الحدود الفاصلة بين الشمال و الجنوب العرب و الأكراد بسلام و وئام متجاورين، و مثل هذا الجوار نجده في اوربا ايضا¹⁷³.

ان مثل هذه العلاقات الطيبة بين العرب و الكرد التي اشار اليها الهولندي ماليبارد، و مراقبون آخرون كثيرون، كانت هي التي تسود الشعبين منذ ان دخل العرب كركوك و توابعها.

العرب في كركوك و توابعها

كما اسلفنا دشن الاسلام اول احتكاك واسع للعرب بالكرد و كردستان دون ان يؤثر ذلك على واقعهما القومي الا في اطار الروح والدين. ولم يشر الرحالة الى وجود عربي متمركز في كركوك و توابعها الا في بعض مناطق الانتقال، و الحافات. حدد مارك سايكس في بحثه الرصين عن "القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية"، الذي هو حصييلة دراسة ميدانية اعتمدت على سفرة قطع فيها الباحث 7500 ميلا داخل

¹⁷² C.H.J.Maliepard, Wasserader am Euphrat oder Zwischen Arabern und Kurde.

في الترجمة العربية للدكتور حسين كبه: نواعير الفرات او بين العرب و الاكراد، بغداد، 1957، ص 206.

¹⁷³ المصدر نفسه، ص 209.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 77

المنطقة نفسها قبل الحرب العالمية الاولى بمدة كما بيننا ذلك في مكان آخر من هذه الدراسة، حدد الوجود الاثني غير الكردي في القسم أمن مبحثه الذي يشمل المنطقة المحددة "ببحيرة و ان و الهضبة الارمنية شمالا، و بنهر دجلة غربا، و بسهول العراق جنوبا" هكذا:

"ان المجموعات الاجنبية، او على الاقل غير الكردية، يمكن حصرها بالسكان العرب - الاراميين (Arabo- Aramean) في الموصل، والارمن الذين يعدون نسطوريين، و المسيحيين اليعاقبة في عين كاه و عقره و كويسنجق، و لاتراك (الترکمان) في التون كوبرى و السهول الواقعة شرقي الموصل"، الأمر الذي جسده بوضوح في الخارطة التي الحقها بالبحث¹⁷⁴.

ان الوجود العربي المتمركز في كركوك و توابعها حديث تأريخيا، و هو على نمطين الأول عشيري، و هو الاساس، و الثاني مدني وظيفي كان اساسه قطاع العمال حتى ثورة الرابع عشر من تموز 1958. و يبدو ان عدد قليلا من كرد المنطقة قد استعربوا بصورة طبيعية بتأثير من الاسلام و ثقافته في مرحلة ما قبل تبلور العاطفة القومية. لاحظ مراقب روسي زار المنطقة في مطلع القرن العشرين ان العرب فيها "كما

¹⁷⁴ Mark Sykes, The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, "The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland", Vol XXXVIII, 1908 (July to oecember), PP. 451-453.

78 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

يبدو من شكلهم " هم "اقرب الى الكرد وساميي سوريا" ممن تبناوا لغة العرب وثقافتهم¹⁷⁵ .

ان اهم عشيرة عربية موجودة في كركوك و توابعها هي عشيرة العبيد. يرتبط وجود العبيد في جنوب غربي كركوك بتحريك عشيري كبير حدث في وسط العراق، والى الشمال من بغداد في اواخر القرن الثامن عشر - اوائل القرن التاسع عشر، نجم عن هجرة قبيلة شمر المعروفة من غرب الفرات الى شرقيه بتأثير ضغط عشيرة عنزة عليها، و بتحريض من الحكومة العثمانية التي شجعت الشمر لاسباب كان احدها يكمن في رغبتها في "كسر شوكة قبيلة العبيد"¹⁷⁶ . نتيجة لذلك عبرت عشيرة العبيد من الضفة اليسرى، أي الضفة الشرقية من دجلة، وانتقلت اقسام منها "الى الحويجة متخطية بذلك جبل حميرين" لأول مرة في تاريخها¹⁷⁷ , وهو كما لا يخفى، تاريخ حديث. صاغ لنا مؤرخ "عشائر العراق" المعروف عباس العزاوي الموضوع هكذا في اكثر من مكان من كتابه المصدر:

¹⁷⁵ Zarnetki p politcheskom Polojenii v Youjnom

Kurdistane Severnay Mesopotami", "Izvestia Shtaba Kavkazskovo Voennovo Okruga", No. 1-2, 1904, P. 52.

¹⁷⁶ عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، بغداد، 1937، ص 231، 327.

¹⁷⁷ S.H.Longrigg, Four Canturies of Modern Iraq , P. 202.

في الترجمة العربية ص 242.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 79

في اواخر القرن الثامن عشر تعرض العبيد الى ضغط شمر ايضا، فقد "خضدت شوكة قبيلة العبيد نوعا، بل كادت ان تلحن"¹⁷⁸، فازاح الشمر العبيد "و غيرهم، وتمكنوا من مواطنهم"¹⁷⁹. و قد احدث ضغط الشمر خلاا كبيرا، امتد تأثيره الى الجبور، و انعكس على الواقع السكاني باتجاه الجنوب الغربي خلاا كبيرا، امتد تأثيره الى الجبور، و انعكس على الواقع السكاني باتجاه الجنوب الغربي من كركوك، فيقول العزاوي عن ذلك "ومن ثم تواردت شمر حتى عظم امرها، و احتلت الجزيرة، فدفعت هذه القبائل الى انحاء مختلفة، فحالت قبيلة العبيد الى الحويجة، وازاحت البيات الى اماكنهم الحالية، وهكذا جرى على الجبور فتفرقوا"¹⁸⁰. و من الضروري ان نشير الى ان العبيد بعد ان انتقلوا الى موطنهم الجديد فان معظمهم لم يرتبطوا بالارض، بل استمروا على حياة التنقل و البداوة مدة طويلة من الزمن. ورد في تقرير سري بريطاني وضع خصيصا عن العشائر العراقية في العام 1917 الاتي نصه بخصوص هذا الموضوع:

¹⁷⁸ عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص 144.

¹⁷⁹ المصدر نفسه، الجزء الاول، ص 126.

¹⁸⁰ المصدر نفسه، الجزء الاول، ص 147.

80 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"و توطنت (عشيرة العبيد) في الضفة اليمنى (الغربية) من نهر دجلة بين الموصل وبغداد. وقد عبروا¹⁸¹. نهر دجلة و استقروا في ديارهم الحالية- حويجات العبيد، و أكبر فروع عشيرة العبيد هم البوعلى، و يشتغل البعض منهم بالزراعة بالقرب من نهر دجلة، و الباقون رعاة ابل، و يعيش افراد العشيرة في خيام¹⁸². و في الواقع لم يطرأ تحول ما على هذا الأمر الا بعد انجاز مشروع الحويجة الاروائي في العهد الملكي.

كان الثقل السكاني للعبيد داخل المنطقة التي نحن بصدد دراستها متواضعا. قدر التقرير البريطاني نفسه عدد العبيد في الحويجة والعظيم و الدليم معا بـ "حوالي الف دار (خيمة) و 100 رأس خيل¹⁸³. و بقيت مناطق تمركز العبيد تقع بعيدا خارج كركوك و

¹⁸¹ هكذا ورد في النص.

¹⁸² "تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة يبين الاحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر العراقية وعلاقتها بالادارة البريطانية"، نقله الى العربية عبدالجليل الطاهر، بغداد، 1958، ص 188.

¹⁸³ المصدر نفسه، ص 189.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 81

توابعها¹⁸⁴. ورد في تقرير رسمي عراقي يعود الى اواسط العقد الرابع من القرن الماضي عن عشيرة العبيد مانصه:

"عبيد: تقطن على ضفة دجلة اليمنى (الغربية) بين سامراء و كركوك، و هي من زبيد، ورئيسهم العاصي و مظهر بك الشاوي"¹⁸⁵.
تنطبق الأقوال نفسها على عشيرة الجبور التي يمتد وجودها بالنسبة للمنطقة الكردية الى بعض توابع اربيل ايضا. و باعتبار الجبور واحدة من اهم، و اوسع العشائر العراقية فان مناطق تركزها الاساسية تقع بدورها بعيدا خارج كركوك و توابعها¹⁸⁶. ورد في التقرير الرسمي الانف الذكر عن عشيرة الجبور في اواسط العقد الرابع من القرن الماضي الاتي نصه:

"جبور: تقطن بين سامراء والموصل، وعلى جانبي دجلة، وقسم منها تسكن الجزيرة بجوار رأس العين على جانبي الخابور، ومنها من

¹⁸⁴ للتفصيل عن ذلك ينظر: المصدر نفسه، ص 189-192، عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص 144، 146-147، 199، 194-200 وغيرها، الجزء الرابع، بغداد، 1956، ص 33، 61، 208، 216 وغيرها.
¹⁸⁵ "دليل المملكة العراقية لسنة 1935-1936 المانية"، صدر باجازة من وزارة داخلية العراق رقم 342 تاريخ 13/10/1934، بغداد، 1354 هـ / 1935 م ص 658.

¹⁸⁶ للتفصيل عن ذلك ينظر: عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص 194، 197-199، 248، 272، 306 وغيرها؛ الجزء الرابع، ص 85، 137، 140، 147-145، 207، 215-216.

82 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

سكن في جنوبي سامراء، و في الجربوعة، رؤساؤها الشيخ شاهر في الموصل، والشيخ مراد الخليل في الحلة"¹⁸⁷.

توجد عشائر عربية اخرى في الجنوب، والجنوب - الغربي من كركوك اقل شأنًا من العبيد والجبور، منها اقسام من عشيرة النعيم التي جاء وصفها على لسان ادموندس، و كان حاكما سياسيا مفتشا اداريا بريطانيا في كركوك على مدى سنوات عدة في العقد الثالث من القرن الماضي، ومن ثم معاونا لمستشار وزارة الداخلية العراقية طيلة عقد كامل (من 1925 حتى 1935)، ومستشارا طيلة عقد اخر (من 1935 حتى 1945)، هكذا:

"توجد في جنوب كردستان اسر اخرى من السادة.. مثل نعيم الذين يشويهم دم عربي، لكن نفوذهم السياسي لا يعتد به"¹⁸⁸.

يستحق تأريخ عشيرة البيات، ووجودها في المنطقة، وقفه خاصة. تعد المصادر الرسمية العراقية البيات عربا، الرأي الذي يتمسك به العديد من زعمائهم و مثقفهم المعاصرين، فيما تؤكد معظم المصادر ان موطن البيات الاصلي هو خراسان، انتقلوا منها مع السلاجقة الى العراق

¹⁸⁷ "دليل المملكة العراقية لسنة 1935-1936 المالية"، ص 657-658.

¹⁸⁸ C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics, travel and research in North- Eastern Iraq, London, 1954, P. 79. في الترجمة العربية لجرجيس فتح الله بعنوان "كرد وترك وعرب" سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال- الشرقي من العراق 1919-1925؛ بغداد، 1971، ص 77.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 83

فاتخذوه وطننا لهم¹⁸⁹. عندما يتحدث ادموندس عن طوزخورماتو يقول: "ان ثلاثة ارباع سكانها من الداودة (وهي من العشائر الكردية المعروفة¹⁹⁰، و ثلثا الداودة يسكنون في اسافل الجبال، والثلث الاخر يسكن السهل. و العنصر الاخر الوحيد المهم في الناحية هو البيات، القبيلة العجيبة التكوين، يقال ان نواتها جاءت بالاصل من خراسان، و قراهم التي تزيد عن العشرين، تقع في الربع الجنوبي القصي من الناحية، الى جوار جبل حميرين وناحية قرقةتة، و ثاراتهم وصادقاتهم مع القبائل العربية اكثر منها مع الكردية"¹⁹¹. اما موعرخ العشائر العراقية عباس العزاوي فيقول:

"و هؤلاء (البيات) من اقدم القبائل التركمانية، و لهم كيان خاص وهم مجموعة لا يستهان بها، يقطنون لواء كركوك، و كانوا في لواء واسط والآن مال قسم كبير منهم الى المدن، وصاروا في قلة، و اختلطت بهم عشائر عربية"¹⁹².

¹⁸⁹ للتفصيل عن ذلك ينظر: شاكر صابر الضابط، تأريخ التركمان في العراق، الجزء الأول، بغداد، 1961، ص 56-60.

¹⁹⁰ عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الثاني، ص 66، 165-170، 212.

¹⁹¹ C.J.Edmondson, Kurds, Turks and Arabs, PP. 277-278.

في الترجمة العربية ص 252.

¹⁹² عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، بغداد، 1839، ص 368.

84 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

لا تختلف اقوال الرحالة وملاحظاتهم عن ذلك. ينقل لنا ريش معلومات مهمة عن البيات الذين التقاهم، و اجتمع في الثامن والعشرين من نيسان سنة 1820 برئيسهم حسن بك الملقب بقره قوش الذي اكد له ان السلطان العثماني هو الذي وزع عليهم اراضيهم في منطقة طوزخورماتو. يؤكد ريش بدوره ان اصل البيات من خراسان، لكنه يضيف ان "بعض العرب Some Arabs" كانوا في حماية البيات¹⁹³.

لاشك في ان صلات البيات بالعرب، واختلاطهم بهم قد تعزز اكثر بعد زوال سلطة العثمانيين، لذا فان المصادر الحديثة، بما فيها الكتب المدرسية في العهد الملكي، في الوقت الذي تعد البيات عشيرة عربية، الا انها لا تنكر، في الوقت نفسه، بانها "تتشم على فروع تركمانية"¹⁹⁴.

كما ان التقرير الذي اعدته اللجنة الخاصة التي افتتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل في العام 1924 يؤكد ان "البيات مزيج من الترك و العرب"¹⁹⁵.

¹⁹³ C.J.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 23-24.

¹⁹⁴ ورد ذلك في كتاب "جغرافية العراق الثانوية"، بغداد، 1938، ص 90 لطف الهاشمي؛ الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، بغداد، 1973، ص 191.

¹⁹⁵ League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq. Report submitted to the Council of the Comission instituted by the Council resolution of September 30, 1924", 1925, PP. 38-39.

كردكرد و توابجها حكم التاريخ و الضمير 85

لم تكن البيات، في كل الاحوال، معزولة عن الكرد. فان بعض فروع البيات ضمن الكرد ايضا، مثل طلة ووند و ينكجية¹⁹⁶. كما تؤكد مصادر مختلفة، بما في ذلك كتب الرحالة، و مصادر اكايمية حديثة¹⁹⁷، شيوع اللغات الثلاث التركمانية و العربية و الكردية بين البيات. يقول منشيء البغدادي الذي زار المنطقة في العام 1820:

"و في تلك الانحاء تسكن قبيلة البيات، و يقرب عدد بيتوها من الفي بيت، يتكلمون التركية و الكردية و العربية، بعضهم شيوعي، و البعض الآخر سني"¹⁹⁸.

ومما يذكر ان عددا من زعماء البيات وقفوا الى جانب الزعيم الكردي الشيخ محمود في نضاله ضد البريطانيين، واستقبلوه في كفري مع الرؤساء الكرد في ايلول 1922 حين مر موكبه بها بعد ان اعاده البريطانيون من منفاه في الهند، بل انهم رافقوه الى السلمانية حيث اعن الشيخ بعد مدة عن تشكيله لحكومته الكردية¹⁹⁹.

¹⁹⁶ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص 368، 370.

¹⁹⁷ M.A.Karnal, Natsionalno- Osvoboditelnoe dvijenie v Irakskom Kurdistane, Baku, 1967, P. 102.

¹⁹⁸ "رحلة المنشيء البغدادي"، ص 54.

¹⁹⁹ C.Jedmonds, Kurds and Arabs, P. 301 M.H. Kamal, Natsioalno.., P. 126.

و في الترجمة العربية ص 272.

يلاحظ التداخل نفسه الى حدما بين الكرد و الجبور، خصوصا في محافظة اربيل، وبين الكرد والعبيد في توابع كركوك. فقد ورد في القسم الخاص بالعشائر المتوطنة في قضاء الحويجة التابع لمحافظة كركوك في "دليل التعداد العام لسنة 1965":

"23- المتفرقة، منها اتكارتة و الدوريين و الأكراد. مركزها الحويجة، يقيمون في 5 قرى تقع على جانبي حفر القبل، و قسم منها في مركز الناحية، وتبلغ مساحتها 100 كم².²⁰⁰ كما ان بعض قرى الحويجة ظلت تحمل اسماء الكرد وعشائريهم مثل مدينة الكراد والداودية وكواز كرد و كاميران حتى وقت متأخر حسب المصادر الرسمية العراقية²⁰¹.

لم يتغير الواقع العشيري في كركوك وتوابعها كثيرا في العهد الملكي. وردت في تقرير رسمي عراقي، يعود تأريخه الى اواسط العام 1929، معلومات مهمة بهذا الصدد، يقول نصها:

"عرب كركوك: ان القسم الأعظم من عرب كركوك مكون من العشائر المتأخرة المقيمة في حاشية اللواء الجنوبية الغربية، يعني من خمسة الاف جبوري وغيرهم على الزاب الأصغر (ناحية ملح)، وستة

²⁰⁰ "الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية تسجيل الاحوال المدنية العامة. مديرية الشعبة الفنية. دليل التعداد العام لسنة 1965"، بغداد، 1965، ص 386.

²⁰¹ المصدر نفسه، ص 154 – 158.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 87

الاف عبيدي في جبل حميرين (ناحية الشبيجة)، ويوجد عدد من العرب المستوطنين يستحق الذكر في القسم الجنوبي الأقصى لناحية قرهتته، وهم عبارة عن خمسة الاف من العشائر القروية (الكروية) و غيرها، وان هؤلاء العرب بعيدون بدرجة انهم لا يمكن ان يعابأ بهم من الوجهة السياسية في التأثير على رأي اللواء. و في لواء كركوك، كما في اربيل، لا يوجد عنصر راق من العرب ينتمي الى المدينة لكي يمكن الاستناد اليها في تعريب اللواء²⁰². وفي الواقع لم تجر محاولات لتعريب كركوك وتوابعها طوال العهد الملكي الا في حدود ضيقة لم يكن من شأنها ان تؤثر على واقعها القومي²⁰³، فان مشروع الحويجة الاروائي الذي تم انجازه في العقد الخامس من القرن العشرين ساعد على توطين الجبور و العبيد و الشيشان، والأخير عنصر غير عربي انتقل من القفقاس الى المنطقة في اواسط القرن التاسع عشر على اثر ضم روسيا القيصرية لبلادهم اليها²⁰⁴، بينما اهمل القيمون على المشروع مصالح العشائر الكردية في المنطقة، و لاسيما الداودة التي ازيجت من مواقعها تحت

²⁰² دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: البلاط الملكي، التسلسل العام 132- و ع.

رقم الملف: د/7، موضوع الملف: القضايا الكردية، ص 15، الوثيقة رقم 1.

²⁰³ M.S.Lazarev, Kurdkaya Problema, - "Natsionalnie Protessi v Stranakh Blijnevo I Srednevo Vostoka", Moscow, 1970, P. 15.7.

²⁰⁴ C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P. 247.

في الترجمة العربية ص 248-249.

ضغط العبيد بعد عبورهم لجبل حميرين في اواخر القرن الثامن عشر – اوائل القرن التاسع عشر، مما ولد بعض الحزازات بين الطرفين²⁰⁵.
 لم يؤثر ذلك كما قلنا، على الواقع القومي لكركوك و توابعها. فان نتائج الاحصاء الرسمي للعام 1957، التي نشرت تفصيلاتها "بثلاثة عشر جزءا كاملا" في العام 1965، تؤكد صحة، ودقة جميع المعلومات التي اوردناها بخصوص الوجود العشيري العربي في توابع كركوك. فبموجب ذلك الاحصاء بلغ مجموعة عدد افراد العشائر العربية المتوطنة (المستقرة) في لواء (محافظة) كركوك من غير البيات و المتفرقة و المختلطة التي ضمت العرب و الكرد و التركمان معا من دون تحديد هوياتهم القومية 34809 اشخاص²⁰⁶، و بلغ مجموع عدد افراد العشائر العربية الرحالة (المتنقلة) فيها 1366 شخصا فقط²⁰⁷، فيكون مجموعهم معا 36175 شخصا. اما عدد البيات، وكان جميعهم من المستقرين، فقد بلغ 9402، فاذا اعتبرناهم جميعا من العرب، و في هذا قدر من الاجحاف واضح، حينئذ يرتفع مجموع عدد افراد العشائر العربية المتوطنة و الرحالة في كل لواء (محافظة) كركوك الى 45577

²⁰⁵ "تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة يبين الأحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر العراقية وعلاقتها بالادارة البريطانية، ص 189.

²⁰⁶ "دليل التعداد العام لسنة 1965"، ص 383-392.

²⁰⁷ المصدر نفسه، ص 499-502.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 89

شخصاً، يقابلهم 1780 تركمانياً، وجميعهم ايضاً من المستقرين، بضمنهم ابناء عشيرة قوشجي، و 62228 كردياً، 57102 من ابناء العشائر الكردية المتوطنة في المحافظة، و 5126 منهم من ابناء العشائر الكردية الرحالة فيها²⁰⁸.

يتألف النمط الثاني، المدني من الوجود العربي في كركوك وتوابعها من الموظفين و العمال و غيرهم من الكسبة الذين جاء معظمهم الى اللواء (المحافظة) بحثاً عن العمل، اذ تحولت كركوك، بسبب انتاج النفط فيها، الى نقطة جذب للباحثين عن العمل، حالها في ذلك حال العاصمة بغداد والبصرة و الموصل، المحافظات الاربع التي ادى "تركز الصناعات" فيها الى "جلب اعداد كبيرة من المهاجرين الذين جاءوا من المناطق الزراعية، وخاصة من محافظة العمارة، حيث الحياة المجهدة في مزارع الرز، و تسلط الاقطاع في الماضي"²⁰⁹. احتلت كركوك، بحكم ذلك، المرتبة الثالثة بعد بغداد و الديوانية من حيث النسبة المئوية لزيادة سكانها في الحقبة الممتدة بين عامي 1947 و 1957، وذلك بسبب الهجرة المتزايدة اليها، فان النسبة المئوية لزيادة سكانها بلغت 36٪، أي

²⁰⁸ المصدر نفسه، ص 383-392، 499-502.

²⁰⁹ الدكتور احمد نجم الدين، احوال السكان في العراق، من منشورات معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص 29.

90 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بمقدار مرة ونصف الى مرتين اكثر من المحافظات الاخرى²¹⁰. يعلق

احد المتخصصين على ذلك بالقول:

"ان القسم الأكبر من محافظة كركوك، وخاصة الجنوب منه، شبه جاف، ولكن وجود شركة النفط العراقية وأبارها العديدة في هذه المحافظة رفعت من نسبة الكثافة السكانية فيها"²¹¹.

يبين تحليل نتائج احصائي عامي 1947 و 1957 ابعاد هذا الموضوع بصورة واضحة. فوجب اول احصاء رسمي عام اجري في العراق عام 1947 بلغ مجموع سكان مركز قضاء كركوك من العراقيين 67756 شخصا، بلغ عدد المولودين منهم في لواء كركوك نفسه 49441، اما الباقيون فانهم كانوا من مواليد اللوية الاخرى، و ان معظمهم ماكانوا يمتون بصلة مباشرة الى سكان المدينة الأصليين، منهم، على سبيل المثال، 3137 من مواليد لواء بغداد، و 3165 من مواليد لواء الموصل، و 1639 من مواليد لواء ديالى. وكان يوجد بينهم من كانوا من مواليد المناطق العربية الجنوبية و الوسطى الذين جاء معظمهم مع اسرهم الى كركوك للعمل لدى شركة النفط بصورة خاصة، منهم 1598 من مواليد العمارة، مركز الضخ السكاني بسبب الاستغلال الاقطاعي الفطيع، و 863 من مواليد لواء المنتفك، و 410 من مواليد لواء الحلة، و 360 من مواليد لواء البصرة، و 271 من مواليد لواء

²¹⁰ المصدر نفسه، ص 107.

²¹¹ المصدر نفسه، ص 62.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 91

الكوت، و 213 من مواليد لواء الديوانية، و 205 من مواليد لواء
الدليم (الانبار)، و 98 من مواليد لواء كربلاء. بينما تختفي هذه
الظاهرة بالنسبة لريف كركوك²¹².

اما بموجب احصاء العام 1957، وهو اول احصاء رسمي عراقي
يجري على اساس قومي، فقد بلغ مجموع العرب في لواء (محافظة)
كركوك 109620 شخصا، وعدد التركمان 83371 شخصا، وعدد
الاكرد 187593 شخصا²¹³. وبموجب الارقام التفصيلية للاحصاء
نفسه. فقد بلغ مجموع الذين كانوا بالاصل من مواليد الموصل وبادية
الجزيرة 5494 شخصا، ومن مواليد لواء بغداد 4855، ومن مواليد
ديالى 3708، ومن مواليد لواء العمارة 1847، ومن مواليد لواء
الناصرية 995، ومن مواليد لواء الرمادي (الانبار) والبادية الشمالية
864، ومن مواليد لواء البصرة 350، ومن مواليد لواء الكوت 343،
ومن مواليد لواء الحلة 313، ومن مواليد لواء الديوانية والبادية
الجنوبية 224، ومن مواليد لواء كربلاء 75، ومن مواليد الاقطار

²¹² "المملكة العراقية. وزارة الشؤون الاجتماعية. مديرية النفوس العامة. احصاء

السكان لسنة 1947"، الجزء الثاني، بغداد، 1954، ص 115.

²¹³ "الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية النفوس العامة. المجموعة

الاحصائية لتسجيل عام 1957. لوائي السليمانية وكركوك"، بغداد مطبعة العاني،

دون سنة الطبع، ص 243.

92 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

العربية اكثر من 300، فيكون المجموع 19368²¹⁴. واذا استثنينا حالات قليلة (كربلاء والبصرة والحلة) فان ارتفاعا كبيرا يلاحظ في نسبة سكان لواء (محافظة) كركوك المولودين في المحافظات الاخرى، تصل احيانا اكثر من مرتين قياسا بما كان عليه الامر في احصاء العام 1947. ومن الجدير بالذكر ان الاحصاء نفسه يشير الى ان 1353 من سكان محافظة كركوك كانوا من مواليد تركيا بالأصل²¹⁵. يستحق هذا الموضوع، بدوره، وقفة خاصة

التركمان في كركوك و توابعها :

تطرقنا ضمن المباحث السابقة الى جوانب مختلفة من هذا الموضوع الذي يحتاج، فضلاً عن ذلك، الى تحديد تاريخي مستقل، ذلك لان التركمان يؤلفون جزءاً أساسياً من كركوك وتوابعها مجتمعاً وثقافة و سياسة في إطار تأرخهما الحديث والمعاصر. حسب المؤرخ التركماني العراقي شاكر صابر الضابط، وهو يستند في معظم مايقول على مؤلفات العرب والمسلمين القدامى، يرجع تأريخ أول دخول تركماني الى العراق الى العام 54 للهجرة (674 للميلاد) حين جاءت نصره للخليفة مؤلفة من أربعة الاف مقاتل.

214

215

خرجوكن و توابعها حكم التاريخ و الضمير 93

دشن هذا، على ما يبدو، تدفقاً تركمانياً ذا طابع عسكري الى العراق في عهود إسلامية مختلفة. يقول ابن خردادبة في "المسالك والممالك" ان "والي خراسان عبدالله بن طاهر كان يرسل الى العراق ألفي تركي سنوياً من مختلف مدن تركستان، وذلك تنفيذاً للأوامر الصادرة اليه من الخليفة". يقول الدكتور مصطفى جواد "وكما اجتذبهم بنو العباس، فقد كانت دعاياتهم بلغت بلاد الترك في تركستان وأسيا الوسطى، وثاروا على بني أمية، واستنهضوهم داعين الى عيش رفيع جديد.. فتوافدت اليهم جموع غفيرة من الاتراك من طامع فيمال، وراغب في تبديل حال، ومتطوع يظن طاعة لوجه الله". ورد في "العقد الفريد" (203/2) لابن عبد ربه إن هارون الرشيد أدخل التركمان في جيشه وحرصه الخاص. وكان معظم حرس المأمون منهم أيضاً، كما جند المعتصم جيشاً منهم، أسكنهم في سامراء سنة 221 للهجرة (836 للميلاد)، وفي عدد من المواقع الاستراتيجية. تعزز هذا النمط من وجود التركمان في العصر البويهي (أواسط القرن العاشر حتى أواسط القرن الحادي عشر لميلاد)، فقد كان "غالب جنود الدولة اليهودية من الديلم والترك"²¹⁶.

بالاستناد الى هذه الحقائق، ومجموعة كبيرة غيرها، يستخلص الضابط إستنتاجاً يقول نصه "يظهر مما تقدم إن المواطنين الاتراك في

²¹⁶ عن ذلك ينظر:

شاكر صابر الضابط، موجز تأريخ التركمان في العراق، الجزء الاول، ص 28، 38-40، 42، 44-45، 50-57 وغيرها.

94 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

العراق كان قد عهد اليهم واجب الدفاع عن وطنهم ضد الهجمات الخارجية، والمحافظة على الامن الداخلي. ونجدهم لذلك قد أسكنوا في العصر الاموي والعباسي الأول في المدن و الثغور والمواقع العسكرية الاستراتيجية في مختلف أنحاء العراق. فقد إستوطنوا في البصرة، واسط، بغداد، سامراء، تكريت، الموصل، تلعفر، أربيل، كرخيني (كركوك)، بندنجين (مندلي) ومناطق ديالى الاخرى، وشهرزور (منطقة حلبجة) وغيرها من المناطق" و إن "الاتراك الذين نزحوا الى العراق حتى عهد الدولة اليهودية كانوا قد إتخذوا أواسط العراق وجنوبه وطناً لسكانهم وإقامتهم، والمدن والمناطق الاستراتيجية في الشمال، وخاصة في سامراء والموصل وأربيل وكركوك و تكريت وغيرها"²¹⁷.

يستحق رأي اللجنة الخاصة التي الفتها عصابة الامم للبت في مشكلة

الموصل إهتماماً خاصاً

في هذا المجال ذلك لان اللجنة رجعت الى عدد كبير من المصادر والمراجع، وإستأنست بأراء المستشرق المعروف، أحد مؤلفي "دائرة المعارف الاسلامية" وصاحب مقالة كركوك فيها ج.ه. كريمرز (J.H.Kramers)، ولانها (اللجنة) لم تتأثر بأراء البريطانيين والكماليين - طرفي النزاع على ولاية الموصل. أكدت اللجنة وجود جماعتين رئيسيتين من الترك في ولاية الموصل- ترك شرقيون وترك غربيون، تتكلمان لهجتين مختلفتين، وإن أفرادهما منحدرين عن جنود

²¹⁷ المصدر نفسه، ص 47,53.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 95

الحلفاء العباسيين المرتزقة، وعن جنود طغرل و حلفائه، وعن جنود الاتابكة، وعن جنود السلاطين العثمانيين وضباطهم و موظفيهم في العصور المتأخرة²¹⁸. وأغلب الظن ان هذا الواقع هو الذي دفع آدموندس الى ان يستخدم في كتابه "كرد وترك وعرب" مصطلح التركمان للدلالة على أهل القرى، أو المدن الذين هم من سواء المجتمع فيها، ويتكلمون التركمانية عموماً، والترك للدلالة على المجتمع فيها، ويتكلمون التركمانية عموماً، والترك للدلالة على أفواد الاسر الارستقراطية من بقايا الموظفين والعسكريين العثمانيين من ترك وغيرهم إستتركوا، ولاسيما في مدينة كركوك نفسها، ممن يتكلمون التركية العثمانية. تذهب المصادر العلمية العراقية الى الرأي نفسه حول أصل التركمان، ومناطق وجودهم في العراق²¹⁹، كما ورد في الدليل الرسمي العراقي عنهم إنهم:

218 " League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq .. "P.47.

من المفيد أن نشير الى ان شاكر صابر الصابط لم يعترض على هذا الرأي بل أورد مضمونه العام في النص 33-34 من كتابه المذكور "موجز تاريخ التركمان في العراق".

219 ينظر على سبيل المثال في:

الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية. بغداد، 1973، ص 211-212، طه الهاشمي، مفصل جغرافية الطرق، ص 100-101، فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص 106-107.

96 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"أنزلوا في العهد السلجوقي والعهد العثماني في مراكز على خط عسكري عند ملتقى المنطقتين العربية والكردية ثم نمت هذه المراكز فأصبحت مدناً كبيرة مثل تلعفر و الكوير ومخمور والتون كوبري وداقوق و طوز خورماتو وخامقين ومندلي والجيزاني، وكانت لغتها التركمانية تمثل السلطة الحاكمة لعهد قريب"²²⁰.

في ظل العثمانيين تعزز وجود التركمان ونفوذهم في كركوك وتوابعها، ولاسيما بعد أن دخلتا ضمن الاملاك العثمانية دخولاً رسمياً ثابتاً وفق معاهدات الحدود الاولى بين الدولتين العثمانية و الصفوية، بدءاً بمعاهدة أماسييه الموقعة بين الطرفين يوم التاسع والعشرين من أيار سنة 1555²²¹.

ومما له مغزاه ان إشارات صريحة وردت في الوثائق العثمانية الرسمية بخصوص النزاع حول الحدود مع الايران، الى سناجق "شهرزور و كركوك و رواندوز و عمادية و حكاري (ههكاري) و وان و بايزيد" بوصفها مناطق كردية حتى في ويقت متأخر مثل العام 1908²²².

220 دليل الجمهورية العراقية لسنة 1960 ، ص 421. و"

" و " the Encyclopedia of Islam ،- (221) J.H Kramers,Kirkuk،

VOL.II, P.1028, C.J.Edmonds, Kurds,

Turks and Arabs, P.265.

²²² عن ذلك ينظر:

M.S.Lazarrev,Kurdistan I K urdskaya Problema (go-e godi XIX Veka-1917g), Moskva,1964,PP.134-135,M.S.Lazarev, Kurdskii Vopros 1891-1917,Moskva,1972,P.141.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 97

منذ وقت مبكر من إحتلالهم إحتفظ العثمانيون بحامية من الجنود الانكشاريين في كركوك, لتستعيد بذلك الاهمية التي كانت تتمتع بها في عهد ما قبل الاسلام, وذلك "باعتبارها حصناً بوجه عدو آت من الشرق- من إيران"²²³. وقد تعزز الوجود العسكري العثماني هذا بمرور الزمن بسبب إزدياد الحاجة للحفاظ على الطريق التجاري الممتد من الاناضول الى العمق العراقي, ولردع العشائر الكردية, ولاسيما الهموند التي كانت تمثل خطراً حقيقياً في كركوك و توابعها. إحتفظت كركوك بموقعها هذا حتى أواخر العهد العثماني حين كان الجند يخرجون منها لقمع الخارجين على الباب العالي في أقاصي كردستان²²⁴. و قبل الحرب العالمية الاولى بمدة فتح العثمانيون رشدية عسكرية في كركوك التي تحولت قبل ذلك التاريخ الى "موطن يمد الحكومة العثمانية بالموظفين المدنيين والجندرمة موضع والادارة" في ذلك العهد. وارتبط قطاع مؤثر من التركمان بالارض والزراعة, إذ أغلق الباب العالي على بعضهم "إقطاعيات زراعية كبيرة"²²⁵.

²²³, "The Encyclopedia of Islam", Vol.II,P.1028

²²⁴ عن ذلك تنظر في:

"لغة العرب (مجلة), بغداد, الجزء العاشر من السنة الثالثة, عن جمادي الاولى 1332/نيسان 1914, ص557..

²²⁵ للتفصيل عن هذه الامور ينظر في:

S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq,
P.43,C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs, PP.265-266, "Iraq.An

98 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بحكم هذه العوامل، وغيرها، ظهرت أرستقراطية تركمانية خصوصاً داخل كركوك نفسها، تمتعت بنفوذ سياسي و إقتصادي و ثقافي كبير تعزز الى حد كبير مع أنتقال السلطة الى الاتحاديين إثر ثورتهم في العام 1908. يقول متخصص بهذا الصدد مانصه:

" ونهج الاتحاديون السياسة العثمانية السابقة، وزادوا عليها بأذكاء الروح القومية عند التركمان (في العراق) وفتحوا العديد من فروع جمعية الاتحاد والترقي في مناطقهم، وانتسب إليها الكثير منهم، وقبلوا الطلاب التركمان في مدارس إستانبول، وشجعوهم على السفر إليها..²²⁶ .

تركزت هذه الامور بصماتها القوية على مختلف جوانب الحياة في كركوك و تواجها في العهد العثماني، حتى ان سراً كردية معروفة، أو اجزاء منها غيرت هويتها القومية، منها الاسرة اليعقوبية (أل يعقوب زاده) المعروفة التي تنتمي الى عشيرة زهنگنه الكردية²²⁷، مع العلم ان يعقوبيي أربيل حافظوا على هويتهم القومية الاصلية. وكان يعقوبيو كركوك من ملاكي المنطقة البارزين، مما منحهم نفوذاً كبيراً. لم

Introduction to the Past and Present of the Kingdom of Iraq", by a Committee of Officials, Baltimore, 1974, P.30,

فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص 106-108، طه

الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص 100-101.

²²⁶ فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص 107-108.

²²⁷ C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.266.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 99

تقتصر هذه الظاهرة على كركوك، فأنا الضابط البريطاني في الجيش العثماني الميجر ملنجن لاحظ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كيف إن العديد من كرد أرضروم و عن غيروا هويتهم القومية "من أجل التقرب من الدولة، ونيل الامتيازات".

تجاوزت الافرازات الثقافية التركية ذلك فان التركية بوصفها لغة السلطة و التعليم إنتشرت على نطاق واسع في كركوك وتواجدها، خصوصاً وإن العثمانيين أولوا التعليم في كركوك إهتماماً أكبر مما أولوه في معظم الكدن العراقية الاخرى، أنهم أسسوا فيها، على سبيل المثال، مدرسة للصنائع في وقت مبكر مثل العام 1871، وهي كانت واحدة من ثلاث مثلها في كل العراقو كما إنهم أسسوا اول مدرسة سلطانية²²⁸ عراقية في كركوك عام 1910، وإفتتحوا الثانية في بغداد بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات (في كانون الاول 1913)، في حين "لم تنجح مساعي والي الموصل مطلع العام 1914 في تحويل المدرسة الاعدادية هناك الى مدرسة سلطانية". وكانت التركية هي لغة التدريس في جميع المدارس وغيرها، حتى إن اللغة العربية كانت تدرس في المدارس العراقية باللغة التركية. ومن قبل معلمين أتراك، وكان مجموع الساعات الاسبوعية المخصصة للغة التركية في المدارس الرشدية والاعدادية إثنين

²²⁸ إعدادية متطورة، كانت تدرس اللغة الفرنسية بوصفها مادة إضافية.

100 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

وعشرين ساعة، أي وضعت الساعات المخصصة للعربية بوصفها لغة الدين والقرآن²²⁹.

أدت الصحافة والمؤلفات الادبية التركبية دورها الملموس في هذا المضمار. فكما هو معلوم ان العديد من الصحف العراقية كانت تصدر إما باللغة التركية، أو بالتركية والعربية، أو بالتركية والكردية معاً، كما ان صحافة إستانبول لقيت رواجاً واضحاً بين مثقفي الكرد والترکمان سواء في كركوك، أو في مدن المنطقة الاخرى. وينطبق القول نفسه على نتاجات أشهر المثقفين الترك المتحدثين من أمثال نامق نامق كمال (1840-1888) الذي تأثر به أبرز شعراء الكرد، منهم الشيخ رضا الطالباني الذي كان على اتصال شخصي به، وقد أبدع هو، وغيره العديد من أدباء الكرد المعروفين، باللغتين الكردية والتركية كما نبين ذلك بشئ من التفصيل في مبحث اخر من هذه الدراسة.

لاغرو إذن ان تحولت التركية الى لغة الثقافة و التخابط على نطاق واسع لابين تركمان وكركوك وتوابعها وحدهم، بل أيضاً بين الكرد و العرب وغيرهم هناك دون أن يؤثر ذلك على واقعهم القومي. فحسبما

²²⁹ للتفصيل عن هذه الموضوعات ينظر في:

الدكتور إبراهيم خليل أحمد، تطور التعليم الوطني في العراق (1869-1932)، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1982، ص 39، 58-60، الدكتور جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير 1869-1918، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001، ص 141-160، 182-190 وغيرها.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 101

يؤكد كريم رزان اليهود وحدهم كانوا يتكلمون بالعربية في كركوك قبل الحرب العالمية الاولى، فيما كان مسيحيو كركوك، الذين قدر عددهم بثلاثمائة وخمسين أسرة يتكلمون "بالتركية، ويكتبون بالاحرف السريانية"²³⁰.

إمتدت هذه الظاهرة الى توابع كركوك أيضاً، فقد لاحظ الرحالة إن "لغة أهل دوزخورماتو هي الكردية والتركية"²³¹ سجلت مجلة علمية عراقية معاصرة الملاحظة الآتية عن حرب زين العابدين:

"فرار الامام زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي، وهو بناء ذو ثلاث قباب مشيد على تل أثري عال يقع الى الشمال الشرقي من قسبة دافوق، وعلى بعد 7سم، يتوسط قرية تعرف بأسمه، سكانها معظمهم من العرب، ولكن اللغة السائدة بينهم هي اللغة التركية"²³².

تأثر التركمان بدورهم بعرب المنطقة وكردها في إطار تآثر و تأثير غير قسري. نورد بهذا الخصوص ما ذكره طه الهاشمي:

"ولاشك في إن هؤلاء (التركمان) لم يحتفظوا بسجاياهم التركية الاصلية، لانهم إختلطوا بالاكرد والعرب، وإمتازوا عن أتراك

²³⁰ J.H.Kramers,Kirkuk,-" The Encyclopedia of islam "، VOL,P.1028.

²³¹ ورحلة المنشئ البغدادي، ص39.

²³² "السومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، 1956، ص 39.

102 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الاناضول²³³. كما يقول فيصل محمد الارجيم عن لغتهم إنها "إبتعدت كثيراً عن الاصل، وتخللتها مفردات عربية وكردية"²³⁴.

تختلف المصادر في تقدير عدد التركمان في العراق قبل إحصاء العام 1927 الذي أشرنا الى تفصيلاته بالنسبة لهم في المبحث السابق. فأن المثقفين التركمان كانوا يبالغون في تقديراتهم، ربما بتأثير شيوع لغتهم على نطاق واسع، فيما كان غيرهم يذكرون أرقاماً أقل من الواقع بكثير، إذ أعادوا بعد مرور عقود من الزمن نفس الرقم (60 ألف) الذي قدمته الحكومة البريطانية سنة 1931 الى عصبة الامم في آخر تقرير لها عن سير الادارة في العراق²³⁵، الرقم الذي ذكره طه الهاشمي أيضاً في العام 1930²³⁶، بل إن بعضهم ذكر في العام 1975 رقماً أدنى حتى من ذلك (38852 فقط) بالاستناد الى مرجع يعود تأريخ طبعه الى العام 1936²³⁷، الخطأ الذي وقعت فيه أيضاً مصادر عربية، منها كتاب عن

²³³ طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص101.

²³⁴ فيصل محمد الارجيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص 107.

²³⁵ Special Rrport Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progeess of Iraq during the period 1920-1931", london, 1931,P.279.

²³⁶ طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص100-101. أكد المؤلف ذلك مرتين،

الاولى في الص 100 والثانية في الص 101.

²³⁷ ينظر على سبيل المثال:

فيصل محمد الارجيم، تطور العراق تحت حكم الاحاديين، ص 106, 286-287.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 103

العراق وضعته لجنة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية، قدر نفوس التركمان باقل من ثلاثين ألفاً²³⁸.

يحدد الدكتور عبدالرحمن الجليلي منطقة سكن التركمان في العراق

المعاصر على النحو الاتي:

"وهناك شقة من الارض طويلة، ضيقة تسكنها الاقلية التركية في أماكن متقاربة، وإن لم تكن متلاصقة، وتمتد من غربي الموصل الى أربيل، الى كركوك جنوباً، وتستمر حتى تصل قريباً من بغداد، وهي في معظمها من مخلفات الجيوش التركية التي غزت العراق، فتركت فيه حاميات في أماكن مختلفة إختلطت بالمحيط، فأحتفظت ببعض مقوماتها، واكتسبت في نفس الوقت عادات وتقاليد البيئة (الجديدة)، كما أن في المدن الكبيرة عدد لا يستهان به ممن يمتون بالصلة في الاصل الى الأتراك"²³⁹.

قبل أن نختم هذا المبحث نرى منالضروري أن نشير الى أن أفضل العلاقات كانت تربط مابين الكرد والتركمان، سواء في كركوك وتوابعها،

²³⁸ Iraq. An Introduction to the Past and Present of the Kingdom of Iraq، P.30.

²³⁹ الدكتور عبدالرحمن الجليلي، محاضرات في إقتصاديات العراق، القاهرة، 1955،

104 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

أو في المناطق الأخرى²⁴⁰، الأمر الذي لاحظته مراقبون أجانب أشاروا إليه في مؤلفاتهم بصورة خاصة. يقول المقدم الشيخ عبدالواحد عن ذلك: "وقامت أمتن العلاقات بين الشعبين الكردي والتركي بسبب كثرة الاختلاط بينهما، والسياسة الحكيمة التي اتبعتها السلطات بمنحهم الولايات الكردية الحكم الذاتي التام. كان من أهم نتائج منح الأكراد الاستقلال التام داخل إطار الامبراطورية العثمانية أنهم أشاركوا مشاركة فعالة مع الحكومة التركية، وتعاونوا معها تعاوناً وثيقاً.."²⁴¹.
لكن شرحاً ما بدأ يعتري تلك العلاقات بحكم عوامل مصطنعة يتحمل الجميع بدرجات متفاوتة وزر خلقها وأثارها بصورة، أو بأخرى، يأتي البريطانيون في مقدمتهم من حيث التسلسل الزمني في سياق التاريخ المعاصر.

كركوك وتوابعها في ظل الاحتلال البريطاني

احتلت كردستان عموماً موقفاً مهماً في وقائع الحرب العالمية الأولى على صعيد الشرق الأوسط، وجحظت بأهتمام الأطراف المتحاربة، ولا سيما بريطانيا في جبهة الحلفاء²⁴². ومما يهمننا في مجال بحثنا هذا

²⁴⁰ يحتفظ المؤلف بصورة وثيقة مهمة محفوظة في دار الكتب والوثائق عبارة عن

برقية احتجاج شديدة الهجة رفعها المقدم (فيما بعد الفريق) عمر علي احتجاجاً على تجاوز عدد من الجنود على قرية برزانية في العام 1947.

²⁴¹ المقدم الشيخ عبدالوحيد، الأكراد وبلادهم، ص 122, 126.

²⁴² لتفصيل عن ذلك ينظر:

كردكوئ و توابعها حكم التاريخ و الضمير 105

الخصوص هو ان البريطانيين, على الرغم من تجاهلهم لطموحات الشعب الكردي المشروعة في اتفاقياتهم, وماسلاتهم السرية في سنوات الحرب بخصوص مستقبل الاصقاع غير التركية من الامبراطورية العثمانية, الا أنهم أشاروا فيها صراحة الى مصطلح كردستان واطارها الجغرافي. في المذكرة المفصلة سالسرية التي اصدرتها وزارة الخارجية البريطانية (تقع المذكرة في ثلاث وعشرين صفحة من الحجم الكبير) بتاريخ 21 تشرين الثاني 1918 ورد نص صريح يبين أن كردستان العراق تمتد الى الشرق من نهر دجلة والى ما بعد جبل حميرين²⁴³. ومن المهم أن نلاحظ أيضاً ان الشريف حسن أشار صراحة في مراسلاته السرية مع البريطانيين في سنوات الحرب العالمية الاولى الى أن يقصد بالعراق "ولايتي بغداد والبصرة و التركيتين السابقتي"²⁴⁴ (وفي النص الانكليزي: the former Turkish Vilayets of Basra an Baghdad – together Iraq). وكما تؤكد الوثائق نفسها أن أقصى ما كان يطمح اليه الشريف حسين

الدكتور كمال مظهر أحمد, كردستان في سنوات الحرب العالمية الثانية, ترجمة محمد الملا عبدالكريم المدرس, منشورات المجمع الكردي, الطبقة الثانية, بغداد, 1984, 416 صفحة.

²⁴³ Public Record office, C.O., 733/424/75981-3303, Political

Intelligence partment, foreign Office Special I, Memorandum about Settlement of Turkey and the Arabian peninsula, Secret, PP.5,4.

²⁴⁴ Ibid, P.6.

106 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بالنسبة للدولة العراقية التي تقرر أنشاؤها هناك هو أن تمتد حدودها بحيث تشمل "أثار بلاد ما بين النهرين" التي كان يقصد بها نينوى²⁴⁵. بعد مرور يةم واحد على اعلان لندن الحرب ضد الدولة العثمانية في الخامس من تشرين الثاني عام 1914 باشرت القوات البريطانية من الجنوب بأحتلال العراق. لكن تلك القوات لم تبلغ المناطق الكردية الا في السنة الاخيرة من الحرب, وقبيل ذلك فقط بدأت الاتصالات المباشرة بين البريطانيين وزعماء الكرد. فبعد احتلال بغداد في الحادي عشر من اذار 1917 اتصال البريطانيون لأول مرة بهؤلاء في كركوك والسليمانية. يقول لونكريك عن ذلك:

"لم يجز الضباط السياسيون, الذين كانوا يتقدمون الجيش البريطاني الزاحف, أي اتصال مع الاكراد قبل سقوط بغداد, ولذلك كانت العلاقات التي أقامها البريطانيون مع الاكراد بعد سقوط بغداد في شهر اذار 1917 مخيبة الامال. ولم تعقب الرسائل التي تبودلت مع الكرد الساكنين في كركوك والسليمانية أي رسائل اخرى. وكانت خانقين هي المنطقة الكردية الوحيدة التي فتحت أبوابها أمام التغلغل البريطاني²⁴⁶.."

²⁴⁵ Ibid,P.6.

²⁴⁶ S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950.A Political, Social and Economic History, Lonoon,1955,P.96.

في الترجمة العربية لسليم طه التكريتي بعنوان "العراق الحديث من سنة 1900 الى سنة 1950", الجزء الاول, بغداد, 1988, ص 162.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 107

بعد سقوط خانقين تعززت اتصالات البريطانيين بالزعماء الكردي فقد عين الخبير بشؤون الكرد، العليم بلغتهم الميجر سون ضابطاً سياسياً هناك أعتباراً من السادس من كانون الاول سنة 1917، وهو نفسه الذي زار المنطقة، بما فيها كركوك، متنكراً قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بسنوات. اتصل سون منخانقين بزعماء الكرد، بمن فيهم رؤساء الطالبانية. وما أن اختل البريطانيون كفري في ايار سنة 1918 حتى أقاموا صلات أوثق بعدد من الشخصيات الكردية في كركوك وتوابعها، منهم الشيخ حميد الطالباني ونجله الشيخ وهاب الطالباني²⁴⁷. وقد أخبرت السلطات البريطانية زعماء الكرد هؤلاء، وغيرهم من أكثر مناسبة، أثناء الحرب وبعدها مباشرة، أخبرتهم "بصورة رسمية أنها لاتنوي ان تفرض عليهم إدارة غريبة على تقاليدهم، ورغباتهم"²⁴⁸. ولم تأت مثل تلك التاكيدات اعتباطاً، فان رؤساء عشائر كركوك وتوابعها، أكدوا منذ البداية تمسكهم بحقوق شعبهم القومية. ورد في مذكرة بعثها الحاكم المدني من بغداد يوم

²⁴⁷ دار الكتب والوثائق، الملف رقم 12/8، موضوع الملف: تقارير شهرية عن خانقين، "نيكهايشتنى راستى" (فهم الحقيقة)، جريدة باللغة الكردية، بغداد، 26/آب/1918، P.29، C.J.Edmonds< Kurds< Turks and Arabs، (في الترجمة العربية ص).

²⁴⁸ Elie Kedouri, The Kingdom of Iraq= A Retrospect,- " The Chatam Houe. Version and other Middle Eastern Studies ", London 1970,P.256.

108 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

السابع من كانون الاول سنة 1917 الى شخص الوزير البريطاني لشؤون الهند مايلي:

"وأعتقد العشائر الكردية بصورة عامة أن الفرصة الان اصبحت مواتية للمطالبة بحقوقها القومية, وقد تم أحياء فكرة الحكم الذاتي التي ظهرت بذورها في ظل حكم الدستوري (التركي). ومما زاد الفكرة عمقاً الشروط المعلنة للحرب في البيان الذي اعدتم اعلانه من قبلها يوم فتح بغداد²⁴⁹، والتي أظهرت وجهة نظر مغايرة تماماً نحو الطموحات, والامال القومية مقارنة بتلك (الشروط) التي كانت مطبقة من قبل الترك²⁵⁰.

في خضم حرب الدعاية الواسعة التي رافقت الحرب العالمية الاولى اصدر البريطانيون منذ اليوم الاول من كانون الثاني عام 1918, أي قبل احتلال كركوك بمدة, جريدة كردية في بغداد تحمل اسم "تيگهيشتنى راستى" "فهم الحقيقة" التي استهدفوا منها كسب الكرد الى جانبهم, وابعادهم عن العثمانيين. زينت "تيگهيشتنى راستى" صدر عددها الاول بهذا الشعار "صحيفة سياسية اجتماعية تخدم اتحاد الكرد

²⁴⁹ يفيد البيان الذي أذاعه الجنرال مود على أهالي بغداد يوم إحتلالها من قبل

قوات البريطانية في الحادي عشر من اذار سنة 1917.

²⁵⁰ Public Recerd Office,F.O., 371/3407,XLM

7739,B.12950,No.101150.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 109

وحريرتهم، الموضوعة التي تكررت مراراً في مواد أعدادها التالية، ومقالاتها الافتتاحية²⁵¹.

وجهت "تيگهيشتنى راستى" نداءاتها الى رؤساء الكرد في كركوك والسليمانية وتوابعهما اكثر من أي منطقة كردية أخرى، فقد حثت مراراً العشائر الكردية في كركوك-الطالباني والجاف والهموند و زنكنة وشوان وشيخ بزيني وغيرها، على إثارة "حركة واسعة" من أجل انقاذ المنطقة الكردية "من براثن العثمانيين المتخلفين". وتغنّت الصحيفة بين الجميع بمآثر الهنود بوصفها دليلاً على شجاعة الكرد لتحريفهم على حمل السلاح، فقالت "لاداعي لكي نبتعد كثيراً، فقبل سنوات مضت أذلت عشيرة الهموند الكردية عساكر الترك والعجم مراراً"²⁵². أولت "تيگهيشتنى راستى" في الوقت نفسه، وقائع الحرب دوزخورماتو وكفري وداقوق و كركوك وغيرها اهتماماً خاصاً، ونشرت أخبارها باللغة الكردية بصورة مثيرة²⁵³. وكانت أعداد الصحيفة تنقل الى كركوك

²⁵¹ للتفصيل عن ذلك ينظر:

الدكتور كمال مظهر أحمد، "تيگهيشتنى راستى" و موقعها في الصحافة الكردية، من منشورات المجمع العلمي الكردي، بغداد، 1978.

²⁵² أنظر على سبيل المثال:

"تيگهيشتنى راستى"، العددان 17 و 19، 23 شباط و 5 آذار 1918.

²⁵³ تنظر على سبيل المثال:

"تيگهيشتنى راستى"، الأعداد 27 و 28 و 40 و 6 و 13 ايار و 5 آب 1918.

110 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

وتابعها، مثلما تنقل الى المناطق الكردية الاخرى التي كانت يتزود بعضها بنسخها عن طريق كركوك تحديداً. ولايختار مثل هذه الحقائق، بالتأكيد في مغزى سياسي وثائقي محدد.

اتخذ البريطانيون اجراءات اخرى تجسد المغزى نفسه بوضوح أكبر. فبعد احتلالهم كفري في ايار 1918 قاموا بأحصاء تقديري لسكانها، وسكان دوزخورماتو وقره تبة اللتين كانتا تابعتين لها ادارياً يومذاك، مما يعد عملياً أول احصاء يجري لسكان المنطقة بأسلوب حديث. حسب الاحصاء المذكور بلغ مجموع سكان المنطقة سبعين ألفاً ونيشاً، قدر المستقرون منهم بثمان وعشرين ألفاً. اما التوزيع الاثني والديني لهؤلاء فكان على النحو الاتي:

1- 4283 من التركمان موزعين على كفري

ودوزخورماتو وقرته.

2- 458 يهودياً.

3- 276 إيرانياً.

4- 37 عربياً موزعين على دوزخورماتو وقرته.

5- 1 مسيحي من كفري.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 111

6- أكثر من 60 ألف كردي موزعين على كفري و دوزخورماتو و قرهتپه²⁵⁴.

وحسب تقرير البريطانيين الاداري الذي وضعوه بعد احتلال المنطقة مباشرة, كان جميل بيك بابان, ومن بعده كريم بيك الجاف أهم شخصيتين متنفذتين في كفري و دوزخورماتو و قرهتپه, كما حددوا فيه أسماء أهم العشائر الكردية هناك وهي الجاف والطالباني والداود ودهلو و زهند و زهنگنه بالاني²⁵⁵. ورد في وثيقة اخرى, يعود تأريخها الى الحقبة ذاتها "أن القرى العديدة في تلول قرهتپه هي كردية صرفة"²⁵⁶.

احتل البريطانيون مدينة كركوك لأول مرة يوم السابع من أيار سنة 1918. كان ذلك حدثاً مهماً بالنسبة لهم, لذا فأُن وکیل الحاكم المدني المرافق للجيش البريطاني ارنولد ولسن انتقل إليها عن طريق الجو بعد احتلالها مباشرة. عن ذلك يقول ولسن نفسه مايلي:
"وبعد أيام قليلة طرت إليها (الى كركوك) لبحث في الوسائل التي نستطيع أن نعالج بها, على الوجه الافضل, كثيراً من المشكلات العاجلة

²⁵⁴ Administration Report for the Gadha of Kifri since its occupation (May 1918) to oecember 31st 1918", " Reports of Administration for in Mesopotamia ", Vol.I,PP.414-415.

²⁵⁵ Ibid,P417.

²⁵⁶ Public Record Office,F.O., 371/5069-4342,P.3.

112 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الناجمة عن زحف (القوات البريطانية)، وأن نجدد عطف العشائر الكردية، وحسن نيتها"²⁵⁷.

اتخذ البريطانيون، بعد احتلالهم كركوك مباشرة، سلسلة إجراءات من اجل تنظيم شؤونها الادارية، فتم تعيين النقيب بولارد حاكماً سياسياً للمدينة وتوابعها تعرف بولارد، حسبما يذكر التقرير الاداري عن كركوك، على "أبرز شيوخها ومتنفيذها من الكرد والترکمان"، وطلب منهم مساعدته في ادارة المنطقة. وكان أهم إجراء اداري اتخذه بولارد هو تأليف ماعرف ب"محكمة السلم" على غرار المناطق المحتلة الاخرى التي تشكلت فيها محاكم بهذا الاسم من اجل "ضمان النظام والهدوء" وعين على رأسها أحمد حمدي أفندي، وهو من الشخصيات الكردية المعروفة في المدينة، كان قاضياً في العهد العثماني، قدر له أن يؤدي دوماً واضحاً في ادارة كركوك وتوابعها، وفي الحياة الثقافية الكردية فيها مكانين ذلك فيما بعد²⁵⁸. هكذا اعاد التأريخ نفسه على أرض

²⁵⁷ A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920.A clash of loyalties. A personal and historical record, London, 1930,P ,

في الترجمة العربية لفؤاد جميل بعنوان "بلاد ما بين النهرين بين ولايتين"، الجزء الثاني، بغداد، 1971، ص287.

²⁵⁸ Administration Report,Kirkuk District, period October 26th –

December 31st, in : " Report of Administration for 1918 of Divisions and districts of the Occupied Territories in Mesopotamia "، Vol I, P.430.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 113

الواقع تماماً كما حدث عند احتلال العثمانيين لكركوك لأول مرة قبل ذلك التاريخ بحوالي أربعة قرون.

رحب الشيخ محمود، كذلك زعماء الهموند، بأبعاد العثمانيين من كركوك، وبعثوا رسائل خاصة الى ولسن بهذا الخصوص. قال الشيخ محمود في رسالته "أن أهالي كردستان قد سرهم هذا النجاح" وهم يتطلعون الى الازدهار بمساعدة البريطانيين "على ماازتءهم العراق سواء بسوا" واختتم رسالته "راجياً أن يعطي الضمان الكافي بالأ يسمع، في أي ظرف كان، السلة التركية بأن تعود الى كردستان مرة اخرى"²⁵⁹.

لظروف سوقية خاصة أضطر البريطانيون الى الانسحاب منت كركوك يوم الرابع والعشرين من أيار 1918، فرجع اليها العثمانيون في الحال، مما ترك أثراً كبيراً على وضع البريطانيين في كل كردستان الجنوبية. يقول ولسن بهذا الصدد: لو أبقى قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال "قطعاته في دوز (طوز)، او لو تلبث في كركوك، لاختلف الوضع في كردستان الجنوبية ملها خلال السنتين المقبلتين"²⁶⁰. يتفق لونغريگ مع ولسن تماماً حين يذكر بصدد الموضوع نفسه: "كان تقدم القوات البريطانية باتجاه كركوك في ربيع سنة 1918 قد

²⁵⁹ A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P

في الترجمة العربية: الجزء الثاني، ص 288.

²⁶⁰ Ibid,P.

في الترجمة العربية: الجزء الثاني، ص 158

114 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

قوى أمال الانكليز في اجراء اتصال مع جنوبي كردستان, وقوبل وصول القوات الانكليزية الى كركوك من دون مقاومة تذكر من الاهالي, ومن عشيرة هموند (الكردية) غير أن تخلي البريطانيين عن كركوك قد أدى الى حدوث مآسي..²⁶¹

قبل الانسحاب من كركوك مباشرة كتب ولسن رسالة الى الشيخ محمود مبيناً له الوضع, وطالباً منه أن يأخذ حكم المنطقة على عاتقه, كما اعد منشوراً خاصاً حول هذا الموضوع, حالت عودة العثمانيين السريع دون نشره كما يؤكد ذلك بنفسه. وما أن اعاد هؤلاء اختلال كركوك حتى أرسلوا مفرزة الى السليمانية ألقت القبض على الشيخ محمود.²⁶²

أعاد البريطانيون احتلال كركوك يوم السادس والعشرين من تشرين الاول عام 1918, وتم هذه المرة تعيين الكابتن (فيما بعد الميجر) نونيل (E.W.C.Noel) حاكماً سياسياً على كركوك وتوابعها, وقد باشر مهام عمله يوم الاول من تشرين الثاني سنة 1918. ومما له مغزاة أن نونيل بالتحديد كان أكثر البريطانيين تحمساً للكرد, ولقضيتهم القومية, بل يكاد أن يكون "لورانس الكرد" تماماً, الامر الذي يبدو

²⁶¹ S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950,PP.96-97.

في الترجمة العربية: الجزء الاول, ص 163.

²⁶² A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P

في الترجمة العربية: الجزء الثاني, ص 289.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 115

جلياً من تقاريره السرية التي كان يرفعها الى الجهات البريطانية العليا في تلك المرحلة²⁶³. يقول ولسن في تعليق له على تعيين نوئيل : "وكانت تعليماتي التي وجهتها اليه مايلي:

عينت حاكماً سياسياً لمنطقة كركوك اعتباراً من أول تشرين الثاني (1918) و هذه المنطقة تمتد منت الزاب الصغير الى ديالى, وفي الشمال الشرقي الى الحدود التركية الايرانية²⁶⁴, وهذا يعني بالتحديد اعتبار كركوك والسليمانية وقسماً كبيراً من اربيل وجميع توابعها وحدة ادارية واحدة, ولا نرى داعياً للتأكيد على أن البريطانيين لم يتخذوا مثل هذا القرار اعتباطاً.

مع أنتهاء الحرب العالمية الاولى اولت الخارجية البريطانية موضوع ادارة " كردستان الجنوبية" ومستقبلها اهتماماً مباشراً. ففي الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الخميس الموافق للسابع عشر من نيسان 1919 عقد في مقر وزارة الخارجية بلندن مؤتمر مصغر خاص برئاسة شخص وزير الخارجية اللورد كيرزن, حضره عدد من كبار المسؤولين المعنيين (؟؟؟) الشرق الاوسط في وزارات الخارجية والحربية

²⁶³ عن ذلك تنظر مثلاً في:

" Documents on British foreign Policy, 1919-1939", first series, Vol. IV, London, 1952, PP. 678, 693, 742, 782.

²⁶⁴ A. T. Wilson, Mesopotamia 1917-1920, P. 128.

حول الموضوع نفسه تنظر كذلك: "العالم العربي" (جريدة) بغداد, العدد 2301, 12 أيلول 1931.

116 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

والمالية والهند، فضلاً عن وكيل الحكم المدني البريطاني ارنولد ولسين. وردت في التقرير السري الذي أعدت عن أعمال المؤتمر والذي يقع في سبع صفحات من الحجم الكبير، معلومات مهمة عن "سكان ولاية الموصل" تنقل أدناه أهمها:

"ان سكان ولاية الموصل القديمة، التي لم تقترح حالياً أي إجراءات ادارية بحق من يقطنون خارجها (يقصد كرد تركيا)، يتألقون طبيعياً من ثلاثة أقسام: القسم الاول عبارة عن شق كردي نقي مواز لحدود بلاد فارس، يقدر عددهم بحوالي 150 ألف نسمة. أن كرد هذه المنطقة لا يختلفون عن كرد بلاد فارس فيما وراء الحدود. والقسم الثاني عبارة عن شق يمر عبر كفري وكركوك والتون كوبري واربييل، يتراوح كرد مستقرون لايشبهون جيرانهم كثيراً (في عاداتهم وتقاليدهم) سوى في لغتهم.. أما القسم الثالث فهو سكان المتبقي من ولاية الموصل الذين لايزيد عددهم عن 100 ألف نسمة، جلهم من العرب، والقسم الاكبر من هؤلاء (العرب) من المستعربين . جرى تجاهل النسبة الضئيلة من بدو العرب من وجهة نظر سياسة ان ثلثي سكان المتبقي خليط من الكرد والمسيحيين وآخرين، ولاتوجد في المدينة بقعة سائدة، فيما يوجد هناك عدد قليل من الاسر الكردية المنفذة. كان بالامكان اقامة حكم ذاتي في كردستان تكون مدينة الموصل عاصمته ان هذا يرضي الرأي الكردي، وربما يؤدي الى تكوين دولة شبه مستقلة وقوية، يفوق الكرد على العرب فيها عدداً. لكن من جهة أخرى ان ذلك لايناسب سكان مدينة الموصل نفسها الذين كانوا يتوقعون اقامة ادارة عربية لاكردية حين

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 117

طالبوا أن تكون الموصل ولاية مستقلة²⁶⁵. في الاجتماع نفسه عرض تقرير الميجر نوئيل الذي اقترح فيه الاجتماع نفسه عرض تقرير الميجر نوئيل الذي وربما كلا من عقرة وأربيل وكركوك وكفري و خانقين²⁶⁶. خلف الكابتن لونكريك²⁶⁷ نوئيل وكيلا للحاكم السياسي في كركوك و توابعها نفسه على كل خطوة خطاها لونكريك في الميدان الاداري في تلك المرحلة الحرجة، وكانت ظاولى تلك الخطوات، واهمها قاطبة تأسيسه لمجلس ادارة سهمته "مساعدة الحاكم السياسي البريطاني هناك". تألف المجلس من اثني عشر عضواً كانوا موزعين على النحو الاتي:

- 1- عضو مسيحي.
- 2- عضو يهودي.
- 3- عضو عربي.

²⁶⁵ Public Record Office, F.O., 371/4149/4325, Inter-Departmental Conference on Middle East Affairs, Minutes of a Conference held at the Foreign Office on Thursday, April 17, 1919, at 4.30 P.M., Secret, P.2.
²⁶⁶ Ibid, P.7.

²⁶⁷ S.H. Longrigg, وهو نفسه الذي الق فيما بعد مجموعة كتب قيمة عن تاريخ العراق الحديث والمعاصر، أهمها قاطبة كتابه "أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" الذي ينطوي على معلومات في غاية الأهمية بالنسبة لموضوعنا، ولقد أعيد طبع ترجمته العربية حوالي عشر مرات، ليحتل بذلك المقام الاول في تاريخ المطبوعات العراقية.

118 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

4- ثلاثة أعضاء يمثلون التركمان.

5- ستة أعضاء يمثلون الكرد.

سجلت التقارير البريطانية التفصيلات المتعلقة بكل واحد من أعضاء مجلس ادارة كركوك المذكورين، وكرست لهم وثيقة خاصة صورتها وندون فيما يلي ترجمتها:

الهوية الشخصية		المصالح من يمثل وغير ذلك (المهنة)	محل الإقامة	الاسم	ال عدد
الجنس	الدين				
سن	كرد	رجل دين ومزارع كبير	كركوك وقرية علي غاير	أحمد خانقاه	1
سن	كرد	رجل دين، موظف قاضي	كركوك	احمد حمدي أفندي	2
سن	تركمان	رئيس بلدية (في العهد العثماني) ملاك و موظف	كركوك	مجيد أفندي ²⁶⁸	3
سن	تركمان	مصالح محلية)	كركوك وقرية	حسي بيك نبطجي	4

²⁶⁸ هو نفسه مجيد اليعقوبي، وكما اسلفنا ينتمي يعقوبيو كركوك الى عشيرة زهنگنه الكرديه.

حُرُوكٌ و توابعها حكم التاريخ و الضمير 119

		طوبزاوا	خصوصاً أبار النفط (, ملاك تاجر ومزارع يمثل المثقفين		
سنو	تركمانى	كركوك	يمثل الطائفة اليهودية, يهودى تاجر	حاجى جميل بيك	5
يهو	يهودى	كركوك	يمثل الطائفة المسيحية, كلداني تاجر ومزارع	حسقىل أفندى	6
مسو	كلداني	كركوك	يمثل الطائفة المسيحية, تاجر و مزارع	قسطنطين أفندى	7
سنو	كردى	كنگره بان قرب كفرى	ارستقراطى محلى	جميل بيك بابان	8
سنو	كردى	كفرى	ملاك مزارع	عمر أعا	9
سنو	كردى	ككىل	عشيرة الطالبانية, ملاك عشائرعربى	الشيخ حميد الطالبانى	1 0
سنو	عربى	الصجرء	عربى, شبه	حسنى العلى	1 1

120 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

		بدوي, غير مزارع			
سن	كردى	مزارع مستقر من الجاف	كلار, على نهار دىالى	رضا بيك	1 2

ومما يجدر ذكره أن حسين العلي هو من زعماء عشيرة العبيد المعروفين، وكان هو واولاده الذين خلفوه في زعامة العشيرة، على علاقات طيبة مع كرد المنطقة، ومع الزعماء الكرد، خصوصاً مع الشيخ محمود الذي كانوا على اتصال مباشر به²⁷⁰.

فضلاً عن المجلس أشغل الكرد والتركمان تقريباً جميع الوظائف الادارية في كركوك وتوابعها في مرحلة الاحتلال البريطاني، كما كان عليه الامر في العهد العثماني. وقد وردت اشارات صريحة الى ذلك في العديد من التقارير والوثائق البريطانية الخاصة التي يعود تاريخها الى تلك الحقبة. ففي دوائر البلدية، مثلاً، استخدم البريطانيون العديد من موظفي العهد العثماني من كرد و تركمان، و أسسوا دوائر خاصة بالواردات في كركوك و توابعها "كان يشرف عليها الحاكم السياسي في

²⁶⁹ Public Record Office, F.o., 371/4152-3717.

²⁷⁰ نورد حقائق محددة عن ذلك في المبحث الخاص بعلاقة حركات الشيخ محمود بكر كوك و توابعها، فضلاً عن المبحث الخاص بمشكلة الموصل.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 121

كركوك، ومساعدته في بقية المقاطعات²⁷¹، يعاونهم عدد من الموظفين الكرد" كما ورد أيضاً في تقرير اداري بريطاني يحمل تاريخ العشرين من آب سنة 1919²⁷².

ويبدو واضحاً من الوثائق البريطانية الخاصة ان اقامة بعض المؤسسات الادارية في كركوك و توابعها كانت تعتمد على موقف الكرد تحديداً، فباعتراهم لم يتمكن البريطانيون في البداية من تأليف فقرة خاصة للشرطة في كركوك "بسبب امتناع الاكراد عن الالتحاق بها"، مما أجبرهم على استخدام ثلاثين شرطياً من خارج كركوك²⁷³.

الى جانب احتفاظه بمعظم الموظفين السابقين لم يمسه لونكريج أيضاً سلطة زعماء العشائر الكردية في كركوك و توابعها. في تعليق له

²⁷¹ في سنوات الاحتلال البريطاني كان الاقليم الذي يشرف عليه الحاكم السياسي

يدعى منطقة (District)، والجزء التابع له الذي يشرف عليه معاون الحاكم السياسي يدعى مقاطعة (Division) إدارياً، وكانت المنطقة تعادل اللواء او

المحافظة، والمقاطعة تعادل التقاء. عن ذلك ينظر:

C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, p.g.

²⁷² Public Record Office, F.O,371/4149,H325,Admini-stration Record during British Occupation by Political Department,India Office,20th August,1919.

²⁷³ Administration Report.Kirkuk District,Period October 26th –

December 31st 1918", in : a Report of Admini- stration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia “, Vol.I, P.435.

122 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

على ذلك يقول المتخصص في تأريخ العراق المعاصر، المستشرق ل.ن. كاتلوف مانصه:

"وبقيت النواحي المرتبطة، بمنطقة كركوك يديرها موظفوها القدامى، وزعماء القبائل من الاقطاعيين و الاغوات لان سلطات الاحتلال البريطاني لم تتبع سياسة مركزية قاسياً في منطقة كردستان خوفاً من ادارة زعماء القبائل فيهاو الذين كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي خلال العهد العثماني"²⁷⁴.

اتخذ البريطانيون في سنوات الاحتلال سلسلة من الاجراءات الاخرى التي لها مغزاها السياسي والاداري والثقافي بالنسبة لموضوعنا من ذلك، على سبيل المثال، أنهم أصدروا اعتباراً من يوم الخامس عشر من كانون الاول سنة 1918 جريدة بأسم "النجمة" في كركوك، وردت تحت اسم عبارة "موقعها في دائرة الحكومة- كركوك". صدرت "النجمة" في البداية بالعربية، لكنهم سرعان ماغيروا لغتها الى التركمانية -لغة الثقافة والكتابة السائدة يومذاك بين مثقفي كركوك من كرد وتركمان -ورد في التقرير البريطاني عن ادارة كركوك سنة 1918 ان تغير لغة الجريدة جرى "بسبب الرغبة العامة" التي سادت المدينة²⁷⁵. ومن

²⁷⁴ ل.ن. كاتلوف، حركة التحرر الوطني في العراق قبل ثورة العشرين، ترجمة الدكتور نوري السامرائي، في "مجلة كلية الادباء"، البصرة العدد السابع لسنة 1971، ص 157.

²⁷⁵ Administration Report, Kirkuk District...”, Vol.I,P.436.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 123

المفيد أن نشير الى أن "النجمة" وجدت طريقها الى الكرد في مدن كردستان الاخرى على نطاق واسع. ومن المفيد أن نشير أيضاً الى أن أول اتصال تلغرافي أنشأه البريطانيون بعد احتلاله مدينة كركوك مباشرة كان مد خط مباشر بين كركوك و السليمانية، ومن ثم بين كركوك والمناطق الكردية الاخرى بعد²⁷⁶.

بقيت كركوك توالف مركز الادارة الرئيس لمعظم مناطق كردستان الجنوبية طوال سنوات الاحتلال البريطاني (1918-1920)، بل لم يجر فصل كركوك عن "جنوب كردستان" في المراسلات، والوثائق البريطانية التي تعود الى تلك الحقبة. ففي حديثه عن الصعوبات التي تعترض عملياً تأليف لجنة خاصة للنظر في مستقبل العراق الاداري فشل وكيل الحاكم المدني البريطاني ارنولد ولسن مدينة الموصل وحدها عن "جنوب كردستان" ضمن ولاية الموصل، اذ يقول في تقرير له يحمل تاريخ الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام 1918 ما نصه:

".. الى جانب هذا فإن جميع طاقاتي، وطاقات الموظفين الرئيسيين معي ستطلبها المهمة الدقيقة الخاصة بالتعرف على اتجاه الرأي المحلي المسؤول في الموصل و جنوب كردستان و ولايتي بغداد وبصرة..²⁷⁷"

²⁷⁶ عن ذلك تنظر في:

" النجمة " (جريدة)، كركوك، العدد الثاني، 16 كانون الاول 1918.

²⁷⁷ Public Record Office, F.O. 371/3387/194885, from Aliti-cal

Officer, Baghdad, November 23, 1918, Ghassan R. Atiyyah, Iraq 1908-1921. A Political Study, Beirut, 1973, P. 169,

124 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

في ضوء ذلك جرى البت في موضوع ادارة العراق بعد أنتهاء الحرب. في برقيته الى وزارة الهند بتاريخ العشرين من شباط عام 1919 اقترح ولسن "أن يحكم العراق من قبل مندوب سام, يكون في امرته أربعة وكلاء يديرون المناطق الآتية: 1- البصرة, 2- بغداد, 3- الفرات, 4- الموصل". ثم أضاف: ولكن اذا "منح شئ من الحكم الذاتي لكردستان" و "اذا منحت كردستان مركزاً اص قانونياً منفصلاً فسيكون هناك خمسة الوية"²⁷⁸. مما يعني اضافة لواء جديد الى الالوية الاربعة الاخرى بأسم كردستان, يضم جميع ولاية الموصل ماعدا مدينة الموصل نفسها, ليصبح العراق بذلك مؤلفاً من الناحية الادارية من البصرة و بغداد والفرات والموصل وكردستان. في التاسع من أيار سنة 1919 أبلغ وزير الدولة البريطاني موافقة حكومته الى ارنولد ولسن بالصيغة الآتية:
"نحولكم المباشرة بإنشاء خمسة الوية في العراق بحدوده المعلومة.. كذلك انشاء لواء عربي في الموصل يحده شريط من دولة كردية ذات

غسان العطية, العراق. نشأة الدولة 1908-1920, ترجمة: عطا عبدالوهاب, دار اللام لندن, 1988, ص225.

²⁷⁸ Public Record Office, F.O., 371/4184/60942, Secret, Mesopotamia: Future Constitution, raft Reply to Seretary of States Telegram of February 14, 1919, GL.A. Atiyyah, Iraq 1908-1921, P.181,

غسان العطية, العراق . نشأة الدولة, ص 239.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 125

حكم ذاتي برئاسة شيوخ أكراد، مع مستشارين سياسيين بريطانيين²⁷⁹.

ولئن لن تطبق هذه التوجبات بحذافيرها لاسباب نتطرف الى تفصيلات بعضها لاحقاً، الا أن شيئاً مماثلاً لها هو الذي طبق، والذي أبقى كركوك و توابعها مرتبطة في كل الاحوال، ببقية المناطق الكردية، اذ قسم البريطانيون العراق على ستة عشرة وحدة ادارية، تسمى الوحدة منها منطقة (District)، هي بغداد والبصرة و القرنة والعمارة والناصرية و الكوت و السماوة و الحلة (بضمها كربلاء) و بعقوبة و سامراء و الدليم و الشابية (بضمها النجف) ودير الزور و الموصل و خانقين و اخيراً كركوك²⁸⁰. وهذا يعني أن جميع المناطق الكردية الممتدة الى الشرق والجنوب من خانقين و الى الشرق من الموصل، أي أكثر من ثلاثة أخماس كردستان الجنوبية كانت ترتبط بكركوك ادارياً، بما فيها أربيل والسليمانية و كفري ورواندوز و كويسنجق والتون كوبري و

²⁷⁹ Public Record Office Commissioner, Baghdad, May 19th, 1919, A. T. Wilson, Mesopotamia 1917-1920, P. 123, Gh-R Atiyah, Iraq 1908-1921, PP. 184-185.

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص 243.

²⁸⁰ "Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia", Vol. I, S.H. Longrigg, Iraq 1900 to 1950, P. 13

في الترجمة العربية: الجزء الاول، ص 183.

126 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

دافوق ودوزخورماتو وغيرها, وأخبر فتاح باشا مقترحاً لهذه المنطقة المهمة, وكان يتقاضى راتباً شهرياً قدره 130 روبيه وراتبه هذا كان, مثل راتب متصرف البصرة, يفوق راتب جميع متصرفي المناطق الأخرى, بما في ذلك متصرف بغداد ناجي شوكت²⁸¹, مما يؤشر دون ريب أعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ومن المهم أن نشير الى ان فتاح باشا كان تركمانياً, لكن أختباره أول متصرف لكركوك وتوابعها كان على أساس كونه "يحظى باحترام الكرد" كما ورد نصاً على لسان المندوب السامي البريطاني في العراق بيرسي كوكس أثناء المداولة في المسألة الكردية أمام مؤتمر القاهرة في آذار 1921, وهذا هو النص الانكليزي لكلامه:

"Fatah Pasha, a Turk when the Kards regarded with favour, had been appointed Mutassarif of Kirkuk"²⁸².

متصرف, بقي مرتبباً بكركوك ادارياً لغاية نيسان 1923, فيما بقيت السليمانية وتوابعها, وبواقع مساحة 6500-7000 ميلاً حريصاً ضمن كركوك, اذا استمرت الأولى تمثل مقاطعة (Division) تتبع

²⁸¹ دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, التسلسل 542-وع;

رقم الملف/11, موضوع الملف : ملاك وزارة الداخلية لسنة 1921, ص 38-40,

"العراق" (جريدة), بغداد, 29 كانون الثاني 1921.

²⁸² Public Record Office, F.C., 371/6343,4372, Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem, March 12 to 30, 1921, P.5.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 127

كركوك بوصفها منطقة (District)²⁸³، وبقيت السليمانية تتبع كركوك ادارياً حتى اواسط العام 1925 حيث تم تعيين أول متصرف عراقي لها²⁸⁴، ولكن حتى حينذاك كانت كركوك تشمل ادارياً منطقتي بازيان و قرهداغ، اللتين ضمتا الى السليمانية بتدخل من الوزير الكردي المعروف محم امين زكي في العام 1927²⁸⁵.

وبعد الحرب أيضاً تم تأليف قوة خاصة بأسم "قوة كردستان الجنوبية" مقرها كركوك، وهي نفسها التي قامت بقمع أنتفاضة الشيخ محمود في حزيران سنة 1919²⁸⁶.

تبلورت أبعاد الاجراءات الادارية هذه اكثر بعد وضع العراق تحت الانتداب البريطانية، وباتجاه يبين باستمرار روابط كركوك بكردستان على جميع الصعد.

²⁸³ Public Record Office, 371/5069,4342,Administration Report of Sulaimanyah Division for the year 1919,P.4, " Special Report by His Majestys Government... to the Council of the league of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931", PP.50,252-254,S.H. Lorigrigg,Iraq 1900 to 1950,P.131 .

في الترجمة العربية: الجزء الاول، ص 224.

²⁸⁴ C.J>edmonds, Kurds,Turks and Arabs,PP.413,435.

في الترمة العربية : ص369,387.

²⁸⁵ محمد أمين زكي، بغداد، 1928، ص7.

²⁸⁶ A. T. Wilson, Nesopotamia 1917-1920, P.137, 17 أيلول، "العالم العربي" 1931.

كركوك و توابعها ف بداية عهد الانتداب:

في المؤتمر الذي عقده المجلس الاعلى للحلفاء (بريطانيا و فرنسا و إيطاليا واليابان و الولايات المتحدة الامريكية بصفة مراقب) في سان ديو بايطاليا، والذي أستغرقت أعماله أسبوعاً كاملاً من 19 حتى 26 نيسان 1920 تقرر منح بريطانيا الانتداب "على العراق و ولاية الموصل"²⁸⁷. وفي ضوء مواد معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا الموقع عليها في اليوم العاشر من آب من العام نفسه في سيفر قرب باريس وضع لائحة خاصة من قبل عصبة الامم تضمنت شروط الانتداب، وألتزامات بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على العراق.

تألقت اللائحة المودعة لدى عصبة الامم، والموزعة نسخها بصورة رسمية على الدول الموقعة على معاهدة سيفر، بما في ذلك تركيا، من عشرين مادة، ورد في المادة الثامنة منها " .. ولا تميز فئة على أخرى في العراق بسبب جنسية أو دين أو لغة . ويشجع المنتدب التعليم بلغات العراق الوطنية". نصت المادة السادسة عشرة منها على أن:

"لاشئ في هذا الانتداب يمنع المنتدب في تأسيس حكومة مستقلة ادارياً في المقاطعات الكردية كما يلوح له"²⁸⁸.

²⁸⁷ " People without a Country>The Kurds and Kurdistan " , Zed Press,London,1976,P.160.

²⁸⁸ ينظر نص لائحة الانتداب في:

مُرحوكُ و تواجها حكم التاريخ و الضمير 129

أورد العديد من الكتاب القوميين العرب نص هذا البند في مؤلفاتهم، كما فعل ذلك، مثلاً السياسي والمحامي والقومي المعروف، رئيس الوزراء الأسبق عبدالرحمن البزاز في محاضراته التي ألقاها عام 1954 على طلبة معهد الدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية، وكان مقرها في القاهرة يومذاك²⁸⁹، وكما فعل ذلك أيضاً غيره²⁹⁰. وحسب معلوماتنا جاءت آخر إشارة عراقية الى نص هذا البند في صحيفة "الجمهورية" في أواسط أيلول من العام 1992²⁹¹.
دشن الانتداب عهداً جديداً في العراق يعرف تاريخياً بعهد الانتداب الذي استمر بصورة رسمية حتى اليوم الثالث من تشرين الأول سنة 1932-تاريخ دخول العراق في عصبة الأمم.

عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الطبعة السابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988، الملحق رقم 2، ص 301-304.
289 عبدالرحمن البزاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، الطبعة الأولى، القاهرة، 1954، ص 130. وفي الطبعة الثالثة من الكتاب بعنوان "العراق من الاحتلال حتى الاستقلال"، بغداد، 1967، ص 325.
²⁹⁰ ينظر على سبيل المثال:

محمود الدرة، القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق، بيروت، 1963، ص 71.

²⁹¹ "الجمهورية" (جريدة)، بغداد، العدد 8296، 19 أيلول 1992، ص 2.

130 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

شهدت المرحلة الاولى من عهد الانتداب تطورات في غاية الاهمية, امتدتاثرها بقوة الى المناطق الكردية, وهي مثبتة في سلسلة من الموثيق والتقارير الدولية, والوثائق الرسمية البريطانية والعراقية وغيرها, تبين جميعها الطابع القومي لكركوك و توابعها بوضوح.

في الخامس من تشرين الاول سنة 1920 عينت لندن الدبلوماسي العليم بشؤون الشرق الاوسط, سفيرها لدى طهران يومذاك لسيد بيرسي كوكس أول مندوب سام لحكومة البريطانية في العراق. وصل كوكس بغداد بعد ستة أيام, وباشر في الحال بأخذ سلسلة من الاجراءات الادارية لتنظيم شؤون العراق, كان أهمها تأليف "مجلس الدولة" (Council of State) برئاسة عبدالرحمن النقيب في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة 1920, والذي دخل التاريخ بأسم الحكومة المؤقتة: ان ما يهمننا من هذا الموضوع هو أن الشخصية التركمانية, الجنرال في الجيش العثماني السابق, عزت باشا الكركوكي, وهو كما يبدو من لقبه من أهالي مدينة كركوك,, أختير لاشغال حقيبة وزارة المعارف والصحة في الحكومة المؤقتة, وسبق أن أختير عزت باشا نفسه ممثلاً عن الكرد في "لجنة الانتخابات العراقية" التي تم تأليفها قبل تشكيل الحكومة المؤقتة باشهر قليلة, وقد أشارت الى ذلك الوثائق البريطانية التي تخص الموضوع²⁹². وكما يبدو واضحاً من رسائل السن

²⁹² عن ذلك ينظر في:

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 131

بيل²⁹³ أن عزت باشا الكركوكي كان يؤدي فعلاً، دور الوسيط بين الرؤساء الكرد والسلطة، وهذا ما جعله يتمتع بوزن كبير²⁹⁴.

وطيلة مدة وجود الحكومة المؤقتة التي استمرت حتى الثالث والعشرين من آب 1921، يوم تتويج فيصل الاول ملكاً على العراق، لم ترتبط كركوك و تواجها، حالها في ذلك حال جميع المناطق الكردية الاخرى، بالحكومة المؤقتة ادارياً، بل بقيت مرتبطة بالمندوب السامي البريطاني مباشرة، وذلك بموجب قرار أبلغ كوكس الحكومة المؤقتة به بصورة رسمية، على أن تكون ضمن المنطقة الكردية عموماً، بما فيها كردستان تركيا، تابعة لقسم الشرق المستحدث في وزارة المستعمرات. وقد جاءت "نصت المادة الرابعة والستين من معاهدة سيفر على انه اذا طالبت غالبية أكراد الماطق الواقعة بين حدود أرمينيا وبلاد ما بين

محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي. دراسة تاريخية سياسية، الطبعة الاولى، بغداد، 1976، ص113.

²⁹³ من المفيد ان نشير الى أن الجهات المسؤولة. جمعت نسخ الترجمة العربية لرسائل المس بيل التي أنجزها المترجم المعروف جعفر خياط، ونشرتها وزارة الاعلام سنة 1977، وذلك بعد أن أحست تلك الجهات إن مضمون العديد من تلك الرسائل لا يخدم سياسة الدولة، بما في ذلك موقفها من القضية الكردية وعمليات التعريب التي كانت تنفذها في المناطق الكردية.

²⁹⁴ "العراق في رسائل المس بيل" ترجمه وعلق عليه جعفر الخياط، قدم له وزاده تعليقاً عبد الحميد العلوجي، منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية، بغداد، 1977، ص315.

132 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

النهرين خلال سنة من دول هذه المعاهدة حيز التنفيذ بالاستقلال، وأذا اقتنع مجلس العصبة بأنهم مؤهلون لذلك، فعلى تركيا أن تتخلى عن حقوقها في تلك المناطق . في تلك الحالة لن تتعرض الدول المتحالفة الرئيسية (بريطانيا العظمى، فرنسا، إيطاليا، اليابان) على الانضمام الطوعي للكرد القاطنين في المقاطعات المعروفة اسم كردستان الجنوبية، والتي ضمت الى ولاية الموصل، الى هذه الدولة المستقلة . وبانتظار حدوث هذا، فإن اللجنة التي ضمت ممثلين عن أقسام وزارة المستعمرات المعنية، أوصت بأن تناط مسؤولية كردستان بقسم الشرق الاوسط الجديد في وزارة المستعمرات البريطانية.. وقد أبلغ كوكس مجلس الدولة العراقي (الحكومة للمؤقتة) بأنه سيكون مسؤولاً عن الجزء الكردي العراقي، أي مقاطعتي كركوك والسليمانية وبعض أجزاء البلاد شمال الموصل²⁹⁵ .

في النص الانكليزي:

"Cox had already informed the Iraqi Council of State that he would be responsible for the Kurdish part of Iraq, i.e the Kirkuk and Suleimannieh division and some country north of Mosul "

²⁹⁵ Ph.Graves, The life of Sir Percy Cox, Second Impression, London and Melbourn, P.283.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 133

استمر هذا الوضع الاداري لكركوك و توابعها حتى بعد تنويج فيصل رداً اخر من الزمن كما تلاحظ ذلك ضمن المباحث اللاحقة من هذه الدراسة.

ان أهم حدث سياسي تزامن مع وجود الحكومة المؤقتة العراقية كان مؤتمر خاص في القاهرة عالج ضمن قضايا أخرى، أبعاد القضية الكردية في العراق، ومستقبل كردستان الجنوبية من مختلف جوانبها، وعلى نطاق واسع مس كركوك وتوابعها بصورة مباشرة.

كركوك و توابعها امام مؤتمر القاهرة:

توسعت شؤون المستعمرات البريطانية و تشعبت كثيراً مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، مما تطلب من لندن عناية فائقة تعتمد الدبلوماسية، والدراية . جرى ذلك التوسع بالاساس على حساب مناطق في الشرق الاوسط دخلت ادارتها لأول مرة في حوزة البريطانيين، وكان العراق يؤلف دون ريب، أهم تلك المناطق.

كان تقل السياسي المحنك ونستن تشرشل (چرچل) من وزارتي الحربية والطيران الى وزارة المستعمرات واحداً من الاجراءات التي لجأت اليها لندن لمعالجة الموقف الجديد. أول ما فكر فيه وزير المستعمرات البريطاني الجديد، كان تأسيس قسم خاص لشؤون الشرق الاوسط، مهمته تخطيط السياسة البريطانية تجاه هذه المنطقة الحساسة. وكان تقليص نفقات الحكومة البريطانية في هذه المنطقة يمثل المهمة الاولى التي تنتظر حلاً عاجلاً نظراً لاستياء دافع الضريبة البريطاني الذي

134 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

وقع على كاهله جزء كبير من مصاريف الحرب العالمية الاولى الباهظة التكاليف.

من هذا المنطلق ارتأل چرچل عقد مؤتمر خاص، يحضره المسؤولون البريطانيون في أقطار الشرق الاوسط، بما في ذلك العراق الذي طرح موضوع مستقبل حكمه على بساط البحث أمام المؤتمر.

تألف الوفد الى المؤتمر من مندوب السامي البريطاني السيد بيرس كوكس والسكرتيرة الشرقية لدار الانتداب ألس بيل، ومستشاري وزارات المالية والدفاع والاشغال والمواصلات في الحكومة المؤقتة، وكان جميعهم من البريطانيين، كما ضم الوفد أيضاً وزيرين عراقيين هما وزير الدفاع جعفر العسكري، ووزير المالية ساسون حسقین بوصفهما عضوين استشاريين. كان على المؤتمر أن يبت بالنسبة للعراق في الموضوعات الآتية:

-علاقة الدولة العراقية الجديدة ببريطانيا من حيث النفقات.

-تحديد من سيتولى حكم العراق.

-تحديد نوع وشكل الجيش العراقي.

- " وضع المناطق الكردية، وعلاقتها بالعراق"²⁹⁶.

²⁹⁶ " The letters of GertrudeBell", Selected and Edited by Lady Bell,D.B.E. London,Eleveritl. Printing, April 1930,PP.431-432,

عبدالرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص36.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 135

ترأس جرجل المؤتمر بنفسه, كما اشترك في اعماله اضافة الى كمبار المسؤولين البريطانيين في الشرق الاوسط, عدد من كبار مسؤولي وزارات الحربية و المالية والطيران.

عقد المؤتمر, الذي دخل التاريخ بأسم "مؤتمر القاهرة", على مرحلتين: الاولى في القاهرة حيث أفتتح يوم الثاني عشرة من اذار واستمرت أعماله هناك لغاية الرابع والعشرين من اذار 1921, لتبدأ بعد ذلك مرحلته الثانية في القدس والتي استمرت لغاية الثلاثين منه, وهذا يجد ذاته يؤشر أهمية المؤتمر الذي قومه المس بيل هكذا:

"لقد كان مؤتمراً مدهشاً, أنجز فيه من الاعمال خلال أسبوعين أكثر مما كان قد أنجز من قبل خلال سنة بكامله"²⁹⁷.

أثير موضوع قضية الكردية, ومعها كركوك, في أول اجتماع عقده المؤتمر للبت في مستقبل بلاد ما بين النهرين . فقد ورد في ذلك الاجتماع أن المصلحة تقتضي "ان تدار كردستان بصورة مباشرة من قبل المندوب السامي, وتبقى منفصلة عن العراق نفسه" الى أن يتم ظهور "رأي عام كردي معتبر يؤثر الانضمام الى العراق", ولاحظ المجتمعون أن بذل أي محاولة لاجبار المناطق الكردية على أن "تحكم من قبل حكومة عربية سوف يؤدي الى حدوث مقاومة". وأثير بالمناسبة موضوع سحب الحامية البريطانية التي نقلت الى كركوك, والتي ادت

²⁹⁷ "العراق في رسائل المس بيل", ص 274.

136 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الدور الاساس في القضاء على الانتفاضة الكردية التي انفجرت بقيادة الشيخ محمود ذد البريطانيين في العام 1919²⁹⁸.

وفي اليوم الرابع من المؤتمر، وهذا لا يخلو من مغزى، الموافق للخامس عشر من آذار 1921 كرسست اللجنة السياسية، وكانت اهم لجان المؤتمر، جلستها الرابعة لمناقشة القضية الكردية بصورة مستقلة. ترأس الجلسة شخص وزير المستعمرات ونستن جرجل، أما الاعضاء المشاركون فيها فكانوا السير بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق، والمس بيل، والكولونيل لورانس الذي كان يشغل يومذاك منصب مستشار وزير المستعمرات للشؤون الشرقية، والميجر يونك الخبير بالشؤون المالية، والميجر نوثيل خبير بالقضايا الكردية، والميجر بادكوك المشرف على تنظيم أعمال المؤتمر سكرتيراً لجلسة. خصص الملحق العاشر للتقرير و الذي أعد اعمال المؤتمر وقراراته، لمدار في تلكالجملة²⁹⁹.

ان ما أثير في تلك الجلسة بخصوص "كردستان الجنوبية" وأحياناً "جنوب كردستان"، وفيما يخص كركوك و توابعها بالتحديد، أمر ذو أهمية خاصة محلياً، وكذا دولياً، ويلقي ضوءاً ساطعاً على العديد من الابعاد الخفية لواقع القضية الكردية في العراق. نحاول فيما يلي أن

²⁹⁸ Public Record Office, F.O., 371/6343/9372, Report on Middle East

Conference held in Cairo and Jerusalem, March 12 to 30, 1921, II, Mesopotamia, P.5.

²⁹⁹ Ibid, Appendix 10, PP.59-61.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 137

نلخص ماجاء في مؤتمر القاهرة بخصوص القضية الكردية، مع كل ما يخص كركوك وتواجها، في جملة نقاط أساسية، هي:

-ان اللجنة السياسية تعاملت مع القضية الكردية "في ضوء دراسة معاهدة سيفر" التي منحت كرد الامبراطورية العثمانية في موادها 62-64 حق تقرير المصير، وعلى هذا الاساس "تم الانتزاع بان لايدخل كرد الجنوب تحت سيطرة حكومة العراق"³⁰⁰.

-في ضوء ماتقدم اكد السير بيرسي كوكس "انه سبق له أن أبلغ مجلس الدولة (يقصد الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبدالرحمن النقيب) بأنه في غضون السنة التي تتمتع كردستان فيها بحق اختيار الاستقلال بموجب معاهدة سيفر"³⁰¹ سيقوم شخصياً بأدارة المناطق

³⁰⁰ Ibid,P.59.

³⁰¹ يقول نص المادة 64 من معاهدة سيفر: "إذا راجع الكرد القاطنون في المناطق الواردة ضمن المادة 62 مجلس الامم في غضون سنة من نفاذ منطوق هذه المعاهدة، مبيينين عن أكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال، وإذا اوصى المجلس بمنحهم آياه، فإن تركيا تتعهد من الان أن تراعي تلك التوصية، فتتخلى عن كل مالها من حقوق و حجج في هذه المناطق، وتصبح تفاصيل هذا التنازل موضوع إتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا. وإذا وقع مثل هذا التخلي، وفي الوقت الذي يحدث فيه، فإن الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للكرد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان الذي مايزال حتى الان ضمن ولاية الموصل، الى هذه الدولة الكردية المستقلة". تنظر:

" Sevres and Lausanne ", Moskva,1927,PP.24-25

138 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الكردية بما في ذلك كركوك³⁰². وهنا يحدد كوكس ما يقصده بالمناطق الكردية التي يقول عنها أنها عبارة "عن المنطقة التي يؤلف للكرد أكثرية سكانها، وهي مقطعتا كركوك و السليمانية، مع أصقاع معينة تمتد الى الشمال من الموصل ". بعد ذلك يذكر كوكس حقيقة جديدة بالملاحظة، مفادها "أن كركوك والموصل يداران حالياً من قبل متصرفين بأستشارة ضابطين سياسيين بريطانيين، مع ملاك من الموظفين الكرد الذين يوجد عدد كاف منهم". ثم يقتصر كوكس حديثه على كركوك وحدها فيقول "لقد تم تعيين فتاح باشا متصرفاً لكركوك، وهو تركماني يخطى باحترام الكرد"³⁰³.

-أثير أمام المجتمعين موضوع شكل الحكم الذي كان يجب أن يتمتع به "كرد الجنوب"، فأعتقد الميجر يونغ ضرورة "أقامة دولة كردية تكون مرتبطة بالمندوب السامي بصورة مباشرة، على أن لاتكون جزءاً من الحكومة العراقية، ولاتابعة لها". وحول الموضوع نفسه، وردا على سؤال وجهه اليه جرجل، قال لميجر نوئيل بوصفه متخصصاً في القضايا الكردية، أن الكرد يرون أنهم منحوا ما مانوا يأملونه بموجب معاهدة

³⁰² Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem..",appendix 10,P.59

³⁰³ Ibid,PP.59-60

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 139

سيقر". وأضاف "أن الكرد يفضلون Home Rule³⁰⁴، ويعترضون على قبول أي مسؤولية من طرف الحكومة العراقية"³⁰⁵.

هنا توجه جرجل الى الكولونيل لورانس، بوصفه متخصصاً في القضايا العربية، متحمساً لها، ولكونه أقرب البريطانيين من الامير فيصل الذي تقرر في مؤتمر القاهرة ترشيحه لعرش العراق، يستفسر عن رأيه، فكان رد لورانس "أن من رأيه يجب أن لا يوع الكرد تحت اشراف حكومة عربية". بل أكثر من ذلك أنه اعترض حتى على وجود متصرفتين في المنطقة، واحدة في الموصل والاخرى في كركوك، واقترح "أن يكون هناك متصرف واحد ليس بالضرورة أن يعطى موقع أمير كردي" على غرار الامير العربي المقترح لعرش العراق³⁰⁶. بعد أن اعترضت المس بيل على توحيد المتصرفتين في متصرفية واحدة عاد الميجر يونگ الى الكلام، فبين أنه يرى أن الوقت مناسب لاجراء انتخابات محلية في كردستان الجنوبية "لاختيار مجلس محلي" على غرار الحكومة المؤقتة العراقية، على أن تكون بمعزل عن الانتخابات التي تقرر اجراؤها بخصوص عرش العراق. وأضاف "أن يعتقد بأن ليس

³⁰⁴ "Home Rule شكل من الحكم يتجاوز الحكم الذاتي كثيراً، وهو أقرب الى الكونفيدرالية، كان الايرلنديون يتمتعون به.

³⁰⁵ "Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem ...", Appendix 10, P.60

³⁰⁶ Ibid, D.60

140 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

ضرورياً أن يرسل الى المنطقة (الكردية) ليقى عربي³⁰⁷ , او قوات بريطانية, وان بالامكان ضمان الامن عنريق تأليف قوة كردية خاصة³⁰⁸.

هنا تدخل چرچل وقال "أنه يميل الى الاتفاق مع هذا المقترح (مقترح الميجر يونگ), وان بالامكان تقديم عون مالي الى رئيس كردي مع اعوانه الاكثر تأثيراً, وان يمنع (ذلك الرئيس) تسهيلات تجارية محلية في اطار اتفاق يتعهدون بموجب منع الاتراك (الكمايين) من تنفيذ سياسة في تلك المنطقة تضر بالمصالح البريطانية في العراق³⁰⁹. استرسل چرچل في تعقيب, فأضاف:

"حتى لو رغب الكرد في الاشتراك في الانتخابات (يقصد انتخابات الامير فيصل لعرش العراق) فإنه شخصياً يعتقد ان من الصعب ضمهم الى العراق. فان شريفاً (مثل فيصل) قد يقوده نسبه, وتاريخ اسرته الى التمسك بنظرية الحق الالهي للملك, ربما في الوقت الذي يقبل ظاهرياً الاجراءات الدستورية, ويوافق على تأليف برلمان, الا انه يزدرى في الوقت نفسه, بالاساليب الديمقراطية والدستورية. واذا كان الامر هكذا فإن

³⁰⁷ لاسف هذا هو الذي حدث فعلاً بالنسبة للكرد في عهد الملك فيصل الأول, مع العلم ان عهده كان أفضل حقبة بالنسبة للكرد في العهد الملكي.

³⁰⁸ Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem...", Appendix 10,P.60.

³⁰⁹ Ibid,P.60.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 141

يؤكد بوسعه وهو يستند الى قوة جيش عربي, ان يتجاهل الشعور الكردي³¹⁰, وأن يضطهد الاقلية الكردية³¹¹.

هنا يبرز أسم كركوك مرة اخرى بالنسبة لنظام الكردي الذي كان المجتمعون يناقشونه, فقد أكد بيرسى كوكس "ان واردات مقاطعتي كركوك والسليمانية لا تكفي لتمويل ادارة تلك المناطق", مما يقتضي, حسب رأي يونغ, أن تبقى المنطقة مرتبطة ببلاد ما بين النهرين اقتصادياً³¹².

4- ورد في التقرير النص الاتي بخصوص المنطقة الكردية:

"في رده على سؤال وجهه اليه رئيس الجلسة چرچل) قال الميجر نوئيل اذا طالب منه رسم حدود بين المنطقة الكردية والعراق فأنها يجب أن تمر تقريبا بمحاذاة خط التلوي الممتدة من سفوح الجبال" التي كان يقصد بها جبل حميرين³¹³.

5- في الختام أشار چرچل الى أن "هناك تشابهاً كبيراً بين مهمات الحاكم العام في جنوب أفريقيا بخصوص اتحاد جنوب افريقيا وروديسيا والمهمات المقترحة بالنسبة للمندوب السامي فيما يخص بلاد

³¹⁰ لاسف هذا هو الذي حدث فعلاً بالنسبة للکرد في عهد الملك فيصل الأول, مع العلم ان عهده كان أفضل حقبة بالنسبة للکرد في العهد الملكي .

³¹¹ Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem.", Appendix 10, P.60.

³¹² Ibid, P.61

³¹³ Ibid, P.61

142 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

مابينالنهرين وكردستان. وهو يشعر بان السياسة البريطانية منحت القضية العربية مساندة كبيرة للغاية، وليس بالوسع تجاهل حقوق الاقلية الكردية. وأقترح تأسيس فوجين كرديين من الممكن، كما يبدو تطويرهما بسهولة من اجل السيطرة على السليمانية وكركوك. وعبر عن ثقته بانه بتأثير المندوب السامي، الذي عليه أن يشرف على شؤون البلدين (كردستان والعراق) من خلال قنوات منفصلة، ومتحدة بدقة، يكون بالاكاف تقريب كردستان والعراق من بعضهما، وربما أنها سوف تؤلفان دولة واحدة في المستقبل. وعبر (جرجل) عن اعتقاده بأن من الممكن أن تتوصل الجلسة الى قرار محدد على هذا الاساس دون الحاجة الى رفع الموضوع الى وزارة الخارجية، او الى أي جهة أخرى، سوى انه من الممكن اشعار عصبة الامم بالامر في النهاية".

وبالنسبة للنظام الكردي المقترح فان المس بيل أكدت ضرورة فصل مدينة الموصل وحدها عن المنطقة الكردية "وضمنها الى العراق دون ريب" وذلك في معرض ردها على سؤال وجهه جرجل إليها³¹⁴.
6- خصص الملحق الحادي عشر لموضوع "الجيش والليفي العربيين"، وهو عبارة عن محضر لما دار في الجلسة السادسة المشتركة للجنة السياسية والعسكرية، التي عقدت يوم التاسع عشر من اذار 1921. خصصت النقطة الثالثة من المحضر لموضوع كردستان، والتي جاء فيها:

³¹⁴ Ibid,P.61.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 143

"3- كردستان: أن على اللجنة أن تأخذ على عاتقها وصنع الترتيبات التي تخص كردستان، والتي يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الخطة الآتية:

أن كردستان المنتدبة يجب أن تدار بصورة مباشرة من قبل المندوب السامي على الأرجح عن طريق مجلس محلي مؤلف من رؤساء كرد يديرون شؤونهم الداخلية، ويتمتعون بمنحة مالية، ومساعدات أخرى من أجل حماية حدود بلاد مابين النهرين من دخلاء غير مرغوب فيهم (كان يقصد بهم الكماليين في تركيا)، على ان يفتح (هؤلاء الرؤساء) البلاد امام التجارة، ويشجعوا لتجنيد من اجل أهداف الامبراطورية (البريطانية). يجب أن تؤلف قوة من الليفي الكردي بأشراف الضباط البريطانيين، وضباط آخرين يرافقونهم من دون أن يتمتعوا بالسلطات. ويجب ان تكون هذه القوات مهيئة لغاية الاول من تشرين الاول سنة 1921 لتحل محل الحاميات (البريطانية) الموجودة حالياً في كل من كركوك الموصل³¹⁵.

وفي الجلسة نفسها جرى التأكيد مرة أخرى على أن "الترتيبات المتعلقة بكردستان يجب ان تكون شبيهة بتلك التي تسود جنوب أفريقيا، حيث ان المندوب السامي مسؤول من جهة عن حكومة الاتحاد، وفي الوقت نفسه يتمتع بسلطة تنفيذية مباشرة على روديسيا ومناطق أخرى. ولاينوي مس مشاعر الكرد بوصفهم تحت (حكم)، العرب سواء من حيث المبدأ، أو من حيث الموقع (أو الموضع)، ولكن من جهة أخرى

³¹⁵ Ibid, Appendix 11, P.69

144 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

(نهدف) الى ضمان قوات كردية يكون بوسعها في غضون ستة أشهر أن تخفض عنا في ادارة شؤون المنطقة³¹⁶.

بقيت هذه الحقائق، للأسف، في الكتمان الى حد كبير، كما شوهدت جوانب منها عن جهل أو عن قصد³¹⁷. فأن المؤرخ المعروف الاستاذ عبدالرزاق الحسين، مثلاً، لم يشر سوى الى فقرة واحدة اقتبسها من احدى رسائل المس بيل، والتي عرض نصها هكذا: واما فيما يتعلق بالفقرة الرابعة (أي وضع المناطق الكردية وعلاقتها باعراق) فقد "استمر رأي أعضاء المؤتمر على القيام بمحاولة للتوثق من مدى رغبة الكرد في الاندماج في المملكة العراقية، او الانفصال عنها"³¹⁸.

لم ينفذ منتوصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لكردستان شئ يذكر، وذلك بسبب مجموعة من العوامل، يأتي في مقدمتها موقف الحركة القومية الكردية من الوجود البريطاني في العراق، الموضوع الذي تتطرق الى أهم أبعاده بقدر من التفصيل لاحقاً. كما لم يؤد الخلاف في وجهات النظر الكردية الدور الاخير في ذلك، الموضوع الذي أشارت اليه المس بيل فيما بعد بأستهزاء بليغ حيث تحدثت في رسالتها المؤرخة في اثنائي عشر من نيسان سنة 1923 عن الزعماء الكرد الذين قالت عنهم "ويكره كل فرد منهم الاخر كما يكره الشيطان"، لتضع سوء الأ منطقياص بعد ذلك

³¹⁶ Ibid,P.69.

³¹⁷ ينطبق ذلك حرفياً على ما نشر في العراق عن مؤتمر القاهرة في المدة الأخيرة.

³¹⁸ عبدالرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص54-55.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 145

مباشرة يقول: "فكيف سيكون بوسعنا أن ننشئ دولة كردية؟"³¹⁹.
وضمن جواب سكرتير المندوب السامي بيرسى كوكس على أستفسار ورده
في الثامن من تموز 1921 من الحكومة المؤقتة عن "السبب الذي أدى
الى تأخير اكمال النظام المؤقت لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي" ورد
النص الاتي الذي يوضح مدى عمق الخلافات التي كانت تنخر في صفوف
الحركة الكردية يومذاك:

"أجيب على كتابكم 1-535, والمؤرخ في 8 تموز 1921 بان فخامة
المندوب السامي ياسف للتأخير الذي حصل في امر الموافقة على قانون
الانتخاب, والناشئ كما بين فخامته سابقاً- عن الاشكال الحادث في ايجاد
حل موافق لمصالح الكردية في مناطق مختلفة بحسب معاهدة سيفر. لقد
زاد في الامر اشكالا تباين اراء الطوائف الكردية في موقفهم ازاء الحكومة
الكردية...؟"³²⁰.

وينبغي ان نشير ايضاً الى ان السير بيرسى كوكس نفسه لم يكن لديه
موقف ودي تجاه القضية الكردية في العراق عموماً, الامر الذي أثر سلباً
على تطبيق توصيات مؤتمر القاهرة بشأنها. ورد في دراسة عن مؤتمر
القاهرة بهذا الخصوص ما يأتي:

³¹⁹ " العراق في رسائل المس بيل " , ص485.

³²⁰ مقتبس في:

عبدالرزاق الحسني, تاريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص54-55.

"استذكر كل من يونگ و لورانس أن التساوق (أو الانسجام) في الرأي³²¹ في مؤتمر القاهرة قد حذب اتباع سياسة منفصلة في كردستان، لكن طريقة كوكس، وأسلوبه جعلاً مواصلة تلك السياسة أمراً صعباً جداً. وقد اختلف چرچل مع كوكس حول هذا الامر، إذ حذب چرچل سياسة تقوم على اقامة حاجز كردي بين العرب والترك، كما تقرر ذلك أصلاً في مؤتمر القاهرة"³²². يقر صاحب كتاب "تأريخ حياة السير پيرسى كوكس" الحقيقة ذاتها³²³.

لم يكن تأثير بعض العوامل الخارجية في فرض سياسة كوكس في نهاية المطاف قليلاً، ومن أهم تلك العوامل مخاوف البريطانيين من "الخطر البلشفي"، وانتصار الحركة الكمالية في تركيا في وقت أقامت الحركة الكردية العراقية نفسها علاقات مباشرة مع الكماليين، الموضوعات التي نلقي قدراً من الضوء على بعض جوانبها لاحقاً. رغم ذلك اتخذ البريطانيون بعض الخطوات في ضوء توصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لمستقبل كردستان الجنوبية. فبعد عودة السير پيرسى كوكس من القاهرة نشر سكرتيره بياناً بتاريخ السادس من ايار 1921 استهله بالقول "ينظر المندوب السامي نظراً فعلياً في التدابير الواجب

³²¹ في النص: Balance of Opinion.

³²² A.S.Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921, London, 1970, P.168.

³²³ Ph.Graves, The Life of Sir Percy Cox, P.283.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 147

اتخاذها بحق ادارة المناطق الكردية في العراق. وقد بلغه أن هناك مخاوف تساور القلوب من احتمال الحاقهم بحكومة بغداد, الامر الذي الجأ البعض الى المطالبة بنظام استقلالي. وبلغه في الوقت نفسه أن قادة الرأي الكردي العام يشعرون بالروابط الاقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق, ففي هذه الحالة يرغب فخامة المندوب أن يحصل ان أمكن على مايشير الى أمانى الكرد الحقيقية. وقد نشر المستشارون البريطانيون نص البيان في كل من الموصل وكركوك, التي كانت أربيل مرتبطة بها, والسليمانية³²⁴.

على أثر تبودلت مجموعة من البرقيات الرسمية السرية, وأتخذت بعض الاجراءات نشير الى مايتعلق منها بكركوك من دون تعليق. ففي برقيته المرقمة 109, و المؤرخة في الخامس والعشرين منأيار سنة 1921 أستفسر وزير المستعمرات ونستن چرچل من المندوب السامي البريطاني في العراق پيرسى كوكس " عن رايه فيما لو يفضل أن تعامل كركوك كجزء من كردستان, او كجزء من بلاد ما بين النهرين", فكان

³²⁴ Iraq.Report on Iraq administration:October 1920-March 1922",London,Published by His Majesty's Ststionery Office,1922,PP.11,126.

يمكن الرجوع حول الموضوع نفسه الى: عبدالرزاق الحسني, تاريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص281, محمد مظفر الادهمي, المجلس التأسيسي العراقي, ص187-188.

148 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"من وجهة نظر" كوكس "أن المصالح الكامنة تقتضي فصل كركوك عن العراق"³²⁵.

وفي برقية أخرى بعثها چرچل الى كوكس في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين من بعد ظهر يوم الرابع والعشرين من حزيران سنة 1921, وهي تحمل الرقم 196, ذكر چرچل الاتي نصه:
"انني أقترح أن تكون المنطقة غير العربية (في العراق) محددة بخط يمتد من مشوره داغ (Mushora Dagh) خلال تيغانا (Tegana) ليلتف حول الموصل, ويتبع الحدود الاثنية (لمنطقة) السكان العرب الخالص الى حد زاوية حدود بلاد فارس المجاورة لقلاي نطف (Kala Naft). يجب توزيع هذه المنطقة على ثلاث مقاطعات مستقلة, تشمل احداها المنطقة الواقعة في الشمال الغربي من الزاب الكبير, واخرى تشمل على منطقة كركوك, والثالثة على منطقة السليمانية. وبالامكان توسيع مقاطعة السليمانية الحالية بحيث تشمل على العناصر الكردية في ديبالى الاوسط, الى الشمال من قزلباط. اما العناصر العربية في مقاطعة كركوك الحالية متصرف في كل من السليمانية و كركوك, على أن يعين متصرف لكل واحد منهما مستشار يكون مرتبطاً بك بصورة مباشرة"³²⁶.

³²⁵ Public Record Office, F.O., 371/6346/2262, Paraph- rase Telegram from the Secretary of state for the Colonies to the High Commissioner Mesopotamia, No. 196.

³²⁶ Ibid.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 149

وفي الساعة الخامسة وعشرين دقيقة من بعد ظهر اليوم نفسه، أي بعد خمس وخمسين دقيقة بالتحديد، تم إرسال الجزء الثاني من البرقية نفسها من جرجل الى كوكس، وقد ورد في هذا الجزء من البرقية:

"أنني اميل بقوة، في المعلومات المتوفرة لدي، أن أعتبر هذا حلاً صحيحاً. وفي كل الاحوال يجب ترك الحرية للمقاطعات الثلاث أن تبقى مستقلة عن بعضها البعض أو ان تتحد في كردستان الجنوبية. وبأمكانك أن تحتفظ بمسؤول ضمن الملاك التابع لك تقع على عاتقه مهمة الاتصال بالمقاطعات غير العربية، أو اذا تحسنت المواصلات فيما بعد، أن تعتمد على مسؤول يكون مقره في كركوك، أو أي مكان اخر في المنطقة غير العربية"³²⁷.

في ختام برقيته الاخيرة طلب وزير المستعمرات من المندوب السامي البريطاني في العراق بيرسي كوكس ان يدرس الموضوع المطروح بامعان، وأن يتشاور بصدده "اذا ارتأى" مع الامير فيصل، الذي وصل بغداد لتوه بوصفه مرشحاً لعرش العراق³²⁸.

تعامل كوكس في ضوء التوجيهات مع الامير (فيما بعد الملك) فيصل، لانه رأى فيها وسيلة لضمان ظهور دولة عراقية مستقرة تضم القوميتين العربية والكردية. وللاستدلال نختار غيضاً من فيض

³²⁷ Ibid.

³²⁸ Ibid.

150 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

المعلومات الوثائقية المتوفرة بهذا الخصوص. ففي الاجتماع الذي عقده كوكس مع فيصل في أواخر تشرين الأول سنة 1921 للتداول في أبعاد القضية الكردية وافرازاتها المتوقعة، وحضره كل من الميجر يونغ، أحد المشتركين في مؤتمر القاهرة، و كورونواليس مستشار وزارة الداخلية والسفير البريطاني في العراق لاحقاً، جرى تحديد لالبس فيه لما ؟؟؟؟؟ بكرديستان العراق بوصفها المنطقة التي تمتد "الى الشمال من تلول حميرين" التي "تفصل بين السكان العرب وغير العرب"، والتي "إذا استثنيت الاقلية التركمانية الصغيرة منها في منطقة كردية" صرفة³²⁹. وفي الاجتماع نفسه "أخبر يونغ الملك فيصل صراحة بان السياسة البريطانية تستهدف تشجيع القومية العربية لا الاستعمار العربي" وذلك في معرض مناقشتها للقضية الكردية³³⁰.

سار خلف كوكس، هنري دوبس على النهج نفسه كما تبين ذلك بعد عرض بعض مما يتعلق بموقف كرد كركوك و تركمانها من ترشيح فيصل لعرش العراق، الموضوع الذي يعزز بدوره المنطلقات والحقائق المطروحة حتى الان بين دتي هذه الدراسة.

³²⁹ Public Record Office, F.O., 371/6347/2262, Para-phrase Telegram. The High Commissioner of Iraq to the Secretary of State for the Colonies, No. 616, dated 25th October 1921

³³⁰ Ibid, A.S. Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921, P. 168.

كركوك و تواجعها حكم التاريخ و الضمير 151

موقف كركوك و تواجعها من ترشيح الامير فيصل لعرش العراق

مع نبذة عن موقف فيصل من القضية الكردية

تقرر مؤتمر القاهرة اقامة نظام ملكي في العراق يعهد عرشه الى الامير فيصل بدلاً من أخيه الامير عبدالله، بعد ان فقد الاول منهما عرش سوريا. فقد رأى المؤتمرون أن "الامير فيصل هو أفضل من يمكن له أن يحكم بلاد ما بين النهرين" وبما أنه "كان واضحاً جداً بان حكومة صاحب الجلالة لايمكن لها أن ترشح فيصل، بل يجب اختياره من قبل شعب ما بين النهرين"، لذا "تم وضع برنامج مفصل" من اجل "تأمين أفضل الفرص لضمان اختيار الشعب لفيصل حاكماً له من دون تدخل منجانب حكومة صاحب الجلالة لمصلحته"³³¹.

في ضوء ذلك بذل المسؤولون البريطانيون في العراق كل ما في وسعهم من أجل حشد أكبر تأييد ممكن للامير فيصل، الا أن ذلك لم يكن دون أن يعبر أهل كركوك وتواجعها عن ارائهم بالاتجاه الذي يبين بوضوح هويتها القومية. فقبل كل شئ أن "القضية الكردية غير المحسومة" و "ضمانات المستقبل السياسي للمناطق الكردية" كانتا من المشكلات الاساسية التي اعترضت طريق تنفيذ قرار مؤتمر القاهرة بصدد اجراء استفتاء حول ترشيح فيصل لعرش العراق"³³².

³³¹ "Report on Middle East Conference held in Cairo and jersalem...",P.4 and Appendix 9.

³³² الدكتور كاظم نعمة، الملك فيصل الأول، بيروت، 1988، ص69،73.

152 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

في تعليق له على ذلك يقول مؤلف كتاب "الملك فيصل الاول والانكليز والاستقلال" بالاستثناء الى الوثائق البريطانية: "لكن حملة فيصل تراخت، فلم يتبد في اعين الناس بانه مرشحهم. فكانت هناك حركة معارضة في البصرة، كما أن الاكراد قد أعربوا عن رغبتهم، من خلال استطلاع محلي للرأي، في التمتع بادارة مستقلة"³³³.

باستثناء بعض الحالات النادرة فان ابناء جميع الطوائف والاديان والاتجاهات، ممن جرى أستفتاءؤهم في الوسط والجنوب، كما في مدينة الموصل وقفوا في نهاية المطاف، بحماس الى جانب ترشيح فيصل لعرش العراق، فيما اختلف الوضع عن ذلك كلياً في كردستان، خصوصاً في كركوك والسليمانية. فأن الاخيرة لم تشارك في الاستفتاء اصلاً. أما كركوك فقد صوتت ضد فيصل. تصف لنا المس بيل التي كانت متحمسة لترشيح فيصل الى أقصى حد، الموضوع هكذا:

"أن سكان منطقة السليمانية في كردستان الجنوبية قرروا، كما كان لهم الحرية في ذلك، الامتناع عن الاشتراك في أي انتخاب يجري لاختيار ملك للعراق. عدا هذا فان نتائج الانتخاب الذي جرى في بقية أجزاء البلاد اتت ب96% لصالح الامير. أما ال4% المتبقية المعارضة فقد جاءت من التركمان والكرد في كركوك"³³⁴. ورد الكلام نفسه تقريباً في أول تقرير عن سير الادارة في العراق قدمته الحكومة البريطانية الى "عصبة

³³³ المصدر نفسه ، ص72.

³³⁴ "The Letters of Gertrude Bell"، P.432

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 153

الامم" في العام 1922, وذلك بوصفها الدولة المنتدبة على العراق من قبل العصبة³³⁵.

في تعقيب له على موقف أهالي كركوك من ترشيح الامير فيصل لعرش العراق يقول المستشرق البرت م.مينتاشا شفيلى في كتابه "العراق في سنوات الانتداب البريطاني" ان لواء كركوك اتخذ مثل ذلك الموقف على الرغم من أنه "كان يحكمه موظفوا الحكومة العراقية والمستشارون الانكليز الخاضعون لسلطات الانتداب في بغداد"³³⁶. ومن المفيد أن نشير الى أن الشاعر التركماني محمد صادق أفندي نظم قصيدة بالمناسبة يقول في مطلعها "انتخاب أيتم سني فيصل عراقك ملكه", ومعناها "لا انتخبك يا فيصل ملكاً على العراق"³³⁷.

في تقرير للاستخبارات عن نتائج الاستفتاء وضعته وزارة المستعمرات البريطانية وردت بالنسبة لكركوك الملاحظة الآتية:

³³⁵ Iraq.Report on Iraq administration:October 1920-March 1922",P.15.

³³⁶ A.M.Memteshashvili,Iraq godi Anglikove Mandata, Moskva,1969,P.198.

في الترجمة العربية للدكتور هاشم صالح التكريتي بعنوان "العراق في سنوات الانتداب البريطانيين", بغداد, 1978, ص316.

³³⁷ مقتبس في:

شاكور صابر الضابط, موجز تاريخ التركمان في العراق, ص145-146.

154 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"المضابط المعارضة تعلن في الاكثر أن الاهالي ليسوا من العرب، وأنهم يفضلون الانتظار حتى يروا ماذا سيكون عليه أمر استقلال كردستان، و طالب بعضها بامير تركي. جميع المضابط المؤيدة هي من أربيل التي كانت تتبع كركوك ادارياً حين اجراء الاستفتاء³³⁸. ومن المفيد انشير الى ان الحسيني سجل نص هذا الاعتراف الرسمي الخطير مراراً في كتابه المصدر "تأريخ الوزارات العراقية"، كان اخره في طبعته السابقة التي نشرتها "دار الشؤون الثقافية العامة" التابعة لوزارة الثقافة والاعلام في العام 1988³³⁹.

ورد في فقرة أخرى في التقرير نفسه عن كركوك: "بعد قراءة رسالة المستشار ف لمجلس كركوك (أنظر رقم 18, فقرة 16) قرروا بالاجماع أن يصوتوا لفیصل، ويكونوا قدوة للنواحي، غير ان الاجتماعات غير الرسمية التي عقدت في منازل خاصة مختلفة عارضت هذا القرار. ففي اجتماع عقد في 23 تموز في دار المفتي تقرر اصدار فتوى ضد فیصل "بوصفه ليس مسلماً صحيحاً، بل يزيدياً" وانه اذا أصبح ملكاً فسيطالبون بالاتحاد مع كردستان. وأعقب في اليوم التالي الاعلان المشار اليه في التقرير رقم 18, فقرة 16 المذكور في الملحق. وقد صرح زعماء

³³⁸ Quoted in: Gh.R.Atiyyah, Iraq 1908-1921.A Political Study , P.329,

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص 501-500.

³³⁹ عبدالرزاق الحسيني، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول ، ص 59.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 155

الکرد والعرب في محادثاتهم الخاصة مع المستشار انهم سيصوتون على وفق رغبة الحكومة البريطانية، لكنهم لا يريدون فيصلاً، ولا يريدون حكومة عربية. بيد أنه كان هناك ثمة عنصر معين يميل الى خلق المشاكل، ومن المحتمل ان العناصر التركمانية كانت تفضل تأييد الاتراك، بل انه حين أعيدت أوراق البيعة بعد التوقيع تبين أن محلتيين في مدينة كركوك قد طلبتا حاكماً تركياً.

أما نتائج الاستفتاء في اللواء فهي كما يلي:

- 1- مدينة كركوك 64 64 مع فيصل، 2786 ضده.
- 2- ناحية كركوك 197 مع فيصل، 720 ضده.
- 3- التون كوبري لا يوجد أحد مع فيصل، 1500 ضده.
- 4- داقوق لا يوجد أحد مع فيصل، 10000 ضده.
- 5- ملحة لا يوجد أحد مع فيصل، 15000 ضده.
- 6- شوان لا يوجد أحد مع فيصل، 1263 ضده.
- 7- يبدو أن الأعداد الواردة في 4,5 (أي عن داقوق

وملحة) قد جرى تضخيمها، ويجري التحقيق بذلك.

- 8- ان جميع المناطق الكردية تطالب بحكومة كردية³⁴⁰,

لكن فكرة الوحدة الكردية بعيدة عنهم ذلك لانهم ينفرون من

³⁴⁰ ورد في الطبعة العربية من كتاب الدكتور غسان العطية بعض الأخطاء، مما

إقتضى التنويه.

156 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

ضمهم الى الاقليم الكردي الحالي في السليمانية³⁴¹. وللموقف الاخير تفسيره الذي نتطرق اليه ضمن المبحث الخاص بالشيخ محمود و كركوك. أما موقف العبيد في ملحة فيعكس، من بين ما يعكس مدى توافق الرأي بينهم وبين جيرانهم الكرد، وطبيعة روابطهما فيما بينهما.

أما الكرد في اربيل، وكانوا يتبعون كركوك دارياً كما قلنا، والموصل فقد صوتوا لصالح فيصل ضمان حقوقهم القونية، بل أن قسماً منهم صوتوا له شرط استمرار الانتداب البريطاني³⁴². ورد في تقرير وزارة المستعمرات الانف الذكر عن نتائج الاستفتاء بالنسبة للموصل الملاحظات الآتية:

"شددت ست مضابط منها على صيانة حقوق الكرد والاقليات الاخرى، وشددت سبع منها حماية حقوق الكرد، وعشر منها وشعت الشروط التالية:

-استمرار الانتداب البريطاني، وأتباع مشورة الضباط البريطانيين في الامور المدنية والعسكرية.
-الاعتراف باللغة الكركدية في دوائر الحكومة والمدارس الابتدائية.

³⁴¹ Quoted in: Gh.R.Atiyyah ,Iraq 1920-1921.A Polifical Studay,P.394,

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص504.

³⁴² " Iraq, Report on Iraq administration:October 1920-March 1922" PP.14-15.

كردكرد و توابجها حكم التاريخ و الضمير 157

-حماية الحقوق القانونية والمدنية والسياسية للسكان الكرد.

-يحتفظ كرد العراق بحق الانضمام الى كردستان تركيا, او يكون لهم ذلك حين ينظر في مسألة منح الاستقلال لكردستان تركيا³⁴³. كما لا يخفي ان هذه المضابط كانت تمثل اراء كرد المناطق المرتبطة ادارياً بالموصل (دهوك و العمادية و عقرة و زاخو و غيرها) الذين أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم بموقفهم هذا, مع موقف كرد أربيل الذين كما قالت حين صوتوا الى جانب فيصل أعلنوا صراحة أنهم يتراجعون عن قرارهم "إذا ما ظهرت الظروف الواردة في المادة 64 من معاهدة سيفر"³⁴⁴ التي منحتهم حق الانضمام الى الدولة الكردية المقترحة كما أسلفنا.

-اما بالنسبة لخانقين فقد ورد في التقرير: "وفي خانقين, حيث يوجد عدد كبير من الكرد, كان هناك ثمة توف للانضمام الى دولة كردية, غير أنهم لم يجمعوا على رأي, وبعد نقاش حامي الوطيس أفلح ولي اغا من باجلان في كسب باقي أعضاء اللجنة المؤلفة من الاشراف, والتي كانت قد أستدعيت الى بعقوبة, الى جانب الانضمام الى دولة

³⁴³ Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A Political Study,P.32,

غسان العطية, العراق. نشأة الدولة, ص500.

³⁴⁴ Special Report..to the Council of the league of Nations on the progressof Iraq during the period 1920-1931", P.254.

158 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

عربية. عندئذ عادت اللجنة الى خانقين للحصول على توافيق الاخرين من الاشراف ورؤساء العشائر³⁴⁵.

في اليوم الثالث والعشرين من آب سنة 1921 جرى في بغداد تتويج الامير فيصل ملكاً على العراق, وقد حضرت الحفل المهيب الذي أقيم بهذه المناسبة في ساحة القشلة ببغداد, وفود جميع الالوية فيما عدا كركوك و السليمانية³⁴⁶.

عد البريطانيون موقف كركوك نذير شؤم أت من المنطقة الكردية بأسرها تقول المسن بيل في رسالة لها بتاريخ الرابع عشر من آب 1921: " .. وكلا الفريقين (الترکمان والكرد في كركوك و توابعها) لا يريد أن الحكم العربي, ولذلك طلبت محلتان بدولة كردية مستقلة تخضع لحمايتنا .. كما أنهم يرفضون الارتباط بأي طريقة كانت بمنطقة السليمانية, وقد سبق أن صوتت على الانفصال عن الدولة العراقية قبل مجئ فيصل. ولا أذكر أكثر من هذا عن القومية الكردية, التي يمكن أن تسمع السير من الهواء عنها الأشهر القليلة القادمة, مالم ينج السير پيرسى في إقناع كركوك بالانصياع للعقل و المنطق³⁴⁷.

³⁴⁵ Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A political Study , P.394
غسان العطية, العراق. نشأة الدولة, ص503.

³⁴⁶ The Letters of Gertude Bell “, P.432

³⁴⁷ " العراق في رسائل المس بيل ", ص335.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 159

مهما يكن من أمر، لامراء في ان إختيار الاميلا فيصل ملكا كان يعني تحولاً ما في تاريخ العراق السياسي المعاصر، وظهور عنصر جديد مؤثر بالنسبة للقضية الكردية أنعكست نتائجه على كركوك توابعها ايضاً. وكما سبق أن ذكرنا ان البريطانيين كانوا يرغبون في أن يتبنى الملك فيصل سياسة واقعية مرنة تجاه الكرد وكردستان، الامر الذي توضحت أبعاده أكثر بعد تتويج فيصل، ونشر هنا الى بعض ظواهره التي كانت كركوك وتوابعها متمثلة فيها أكثر من معظم المناطق الكردية الاخرى. أول البريطانيين هذا الموضوع إهتماماً خاصاً بعد تتويج فيصل، ذلك لانهم كانوا يعرفون أن مصير ولاية الموصل الذي أثير لتوه من قبل قوة ثورية طموحة متمثلة بتركيا الكمالية، إنما يعتمد على موقف الكرد الى حد بعيد. كما أنهم، على العكس تماماً مما ذهب اليه عدد كبير من المؤلفين العراقيين على أساس تحليل مبسط، كانوا يرغبون في إيجاد عراق مستقر يهيئ لهم ظروفاً أمثل بدوره على موقف الكرد كثيراً. ومن أجل توضيح هذه النقطة المهمة، والمشوهة الى حد بعيد في تاريخ العراق المعاصر المدون في الداخل، نورد فيما يلي مقطعاً من مذكرة سرية بعثها الى الملك فيصل السير دويس مندوب السامي البريطاني الجديد الذي خلف السير بيرسي كوكس، والتي ورد فيها اسم كركوك ضمن مقترحات دويس³⁴⁸ أكثر من مرة:

³⁴⁸ نتطرق الى قسم من تلك المقترحات، في حدود علاقتها بصلب الموضوع، فيما بعد.

"سري/دار الاعتماد, بغداد..

يا صاحب الجلالة: يظهر من التقارير الواردة حديثاً من الاقضية الكردية أن حركة الاستقلال الكردي قد عادت الى الوجود, وقد حدث في بعض الجهات في طي الخفاء تحريض ضد الحكومة العراقية على أنها حكومة عربية. ان التباين العاطفة بين الشعبين اكردي والعربي- ذلك التباين الذي بالطبع لا بد من أن يظل موجوداً بينهما كما هي الحال بين الانكليز والاسكتلنديين لان الله خلقهما شعبين مختلفين- قد ازداد حدة, ويخشى أن يؤدي الى تنافر خطير. ان التقارير المذكورة قد اقلقتني, وأني متأكد من ان جلالتك ستوافقني على أنه لمن المفجع للعراق أن ينصرف عن تأييده أشد عناصره حيوية. أن موقف الاكراد على الحدود لامر على جانب عظيم جداً من الاهمية للعراق, إذ أنه بولائهم الصميمي, دون غيره, يستطيع العراق حماية نفسه مما يهدده من تجاوز الاتراك ودسائسهم, ويتمكن من تأمين خطوط مواصلاته الممتدة من بغداد الى الموصل وسط كركوك وأربيل. فأن العراق إذا لم يكن محتفظاً إحتفاظاً متبينا بالروابي الكردية الممتدة من خانقين الى رواندوز, فإنه لن يستطيع الاحتفاظ إحتفاظاً محكماً بالسهول الغنية التي في أسفل تلك الروابي, وبسكة حديد الموصل العتيدة التي ستخترق تلك السهول, ولن يقوى على حماية أعمال شركة النفط التركية المنتظر أن تعود على العراق بالكثير من الارياح. لدى التأمل في هذه الحالة طراً على خاطري انه قد يكون في استطاعة جلالتك القيام بدور نشيط للغاية في سبيل إستمالة قلوب الاكراد, وإصلاح ذات البين إصلاً حقيقياً ما بين

مُرحوكُ و توابعها حكم التاريخ و الضمير 161

الشعبين الكبيرين اللذين يؤلفان الدولة العراقية، كما فعلت صاحبة الجلالة الملكة فكتور³⁴⁹ التي كانت العامل الرئيسي في توطيد دعائم الاتحاد بين الشعبين الانكليزي والاسكتلندي اللذين بقيا عدوين عدة قرون. وقد تكون جلالتم عالين بالغيرة التي كانت الملكة فكتوريا تبديها في كل مناسبة نحو الشعب الاسكتلندي، وكيف كانت تصرف قسماً عظيماً من وقتها في أسكتلندا، وكيف كان زوجها واولادها يرتدون كثيراً الثياب الاسكتلندية. وقد حافظ أخلافها على هذه التقاليد، وكان من نتيجة ذلك أن الاسكتلنديين الان هم تقريباً أشد أنصار العرش البريطاني والامبراطورية البريطانية³⁵⁰.

³⁴⁹ من أشهر ملوك بريطانيا في تاريخها الحديث، تمتعت بقوة الشخصية، شهد عهدها الذي بدأ عام 1837 و إنتهى عام 1901 (حوالي 64 عاماً)، إصلاحات سياسية و إقتصادية داخلية ازالته جزءاً من أسوأ المقاسد التي كان المجتمع إتحدت بلادهم مع انكلترا منذ العام 1707، فضمنت بذلك ولاءهم للتاج البريطاني. يعرف عهدها المديد عادة بالعهد الفيكتوري.

³⁵⁰ دار الكتب والوثائق،

No.R.O.285,The Residency,Baghdad, to His Majesty king Faisal,
October 18,1926,P.3,Secret

دار الاعتماد، بغداد في 18 تشرين أول سنة 1926، الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم أيدالله ملكه، رقم الحفظ في ملفات البلاط الملكي 1420 بتاريخ 1926/11/20، س/15، ص3، سري.

ملاحظة: وردت نصوص هذه المذكرات باللغتين الانكليزية والعربية، لذا آثرنا تسجيل أرقامها وتواريخها ، وبقية تفصيلاتها المكتبية كما هي، وباللغتين أيضاً.

162 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

بعد ذلك يطرح هنري دوبس على الملك فيصل جملة من المقترحات، منها "ان تعلن جلالتم أن النجمتين اللتين في العلم العراقي، بقطع النظر عن أصلهما التاريخي، تعتبر الان رسمياً أنهما ترمزان الى اتحاد الشعبين الشقيقين العربي والكردى" و "أن توجه جلالتم اهتماماً خاصاً الى الضباط الاكراد الذين في خدمة الجيش العراقي.." وان "تنظر جلالتم في تشكيل ثلة حرس ملكي خاص صغيرة من الاكراد ترتدي الثياب الوطنية الكردية لتتناوب الحراسة في البلاط، والاماكن الاخرى مع الحرس الخاص العربي"، وان "تتوسل جلالتم بوسيلة ما لاجل إظهار العطف نحو الشبان الاكراد الذين يداومون في دار المعلمين، أو المدرسة الثانوية ببغداد.."، وان "نتشبت جلالتم بتعليم اللغة الكردية"، وأن "تقضي جلالتم عادة أشد اشهر السنة حرارة في إحدى البلدان الكردية الجبلية³⁵¹ كشقلاوة مثلاً..³⁵² .

³⁵¹ يعتقد صاحب هذه الدراسة ان الرئيس العراقي السابق صدام حسين كان مطلعاً على محتويات هذه الوثائق المحفوظة في دار الكتب والوثائق ببغداد، وأخذ بها من منطلق نقيض لمنطلقات الملكة فكتوريا، فارتدى فعلاص الملابس الكردية، وأعلن عن نيته في تعلم اللغة الكردية، ويقال انه إستعان برجل المخابرات الكردي هوشنگ سيد أحمد وبأستاذ جامعي كردي لهذا الغرض، وأعلن عن نيته من تحويل أربيل الى ماسماه بالعاصمة الصيفية للحكومة العراقية، لكن هدفه من ذلك كله كان تحذير الجماهير الكردية، وتغطية سياسة النظام العنصرية تجاه الكرد، والتي إستهدفت وجودهم القومي على أرض الواقع، وبأسلوب لم يسبقه مثيل في التاريخ.

حُرُوكُهُ وَتَوَابِعُهَا حَكْمُ التَّأْرِيخِ وَ الضَّمِير 163

إختتم هنري دويس مذكرته التي دونها باللغتين الانكليزية والعربية، والتي تقع في ست صفحات من الحجم الكبير، بالقول: "وإذا حولتم، يا صاحب الجلالة أفكاركم في الجهة التي بينت، فلاشك عندي في انه تحظر لكم عدة مشاريع أخرى أفضل من الذي تجرأت على إقتراحها. ولي الثقة بأن جلالتم لاتظنون أن قيامي بكتابة ماكتبت هو في غير محلة، فالذي بعثني على كتابة هذا الكتاب هو ماأشعر به من القلق الحقيقي بشأن الحالة الراهنة، ثم أمني بأن ترى جلالتم من المناسب إستعمال تلك المآثر الملكية السامية، مآثر العطف والجود والنجابة التي إشتهرتهم بها في سبيل تأمين ولاء هذا الشعب، والقيام بخدمة فائقة للدولة العراقية. صديق جلالتم المخلص. التوقيع³⁵³ .

في لقاء سابق له بفيصل يوم الثامن والعشرين من شباط سنة 1923 تباحت دويس معه حول أفضل السبل التي من شأنها أن تساعد على كسب الكرد و زعمائهم الى جانب الحكومة العراقية، فعرض عليه مقترحات أخرى بلغت الى حد أن يطلب منه "تشجيع صاحب السمو الامير زيد (شقيق الملك فيصل) على التقرب من زعماء الاكراد الذين في

³⁵² دار الكتب والوثائق، نفس الرسالة المندوب السامي البريطاني السير هنري

الموجهة الى الملك فيصل الاول بتاريخ 18 تشرين أول 1926.

³⁵³ المصدر نفسه.

164 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

لوائي الموصل وكركوك, وان يستعمل نفوذ العائلة الملوكية في سبيل تأمين إنضمامهم الى الحكومة العراقية, وتعلقهم بها³⁵⁴.

يبدو أن المندوب السامي إقتنع بأن الظروف بالنسبة لكركوك تحديداً لم تنضج بعد للاقدام على مثل تلك الخطوة, لذا نراه يوجه بعد مرور أربعة أيام فقط على لقائهما رسالة الى الملك فيصل يقول فيها:

"وإذا قر الرأي على تحبيذ خطة العمل هذه للامير زيد ليعمل بها, فلا بد من ان جلالتم ستنظرون في امر وجوب قيامه في العمل بالاستشارة الى أقصى مايمكن مع متصرفي الموصل وأربيل, على أنه ليس من المستحب في الاونة الحاضرة ان يدخل الامير زيد في علاقات مع أكراد كركوك والسليمانية, واني أعتقد بداهة أن جلالتم ستبينون هذا الامر بوضوح للامير زيد في أي رسالة قد توجهونها اليه في هذا الموضوع"³⁵⁵.

إنتقل الامير زيد الى الموصل, واقام إتصالاص مباشراً من زعماء الكرد, ويبدو أنه حقق قدراً من النجاح, فلقد كان يجيد اللغى التركية,

³⁵⁴ دار الكتب والوثائق,

No.R.O.285, The Residency, Baghdad, 4th March, 1923, To His Majesty king Faisal.

رقم: ار.او, دار الاعتماد, بغداد في 4 آذار 1923, الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم.

³⁵⁵ المصدر نفسه.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 165

وكان على إطلاع كاف على الحياة في تركيا³⁵⁶. تقول المس بيل بهذا الخصوص في رسالتها المؤرخة في الاول من أذار سنة 1923: "أعتقد إننا لو تركنا زيد وحده فإنه بوسعه أن يتوصل الى تسوية مشجعة مع الكرد الشماليين"³⁵⁷.

في الثامن عشر من تشرين اول سنة 1926 إقترح المندوب السامي اليريكطاني على الملك فيصل تأسيس "جمعية في بغداد لتنمية الاتحاد بين الشعبين العربي والكردى" "ربما يفتح لها فرع في كركوك", ويكون أحد أهدافها "تنشيط درس اللغة الكردية, والادب الكردى من قبل العرب, وعلى الاخصى الموظفين العرب"³⁵⁸.

كانت إستجابة الملك فيصل لنصائح البريطانيين جيدة عموماً³⁵⁹ وردت في التقرير الرسمي الذي بعثه السير بيرسى كوكس, المندوب

³⁵⁶ أصغر أبناء الملك حسين. ولد سنة 1900 من زوجته التركية, كان من صفوة الهاشميين, مثقفاً, لطيف المعشر, حسن التصرف, احاد التركية والانكليزية بطلاته.

³⁵⁷ E.Burgone, Gertrude Bell from Her Personal Papers, Ernest Benn Limited, London, 1961, P.310

³⁵⁸ دار الكتب والوثائق,

No.R.o,285, The Residency, Baghdad, To his Majesty king Faisal, October 18, 1926, P.3, Secret.

³⁵⁹ عن سياسة الملك فيصل الاول القضية الكردية في العراق عموماً يمكن الرجوع الى البحث الذي قدمه صاحب هذه الدراسة الى ندوة "بناء الدولة العربية الحديثة: تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق" التي عقدتها جامعته الى البيت في الاردن يومي 25 و26 نيسان سنة 1998, كان البحث بعنوان "موقف الملك فيصل

166 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

السامي البريطاني في العراق، الى وزارة المستعمرات بلندن عن الوضع المالي والاداري للعراق من نيسان 1922 حتى 31 آذار 1923 الملاحظة الاتية عن "وجهة نظر الملك فيصل فيما يتعلق بالمسألة الكردية في العراق أواخر العام 1922، وذلك في معرض تعليقه على قبول بعض المناطق الكردية بعرضه:

"لم يبق لذلك، سوى إيجاد نوع من تصالح مؤقت (في النص modus vivendi وهو مصطلح يعني إتفاق، أو صلح مؤقت يعقد بين طرفين متنازعين أو متناحرين) من شأنه أن يمكن عرب العراق وكرده مع العيش معاً بسلام في ظل تاج موحد مع إحترام ملزم للمشاعر القومية للعنصرين. إن موقف الملك فيصل مفيد، فانه شخصياً قومي، ذو نظرة بعيدة جداً، ليس مستعداً ان يحترم إحساس الآخرين، ويعترف به حسب، بل إنه مستعد أيضاً أن يمنح المناطق الكردية داخل العراق درجة تامة من الحكم الذاتي، وعلى الكرد أنفسهم أن يقرروا بأي أسلوب يمارسونه"³⁶⁰. سجلت الحكومة البريطانية في تقريرها الرسمي الذي قدمته الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق في غضون المدة الممتدة

الاول من المسألة الكردية في العراق ". ينظر نص البحث في: " بناء الدولة العربية الحديثة. تجربة فيصل بن الحسين في سورية والعراق ", منشورات جامعة آل البيت، عمان، 1999، ص 541-556.

³⁶⁰ Colonial Office. Report by His Majesty's High Commissioner on the Finance, Administration and Condition of Iraq for the period from 1st April, 1922-31st March, 1924, Colonial 4", London, 1924, P.38.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 167

بين نيسان 1922 وأذار 1923 الملاحظة نفسها نصاً في القسم المخصص من التقرير للقضية الكردية³⁶¹. وعلى العموم كان المل فيصل الاول مقتنعاً تماماً بضرورة إقامة " حكومة كردية ذات حكم ذاتي داخل حدود العراق طالما أن ذلك لا يؤدي الى انفصال سياسي، أو إقتصادي لمقاطعات الكردية" كما أخبر بنفسه حاكم كركوك السياسي أدموندس بذلك أثناء نقاش لهما بصدد القضية الكردية³⁶².

في ضوء قناعاته اقام الملك فيصل الاول دوال سنوات حكمه الاثنتي عشرة الاعلاقات مع العديد من الزعماء الكرد، بمن فيهم زعماء كركوك، يلتقيهم ويتبادل معهم الرسائل³⁶³، نتطرق الى نماذج منها في مبحث آخر من هذه الدراسة. كما أتخذت في عهده سلسلة من الاجراءات الدستورية والقانونية لصالح حل القضية الكردية، منها تأسيس مديرية خاصة للمعارف الكردية كان مقرها في مدينة كركوك. الا ان أجراً قرار إتخذ فيعخده كان الاعتراف بحق الكرد في إقامة حكومة خاصة بهم تدخل كركوك وتوابعها ضمنها. ففي الحادي والعشرين من

³⁶¹ Iraq. Report on Iraq Administration, April, 1922- March, 1923", London, 1924, p.38.

³⁶² Quoted in: E.Burgeyne, Gertrude Bell from Her Personal Papers,P.306.

³⁶³ ملفات البلاط الملكي التي تعود الى عهد الملك فيصل الاول، والمحفوظة في دار لكتب والوثائق ببغداد مليئة بنماذج معبرة عن تلك الرسائل التي تتوفر نسخ منها في عدد من المكتبات الخاصة أيضاً.

168 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

كانون الاول سنة 1922 أصدرت الحكومتان العراقية والبريطانية
البيان الآتي:

"تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية، والحكومة العراقية بحق
الكرد القاطنين ضمن حدود العراق في تأسيس حكومة كردية داخل
هذه الحدود، وتأملاً في ان تتفق مختلف العناصر الكردية بأسرع
مايمكن على الشكل الذي يودون أن تتخذ تلك الحكومة، وعلى الحدود
التي يرغبون أن تمتد اليها، وان يرسلوا مندوبين مسؤولين (مفوضين)
الى بغداد لبحث علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع كومة صاحب
الجلالة البريطانية، وحكومة العراق³⁶⁴ .

أبلغت بريطانيا، بوصفها الدولة المندوبة على العراق وعصبة الأمم
بنص هذا البيان مرتين، المرة الاولى ضمن تقريرها عن سير الادارة في
العراق من نيسان 1922 حتى اذار 1923، والمرة الثانية ضمن
تقريرها الشامل عن سير الادارة في العراق من بداية الانتداب حتى
سنته الاخيرة (1920-1931)، والذي على أساسه قبل العراق في
عصبة الأمم³⁶⁵ .

³⁶⁴ " Report on Iraq Administration, April, 1922-March, 1923, P.38, " Special Report by His Majesty's Government...to the of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931 " , P.256.

³⁶⁵ Ibid.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 169

ونشرت صحافة العراق في حينه البيان, كما نشره المؤرخ عبدالرزاق الحسين أشهر مؤلفاته مرارا³⁶⁶.

هنا ينبغي أن نشير أيضاً الى ان تغييراً لم يطرأ على واقع إدارة كركوك وتوابعها بوصفهما جزءاً من المنطقة الكردية في ذلك العهد. تقل أدناه ما ورد في اول تقرير عن سير الادارة في العراق رفعته الحكومة البريطانية الى عصابة الامم بعد تتويج فيصل, والذي جاء ضمن مبحث مستقل بعنوان رئيسي هو "القضية الكردية" (The Kurds) (Question) وعنوان فرعي هو "الادارة المؤقتة في المناطق الكردية" (Previsional Administration in the Kurdish Districts): "ما كان لي الشرف أن أشير آخر تقرير سنوي لي فان المقاطعات الكردية في الموصل وأربيل عبرت مرتين عن نيتها للانضمام الى العراق, المرة الاولى في حزيران 1921 قبل وصول الامير فيصل, ومرة أخرى في آب (1921) حين أدت يمين الولاء له ملكاً بأستثناء قضاء رواندوز, ولكن في الحاليتين كانت هنالك ثمة تحفظات مؤكدة تستهدف ضمان قدر من اللامركزية توافق عليها الحكومة العراقية, على ان يكون اسكان غير ملزمين بالانصياع الى قرارات سابقة من هذا القبيل إذا ما أستجدت ظروف في ضوء ماورد في المادة 64 من معاهدة سيفر . من جهة اخرى

³⁶⁶ نشر عبدالرزاق الحسين هذا النص لمرّة الأخيرة ضمن الطبعة السابق من تاريخ وزاراته الشهير الذي اصدرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1988, ينظر: عبدالرزاق الحسين , تاريخ الوزارات العراقية, الجزء الاول, ص282.

170 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

رفض (لواء) السليمانية كلياً فكرة الانضمام للعراق في حزيران 1921. في حين طلبت أغلبية سكان (لواء) كركوك بأن يؤجل ذلك القرار (قرار الانضمام الى العراق) لمدة سنة, وفي الوقت نفسه لم يؤدوا يمين الولاء للملك. وبانتظار حل كان لواء كركوك يدار كما كان في السابق, من قبل الحكومة العراقية ومستشارين بريطانيين³⁶⁷. ويبدو من هذا واضحاً أن إنضمام كركوك الى العراق تأخر عن أنضمام أربيل والمقاطعات الكردية التابعة للواء الموصل اليه.

آخر إجراء مهم إتخذ في عهد الملك فيصل الاول تجاه تعزيز الوحدة الوطنية كان إعتراف الحكومة بصورة رسمية, في تموز سنة 1930, بأن النجمتين الموجودتين داخل العلم العراقي "هما رمزان للشعبين العربي والكردى- الشعبين الرئيسيين في العراق", القرار الذي عدّه المندوب السامي البريطاني "تطوراً عظيماً في الموقف الذي تبنته حكومة العراق حتى الان بشأن القضية الكردية"³⁶⁸.

أشارت مصادر كومية لاحقاً الى هذه الحقيقة التي حاول الكثيرون طمسها, أو يحاولون إنكارها وكان في عدم وجودها مثقال ذرة من الخير للوحدة الوطنية. وردت في الدليل الرسمي للعام 1936 الذي صدر, كما قلنا, في عهد ياسن الهاشمي, العبارة الاتية في مبحث "شعار الدولة

³⁶⁷ " Report by his Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year 1921-1922", London, 1923,P.32.

³⁶⁸ Public Record Office,AIR,23/417, XM-O4583, No.15, July 21, 1930.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 171

العراقية": "تحوي ألوان العلم العراقي رمزاً الى العنصرين العربي والكردي"³⁶⁹. وردت تفصيلات أدق حول الموضوع نفسه في مصدر رسمي آخر هو "دليل المملكة العراقية لسنة 1932-1936 المالية", هذا نصها:

"للدولة العراقية شعار خاص صدر به قانون بأسم قانون شعار الدولة العراقية رقم 25 لسنة 1931, ويتألف شعار الدولة من رقعة ملونة بالوان العلم العراقي, الاحمر فوق, فالاسود, فالأبيض, فالأخضر, تضمها حاشية مذهبة, وفي طرفيها العلويين ضمتان يتكون منهما زهرتان مربوط كل منهما بشريط مذهب متشابك على شكل ذوابة, ويعلوا الرقعة التاج العراقي مستنداً الى كوكبين ذوي سبع شعب مرزخرقة تحوي ألوان العلم العراقي رمزاً الى العنصرين العربي و الكندي"³⁷⁰.

بقيت كركوك, مع ذلك كله, أقل المدن العراقية ولاء لفيصل الاول بوصفه ملكاً للعراق, الامر الذي لا يخلوا من مغزى بالنسبة لموضوعنا. ورد في تقرير ضابط الاستخبارات البريطاني في كركوك عن زيارة فيصل للمدينة في كانون الاول 1924:

³⁶⁹ "الدليل العراقي الرسمي لسنة 1936", ص122.

³⁷⁰ "دليل المملكة العراقية لسنة 1935-1936 الحالية. يصدر باللغتين العربية والانكليزية... بأجازة من وزارة داخلية العراق رقم 342 تاريخ 1934/10/13", بغداد, 1354م, ص153.

"زيارة الملك فيصل الى كركوك: على الرغم من الاستقبال الحافل الذي جرى للملك فيصل لدى وصوله كركوك, فإن زيارته أدت الى تفجير شعور الكراهية تجاه الحكومة العراقية. أن الشتائم الموجهة للملك كانت تسمع من جميع الاطراف.. أن مبعث الاساءة للملك هو منصبه لاشخصيته التي كشفت بمهارة بأنها متحسنة, ودية, وعميقة التفكير, ولدت إنطباعاً حسناً بالنسبة للاشخاص كافة الذين قابلوه"³⁷¹.

رافق الملك فيصل في زيارته تلك, التي شملت اربيل والموصل أيضاً, الشخصية الردية المعروفة إبراهيم الحيدري الذي كان يشغل يومذاك منصب وزير الاوقاف في وزارة ياسين الهاشمي. يتذكر شهود عيان أن الوجود العربي داخل مدينة كركوك أثناء تلك الزيارة كان يقتصر على محلة صغيرة تعرف ب(عربلر) يقطنها القصابون و اصحاب الجواميس, فضلاً عن عدد الحديديين على الطرق بين محطة القطار والمدينة, أمر الملك فيصل بازالتها بسبب منظرها, ونقل أصحابها الى مكان آخر³⁷².

على الرغم من موافقهم الانفة الذكر حاول الريانيون, لاسباب تخص مصالحهم, إبعاد كركوك و توابعها عن الحركة القومية الكردية, ولا سيما عن حركات الشيخ محمود التي كانت كركوك وتوابعها تمثل

³⁷¹ Public Record Office, AIR,23/184,Part I, XM 4583, Intelligence Report No.2 for the period ending 28th December 1924.

³⁷² مقابلة مع محمد جميل الروزياني بتاريخ 20 كانون الاول 1992, مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتاريخ 7 كانون الثاني 1993.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 173

دائماً أحد أهم أهدافها المركزية، ومنطقة أساسية من حيث التأثير بأحداثها، والتأثير فيها.

كركوك وتوابعها وحركات الشيخ محمود:

للشيخ محمود البرزنجي³⁷³ واسرته روابط تاريخية مع كركوك وتوابعها وعشائرها و تكايبها وحركاتها السياسية والاجتماعية على مختلف الصعد يعود تاريخها الى مرحلة سبقت قيادته للحركة القومية الكردية. فان أجدادها كانوا يخطون بأحترام عميق بين أهالي كركوك وتوابعها بوصفهم رجال دين كباراً، وكانوا على اتصال وثيق بوجوه المدينة نفسها، بمن فيهم المشرفون على التكية الطالبانية، والشاعر الشهير الشيخ رضا الطالباني. وتحول مرقد كاك أحمد الشيخ الى مزار للكركوكيين، مثل غيرهم من كرد المنطقة. وحين سافر الشيخ سعيد، والد الشيخ محمود الى إستانبول تلبية لدعوة من السلطان عبدالحميد الثاني سنة 1311 للهجرة (1893 للميلاد) أستقبل في كركوك بحفاوة بالغة في طريقه الى هناك، وكان الشيخ محمود يرافق والده في سفرته تلك. وجدير بالذكر أن عزت كاكائي، احد مثقفي كركوك يومذاك، كان سكرتيراً شخصياً للشيخ سعيد³⁷⁴.

³⁷³ يلقب أيضاً كونه حفيداً لكاك أحمد الشيخ. يذكره العديد من المؤرخين، منهم

لونگریگ بلقبه البرزنجي.

³⁷⁴ للتفصيل عن ذلك ينظر في:

174 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

عندما أغتيل الشيخ سعيد في كانون الاول سنة 1908 في الموصل، الى حيث نفاه الاتحاديون³⁷⁵ وقف الى جانب أتباعه "عدد من أفراد الجندرمة الخيالة المسلحين بالبنادق، جميعهم من أهالي كركوك و السليمانية"³⁷⁶. تؤكد مختلف المصادر إن إغتيال الشيخ سعيد أثار أهالي أربيل وكركوك والسليمانية بشدة. يقول المترجم والمؤرخ جعفر الخياط في تعقيب له على ما تذكره المس بيل عن مقتل الشيخ سعيد: "فكان للحادث دوي كبير في منطقتي كركوك والسليمانية بين السكان"³⁷⁷.

وحسبما يبدو من مذكرات سكرتير الشيخ سعيد، عزت كاكائي، أن تدخل عدد من أعوان الشيخ سعيد و أقاربه قد حال دون وقوع أعمال عنف "في كل من أربيل و كركوك" بانتظار نتائج التحقيق الذي وعد

M.R.Hawar , The Leader Shaikh Mahmood and Southern State of Kurdistan, in Kurdish,London,Jaf Press,1990,PP.136-137,147,209.

³⁷⁵ عن إغتيال الشيخ سعيد، وأسبابه ونتائجه ينظر في:

Ibid,PP.143-147, 26. الضحايا الثلاث،موصل. 1952، ص12-

³⁷⁶ عبدالمنعم الفلاحي، ثورتنا في شمال العراق 1337-1338هـ 1919-1920م، الجزء الاول، بغداد، 1966، ص133.

³⁷⁷ " فصولا من تاريخ العراق القريب "، كتاب يبحث عن العراق في عهد الاحتلال البريطاني بين سنتي 1914 و 1920 كتبه بالانكليزية المس بيل، نقله الى العربية وكتب حواشيه جعفر الخياط، الطبعة الثانية، بغداد، 1971، ص137.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 175

الاتحاديون أجراه في الحادث³⁷⁸. وفي العام 1913 طلب الشيخ محمود بأسم كرد السليمانية وكركوك وأربيل وغيرها مساعدة الروس لحركته الاتسقلالية³⁷⁹. وعندما ذهب الشيخ محمود على رأس حوالي ثلاثة الاف من الفرسان الكرد حسب تقدير وزارة الحربية البريطانية³⁸⁰ لصد القوات البريطانية جنبا الى جنب أبناء العشائر العربية في وسط العراق وجنوب, وإشترك فعلاً في موقعة الشعيبية قرب البصرة في نيسان 1915, فأن عدة مئات من متطوعي كركوك وتوابعها من الكرد أشتركوا في تلك المعركة تحت قيادته التي رافقه فيها ثلاثة من زعماء الكرد في كركوك هم كل من رفعت إسماعيل بيك دادوده وأبن عمه علي نامق أغا وسيد احمد خانقاه الذي مثل كركوك في البرلمان العراقي لاحقاً. وكان علي نامق أغا احد شهداء الكرد في معركة الشعيبية التي جلبت سمعة رفيعة للشيخ محمود بين الاوساط الشعبية العربية إنعكست في أهزوجة تقول "ثلثين الجنة لها دينا وثلثها للشيخ محمود واكرده"³⁸¹. وكان لكرد ماوراء العمارة والكويت, خصوصاً كرد البصرة و إمتداداتها دورهم في خطط الشعبية, فقد إتصل بهم بأسم قادة المجاهدين والقيادة العثمانية

³⁷⁸ M.R.Hawar, The Leader Shaikh Mahmud..., P.148.

³⁷⁹ M.S.Lazarev, Kurdistan I Kurdkaya Problema, P.230.

³⁸⁰ Public Record Office, War Office, 32/5806/2205, The Potential Enemies in Mesopotamia, No.162/428, Dated April 15, 1920.

³⁸¹ للتفصيل عن الموضوع ينظر في: كمال مظهر, الكرد ومعركة الشعيبية, في مجلة " روشنبيري نوى " (المثقف الجديد), بغداد, العدد 125, 1990, ص 36-40.

176 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الشيخ محمود رضا الشبيبي خصيصاً لهذا الغرض³⁸². ورد في مصدر موثوق بهذا الخصوص مانصه:

"التحق الشبيبي نفسه ببعثة عسكرية مرسلة الى عشائر الاكراد في الجنوب الشرقي من العراق لمنع الانكليز وأعدائهم من التغلغل والتسلل الى تلك الجهة من منطقة البصرة (يقصد الشعبية)، او من ناحية الاهواز، وتطويق الجيش التركي المحارب في مواقع الكوت والفلاحية. وبعد أن مكث الشيخ الشبيبي في تلك الجهات بعض الوقت تلقى برقية تدعوه للاتحاق بهيئة القيادة العامة للحملة العسكرية المجهزة لاسترداد البصرة"³⁸³.

يجدر بالذكر ان تركمان كركوك وتوابعها كان لهم أيضاً حضورهم في معركة الشعبية، ويرد اسمهم جنباص الى جنب اسم الكرد في المصادر التي تطرقت الى هذا الموضوع. يقول العميد الركن شكري محمود بهذا الخصوص:

³⁸² حسن الأمين، الشيخ محمد رضا الشبيبي علامة العراق وشاعر العرب، - " العربي " (مجلة)، الكويت، العدد 159، فبراير 1972، ص76-77.

³⁸³ عبدالرزاق الملالي، دراسات وتراجم عراقية، بغداد-بيروت، 1972، ص19.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 177

"تحشد القسم الكبير من المجاهدين في منطقة الناصرية، فبلغ عددهم في أواخر كانون الثاني (1915) زهاء 12 ألف مجاهد عربي وألفي مجاهد كردي وتركماني"³⁸⁴.

تطرقنا الى جانب من إتصالات البريطانيين بالشيخ محمود في السنة الاخيرة من سنوات الحرب العالمية الاولى عن طريق خانقين وكركوك، وتحولت الاخيرة مع إنتهاء الحرب الى مركز تلك الاتصالات، والى مكان إلتقاء ممثلي الشيخ محمود بالمسؤولين البريطانيين، ومن ثم الى تحشيد القوات البريطانية لضرب حركاته. وكما بينا أن أول حاكم سياسي عين في كركوك بعد إحتلالها للمرة الثانية كان نونيل الذي جاء إختياره على أساس إطلاعه الواسع على الشؤون الكردية، وليكون حلقة وصل مع الشيخ محمود الذي دخل الانكليز في مساومة صريحة معه بسبب النزعة الاستقلالية التي كانت تسود المنطقة، ولصعوبة الاحتفاظ بقوات كبيرة هناك، مما كان يتنافى كلياً مع التوجهات السياسية التي كانت تسود بريطانيا نتيجة إستياء دافع الضريبة من التكاليف الباهظة التي كان يتطلبها وجود القوات البريطانية في الخارج. يقول الضابط السياسي الانكليزي السابق في كركوك لونغريغ:

ط كانت مشكلة كردستان الجنوبية في تشرين الثاني عام 1918 تتلخص فيان إقامة نظام أفضل من الفوضى، وأن لاتؤذي جاراتها بلاد

³⁸⁴ العميد الركين شكري محمود نديم، حرب العراق 1914-1918. دراسة علمية، الطبعة الثامنة، بغداد، 1974، ص 29-30.

178 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

فارس³⁸⁵ والعراق، من غير الحاجة إلى استخدام قوات لم تكن متوفرة أصلاً³⁸⁶.

على هذا الأساس اعترف البريطانيون بالشيخ محمود حكمداراً على كردستان الجنوبية لأن "الشعور القومي الكردي في ذلك الوقت كان متجسداً في شخصه" بأعتراف أهم وثيقة قدمتها الحكومة البريطانية إلى عصبة الأمم في سنوات الانتداب³⁸⁷. تبين جميع الوثائق البريطانية المبكرة المعنية بالموضوع أنه كان من المقرر أن تدخل كركوك و توابعها ضمن "حكمدارية كردستان الجنوبية" التي غدت، مع "حكمدار كردستان الجنوبية" مصطلحاً متداولاً في الوثائق البريطانية التي

³⁸⁵ كانت العلاقات بين لندن وطهران جيدة يومذاك، وكان البريطانيون يهتمهم استقرار الأوضاع في إيران كثيراً بهدف تحويلها إلى سد أمام الخطر الجديد المتمثل بالبلاشفة الجائمين على حدودها الشمالية بصورة مباشرة، لذا فإنهم كانوا منهمكين يومذاك بالتخطيط من أجل توقيع معاهدة ثنائية معها تحقق لهم هذا الهدف السوقي المهم.

³⁸⁶ S.H.Longrigg,Iraq 1900to 1950,P.103.

لم ترد ترجمة هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب بسبب حذفها من الرقيب أغلب الظن، وإلا فإن مترجم الكتاب نفسه المرحوم سليم طه التكريتي لم يكن يعاني من أي حساسية تجاه الكرد وقضيتهم، بل كان معروفاً بحبه لهم بحكم جذور فكره التقدمي.

³⁸⁷)” Special Report by His Majesty’s government ..to the Council of the league of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931”,P.255.

كردكوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 179

تطرقت الى ما يخص الموضوع في ذلك الحين³⁸⁸. يتحدث الحاكم المدني العام في العراق وكالة أرنولد ولسن، الذي كان مسؤولاً عن تطبيق سياسة حكومته في كردستان الجنوبية في ذلك الوقت، عن زيارته للسليمانية يوم الاول منكانون الاول سنة 1918، أي بعد أيام من تأسيس الحكمدارية، وعن إجتماعه بالشيخ محمود وعدد من عماء الكرد، وفي خضم حديثه سجل لنا الملاحظة الآتية:

"وقد أعطيت الشيخ محمود مقابل مضبطة الزعماء الكرد³⁸⁹ مذكرة بينت فيها أن جميع العشائر الكردية القاطنة داخل الحدود الإيرانية، الراغبة في قبول زعامة الشيخ محمود يسمح لها بذلك، ونحن نساعدته مساعدة أدبية غير مادية لإدارة هذه البلاد نيابة عن الحكومة البريطانية التي يتعهد بأطاعة أوامرها"³⁹⁰.

ورد النص نفسه في كتاب لونغريغ الانف الذكر³⁹¹، وكذلك في كتابات بيل التي تقول أن ولسن "وقع وثيقة" بهذا المضمون³⁹²، كما

³⁸⁸ ينظر على سبيل المثال في:

Public Record Office ,F.O,371/5069/4342.

³⁸⁹ في النص : مقابل هذه.

³⁹⁰ A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.129.

³⁹¹ S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950,P.103.

لم ترد، للأسف هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب للسبب نفسه الذي نوهنا إليه سابقاً.

³⁹² " فصول من تاريخ العراق.. كتبه بالانكليزية ألس بيل "، ص190-191.

180 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

سجلته الصحافة العراقية أيضاً³⁹³. كما بينا مراراً، وبالاستناد الى مجموعة من الوثائق الرسمية، كانت كركوك وتوابعها ترغب في الانضمام الى نظام كردي، لكنها، مع ذلك، لم تكن مستعدة في أكثريتها يومذاك للاندواء تحت حكم الشيخ محمود بالتحديد. يقول ولسن بهذا الخصوص:

"إلا أن العشائر والاهلين القاطنين في منطقتي كفري وكركوك لم يرغبوا في الانضواء تحت راية الشيخ محمود، واتفق الآخرون الا يطلبوا إدخالهم تحت سلطته"³⁹⁴.

أما عبدالمنعم الاغلامي، وهو ممن راقبوا الاحداث عن كثب، فيقدم تفصيلات اكثر من ولسن بصدد الموضوع نفسه، إذ يقول: "وقد أخذ الشيخ محمود يعمل الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى، من بينها منطقتا كفري و كركوك، إلا أن عشائر هاتين المنطقتين رفضوا الخضوع الى زعماته، مرجحين عليها البقاء تحت الحكم البريطاني المباشر عدا سادة عشيرة الجباري، وقبيلة شيخ بزيني على شاطئ الزاب الصغير، وكذلك جماعة عبدالكريم بيك من رؤساء قبيلة الهموند في منطقة جمجمال"³⁹⁵.

³⁹³ "العالم العربي"، العدد 2302، 13 أيلول 1931.

³⁹⁴ A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920, P.129.

³⁹⁵ عبدالمنعم الفلاح، ثورتنا في شمال العراق، ص 93.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 181

تكمّن أسباب ذلك في مجموعة من العوامل. نقبل كل شيء أن عدداً من العشائر الكردية المتنفذة في كركوك و تواجدها لم تكن على وفاق منذ مدة مع البرزنجيين المعروفين بالشيخان-أسرة الشبي محمود تأتي الطالبانية على رأس تلك العشائر التي بلغت خلافاتها مع البرزنجيين منذ اواخر القرن التاسع عشر الى الحد الذي وجدت لها إنعكاساً بليغاً في الادب الكردي³⁹⁶, بل ان قطاعاص منأبناء تلك العشيّرة لم يترددوا في الانضمام الى صفوف القوات المعادية لشيخ محمود. إستمر الخلاف البرزنجي-الطالباني ردحاً طويلاً من الزمن على الرغم من المحاولات المخلصة التي بذلت بين الحين والآخر من أجل تسويته³⁹⁷, ويبدو أن زواج بابا علي, نجل الشيخ محمود, من سيدة طالبانية معروفة³⁹⁸ إنصب في مجرى تلك المحاولات التي أثمرت في وقت لاحق حين حل الوعي القومي الاوسع أفقاً محل الوعي العشائري الاضيق أفقاً. لكن موقف الطالبانيين من البرزنجيين لاينفي قطعاً تمسك الاولين بقضية قومهم. فقد برز بينهم من دافع عن القضية الكمردية في وقت مبكر, منهم الشيخ محمد علي الطالباني الذي إتصل في كانون الاول سنة

³⁹⁶ الشيخ محمد الخال, ديوان الشيخ رضا الطالباني, من مطبوعات المجمع العلمي العراقي باللغة الكردية, بغداد, بلا, ص7.

³⁹⁷ M.A.Hawar, The Leader Shaikh Mahmood, PP.208-212.

³⁹⁸ هي السيدة رشادت, كريمة عميد الاسرة الطالبانية الشيخ حميد الذي مثل كركوك في المجلس التأسيسي, والبرلمان العراقي أكثر من مرة.

182 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

1911 بقنصل روسيا العام في بغداد بأسم عشائر الطالبانية والداودة والزنكنه مبدياً إستعداده للتعاون معهم ضد الاتحاديين³⁹⁹. كما ان عدداً من شعراء الكرد القوميين البارزين كانوا من الطالبانيين, منهم الشيخ رضا الطالباني والشيخ علي طالباني الذي كتب قصيدة يرثي فيها الشيخ سعيد, والد الشيخ محمود بعد أعتياله في الموصل تكون نتيجة أبياته حسب الحروف الابجدية 1326, أي سنة إغتيال الشيخ سعيد, ومنهم أيضاً الشي محمد الطالباني (خالص) الذي كتب قصيدة طويلة جداً لشيخ محمود تمثل قمة الادب الكلاسيكي الكردي, وعمقاً في التفكير والتقويم, تنطوي على نقد لاذع, مخلص لبعض تصرفاته, ولمن حوله⁴⁰⁰.

إتخذ بابانيو كركوك من الشيخ محمود موقفاً مشابهاً تماماً لموقف الطالبانيين . ورد تقرير فريد كتبه أحمد أعوان الملك فيصل الاول ما نصه بهذا الخصوص:

"لما قابلت جميل بيك بابان (عميد الاسرة البانانية) في الصلاحية (كفري), واستمزجت رأيه أجاب بان السلطة الكردية من حقوقه, وحقوق أجداده, ورغماً عن وعد الحكومة البريطانية بمنحها إياهم, قد

³⁹⁹ M.S.Lazarev,Kurdistan I Kurdkaya
Problema,P.201,M.S.Lazarev,Kurdkii Vopros 1891-1917.P.202.

⁴⁰⁰ " روشنبیری نوی " .

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 183

أعطتها للشيخ محمود.. وبعد المذاكرة وافق على بذل كل جهد لمقاومة
بروباغندا الشيخ محمود⁴⁰¹.

لكن بابانيي كركوك كانوا مع ذلك، من أشد المتحمسن لطموحات
الکرد القومية. ورد في التقرير نفسه وعن جميل بيك بن مجيد باشا
بابان نفسه أنه من "ناشري فكرة الاستقلال بين الاكراد" وله "بعض
النفوذ، لكنه منحصر في عشائر كركوك و الصلاحية وبشدر"⁴⁰².

وفي الوقت نفسه لم يكن جانب كبير من القطاع المؤثر من أهالي
كركوك يميلون الى الشيخ محمود بسبب تخلف بعض أساليبه في التعامل،
ونتيجة موقف التجار الذين وقفوا، مثل تجار السليمانية، ضد الشيخ
خوفاً من آثار حركاته المتوقعة على روابطهم التجارية الوثيقة ببغداد.
لم يختلف عن ذلك الموقف المؤثر للترکمان الذي كانوا "يرنون يومذاك
الى عودة الاتراك"⁴⁰³.

ومن أجل وضع الصورة في إطارها الطبيعي نقول إن كرد أربيل
وتوابعها إتخذواو بدورهم، موقفاً مشابهاً لموقف كرد كركوك وتوابعها
من حكمدارية الشيخ محمود، وذلك بغض النظر من حماسهم الكبير

⁴⁰¹ دار الكتب و الوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2574،

عنوان الملف: إدارة كردستان ، الوثيقة رقم 6، ص 18.

⁴⁰² المصدر نفسه، الوثيقة رقم 6، ص 15.

⁴⁰³ Public Record Office, F.O., 371/12255/2542, Secret, Reference
No1/407, P.6.

184 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

لتأسيس نظام كردي كما لاحظنا ذلك جلياً في أكثر من مناسبة. يلخص أحد المستشرقين الموضوع هكذا:

"لقد وقف سكان كركوك وأربيل والاقضية الكردية في لواء الموصل مواقف مختلفة من مجئ الشيخ محمود الى السلطة، فالبورجوازية الكردية الفتية في أربيل و كركوك كانت تخشى من أن تتحول هاتان المدينتان بعد إنتصاره الى تابعتين السليمانية المتأخرة. لكن السند الرئيس للشيخ محمود كان الفلاحون والرحل في لواء السليمانية، وسانده بقوة أيضاً القبائل القاطنة في منطقة كفري بلواء كركوك. وعلى العموم كانت فكرة إستقلال كردستان تلقى مساندة حارة من جانب الاغلبية الساحقة من الشعب الكردي⁴⁰⁴.

مهما يكن من أمر فإن هذا الواقع قد تحول بسرعة الى أحد الاسباب الاساسية لتحريك الشيخ محمود ضد البريطانيين الذين كان الشيخ يحملهم وزر موقف كركوك واربيل وتوابعهما من حكمداريته، الاتهام الذي لم يخل من قدر كبير من الحقيقة في الواقع، الامر الذي يقره البريطانيون صراحة. ورد في "التقرير الاداري عن منطقة السليمانية للعام 1911" ما يأتي نصه بهذا الصدد:

"كان الشيخ محمود ينظر بأنزعاج الى فصل كفري وكركوك (عن حكمداريته)، وإرتداد الجاف عليه، وفشله في التأثير شخصياً بقوة على

⁴⁰⁴ A.M.Menteshashvili,Iraq gode Angliskovo Mandata,P.202.

في الترجمة العربية: ص322.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 185

كوي (كويسنجق) ورواندوز، وبدأ الان يتخذ خطوات نشطة ضد الحكومة البريطانية.. ولهذا ادعا في هذا المنعطف الى جانبه شخصية سيئة السمعة من الحدود الفارسية⁴⁰⁵، وبمساعده، ومساعدة عدد من أنصاره و أقاربه إستحوذ على مايمكن وصفه عملياً بالسيطرة على كركوك من أجل كردستان حرة⁴⁰⁶.

في النص الانكليزي:

..took possession of the practically detention of Capturing Kirkuk for a free Kurdi stan.

هكذا وقع الصدام المباشر بين الشيخ محمود والبريطانيين من اجل كركوك في سياق نضاله التحرري، فأن الشيخ إستمر في "خطته" الرامية "الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى من بينها منطقتنا كفري وكركوك" من "دون الالتفات الى أي اعتبار آخر (مما) لم يكن مقبولاً من نائب الحاكم الملكي العام في العراق، فقرر الحد من سلطة الشيخ محمود، وتقليص نفوذه، وإيقافه عند حدود السياسة التي تنتجها حكومة الاحتلال في هذه المنطقة من العراق"⁴⁰⁷.

⁴⁰⁵ يقصد التقرير محمود خان دزلي، من زعماء هورامان المعروفين، وأخلص أعوان

الشيخ محمود، قضى بموافقة مفاجع البريطانيين الذين لك يكفوا عن مطاردته.

⁴⁰⁶ Public Record Office, F.O., 371/5069/4342, Administration Report of Sulaimaniyah Division for the year 1919, P.3.

⁴⁰⁷ عبدالمعنى الفلاحى، ثورتنا في شمال العراق، ص 93.

186 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

حين علمت سلطات الاحتلال بنيات الشيخ محمود وجهت قواتها صوب السليمانية، فوقع اول صدام بين الطرفين في طاسلوجة يوم الخامس والعشرين من آيار سنة 1919، إنتهى بأندحار البريطانيين الذين خلفوا في ساحة المعركة أربع مدرعات و تسع عشرة شاحنة من نوع فورد، فضلا عن قتلهم⁴⁰⁸.

مع تفاقم الوضع، وإقتراب الخطر من كركوك حشد البريطانيون قوات كبيرة بقيادة الجنرال فريزر. وقع الصدام الجديد في مضيق بازيان على الطريق بين كركوك و السليمانية يوم السابع عشر من حزيران 1919. في معركة غير متكافئة إنتصر البريطانيون، وجرح الشيخ محمود نفسه، فوقع في أسرهم. قدم الشيخ في بغداد الى محكمة عسكرية بريطانية أصدرت حكم الاعدام بحقه على أساس أن "موت الشيخ محمود هو أهم ضمانة للاستقرار في كردستان الجنوبية" حسب تعبير الحاكم الملكي العام وكالة في العراق ارنولد ولسن⁴⁰⁹.

غير البريطانيون حكم الاعدام الصادر بحق الشيخ محمود الى السجن المؤبد، ومن ثم نفوه الى الهند. لكن ذاك لم يجلب لهم الاستقرار المنشود، ولاسيما أن عنصراً جديداً ظهر على الساحة، تمثل في تعاون القوى الثورية الكردية مع الكماليين في تركيا، وقد تحولت كركوك تحديداً الى أحد أهم مراكز التوجه الجديد الذي أقلق البريانيين الى حد كبير. في

⁴⁰⁸ A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.137.

⁴⁰⁹ Ibid,P.139.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 187

خضم ذاك حققت القوى الكردية المعادية للوجود البريطاني نجاحاً كبيراً كان أحد أسبابه الجوهرية يمكن في تعاون قادتها مع الكماليين. وقد ادت كركوك و وابعها دوراً ملموساً في نضال الكرد في مرحلته الجديدة. ففي أيار 1922 إنتفض أبناء عشيرة زهنگهنه، كما لم يهدأ همونديون الذين إغتالوا ضابطين بريطانيين هما الكابتن ماكانت (R.K.Makant) والكابتن بوند (S.S.Bond). إنعكست أحداث كركوك هذه على بقية المناطق الكردية. يقول الضابط السياسي لكركوك حينئذ لونغريك إن ما حدث هناك "وطد مركز الترك في رواندوز"⁴¹⁰ , ويقصد بالترك القوة العسكرية الصغيرة التي بعثها الكماليون الى رواندوز للتعاون مع الكرد ضد البريطانيين. أما في السليمانية فان البريطانيين إضطروا الى نقل موظفيهم المدنيين والعسكريين جواً من هناك الى كركوك يوم الخامس من أيلول 1922, ليتم بذلك إنسحاب البريطانيين الى خط أربيل-كركوك-كفري بأعتراف وثناءهم التي قدموها الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق⁴¹¹. تقول وثيقة رسمية عراقية عن تأثير الانسحاب من السليمانية على كركوك ما نصه:

⁴¹⁰ S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950,P.144.

⁴¹¹ " Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 " , P.35.

"وقد أخليت السليمانية, إلا ان الامن في كركوك اضطرب ثانية, فحصلت ضرورة لاحتلالها ثانية"⁴¹².

تزامنت مع هذه الاحداث حملة تطالب بعودة الشيخ محمود من منفاه في الهند, شملت معظم المناطق الكردية, بما فيها كركوك و توابعها⁴¹³. إستجاب البريطانيون لهذه الدعوة بامل أن يتعاون معهم الشيخ لاعادة الاستقرار الى كردستان الجنوبية, ولردع الكماليين. مارس الشيخ محمود مناورة ذكية أفنح بها البريطانيون للسماح له بالعودة, لكنه أقام سراً إتصلاً مباشراً مع الكماليين قبل شهر كامل من عودته الى كردستان في الثلاثين من أيلول سنة 1922, وذاك بأعتراف الوثائق البريطانية الخاصة⁴¹⁴. جدير بالذكر أن البريطانيين لم يقفوا مباشرة على إتصالات الشيخ محمود السرية بالكماليين, بل إنهم إطلعوا عليها إعادة إحتلالهم لرواندوز. وردت في المراسلات تلك معلومات مفصلة عن إتصالات الشيخ محمود بالكماليين تجاوزت الى حد كبير المعلومات الاستخبارية التي كانت متوفرة لدى البريطانيين أنفسهم, بل يذهب كورد أوغلو في مبحثه الفصل المعنون (الكرد والامبريالية) الى التأكيد

⁴¹² دار الكتب والوثائق , الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي. التسلسل العام

132-وع, رقم الملف د/7, موضوع الملف: القضايا الكردية, ص7, الوثيقة رقم 1.

⁴¹³ M.A.Kamal,Natsional??-osvoboditelnoeQvijenie Iraq

rdistane,P.101,?????.Edmonds,Kurds, Turks and Arabs ,PP.122-123.

⁴¹⁴ " Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 ", P.35.

كركوك و تواجعها حكم التاريخ و الضمير 189

على وجود إتفاق سري ثنائي وقع بين الشيخ محمود والكماليين, يورد تفصيلات عدد من بنوده ضمن بحثه⁴¹⁵.

مهما يكن من أمر أن علاقات الشيخ محمود السرية بالكماليين سببت, مع إجراءاته الأخرى, خيبة كبيرة للبريطانيين جاء وصفها على لسان صحيفة (تايمس) اللندنية على النحو الآتي:

"كان الخطأ الوحيد الذي ارتكبه السير بيرسي كوكس⁴¹⁶ على مدى مدة عمله الطويلة في الشرق الأوسط هو قراره بصدد إرجاع الشيخ محمود من الهند"⁴¹⁷. منح البريطانيون الشيخ محمود لقب حكمدار كردستان في تشرين الأول سنة 1922, إلا أن أعلن نفسه ملكاً لكردستان الجنوبية في الشهر التالي. ما يهمني من الموضوع هنا أنه يبدو واضحاً من المصادر المعنية التي عالجت هذا الأمر أن كركوك وتواجعها كانت ضمن التنظيم الإداري الجديد الذي خطط البريطانيون لإقامته بالتعاون مع الشيخ محمود في ظل الظروف التي استخدمت مع بروز خطر الكماليين. جاء في العدد الثالث عشر من جريدة "بانگ كردستان" (نداء كردستان) الناطقة بأسم حكومة الشيخ محمود ما يأتي نصاً:

⁴¹⁵ Kurd Oqlu, Kurdi I Imperialism, " Bulletin Srednevo Vostoka ", Moskva, No.13-14,1932,P115.

⁴¹⁶ بقي السير بيرسي كوكس مندوباً سامياً بريطانياً في العراق حتى الأول من أيار 1923, ليخلفه السير هنري دويس وكالة, ومن ثم أصالة منذ الخامس عشر من أيلول من العام نفسه.

⁴¹⁷ Quoted in: " Zaria Vostoka ", May 28, 1931.

190 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"عندما يوافق جناب المندوب السامي لحكومة بريطانيا العظيمة، حسبما وعد في بغداد⁴¹⁸، على إلحاق جميع ألوية واقضية كردستان بموجب الخارطة، حينذاك تصدر إرادة حضرة الحكمدار، دامت شوكته، بدعوة الرجال المرموقين، وإقامة التشكيلات الدائمة في كركوك وأربيل وزاخو وعقره وعمادية ودهوك وصلاحية (كفري) و خانقين وغيرها من بلاد كردستان"⁴¹⁹.

ورد في التقرير البريطاني الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق من نيسان 1922 الى آذار 1923 مايشير الى حقيقة نفسها دون لبس. وبغض النظر عن أسلوب التقرير فإن ماجاء فيه يبين بوضوح موقع كركوك و توابعها في الاحداث الجديدة، ولكن من وجهة نظر بريطانية، تعبر عن خيبة مريرة من موقف الشيخ محمود الاخير من الكماليين، والذي رأوا فيه نكوصاً صريحاً منه لتعهداته لهم حين سمحوا له بالعودة من منفاه. يقول التقرير:

"في تشرين الاول (1922) إنتحل الشيخ محمود لقب حكمدار كردستان، وفي تشرين الثاني أعل نفسه ملكاً. ان كردستان التي ادعى السلطة عليها لم تكن اقل من جميع المناطق الكردية داخل العراق

⁴¹⁸ التقى السير بيرسى كوكس الشيخ محمود ببغداد في طريق عودته من المنفى الى كردستان.

⁴¹⁹ "بانگ كردستان"، العدد الثالث عشر، 12 ربيع الاول 1341/3 تشرين الثاني 1922، ص2.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 191

بصرف النظر عن حقيقة ان لا أربيل، و لا كركوك، و لا الأفضية الكردية في منطقة الموصل لم تعبر عن أي رغبة في حكمه". و يفسر التقرير ذلك بعدم ميل "مواطني اربيل و كركوك المثقفين و المتعلمين جيداً" الى ان يكونوا تابعين "لقريسة نائية، مختلفة مثل السليمانية"⁴²⁰. ليس هناك مجال دحض الاتهامات والادعاءات التي ينطوي عليها هذا التعليق، ولكن يكفي أن نشير الى ان الميجر نوئيل كان موافقاً الى جانب الشيخ محمود ممثلاً عن المندوب السامي البريطاني حين أعلن الشيخ نفسه حكمداراً، وبقي في السليمانية مدة من الزمن زار بغداد وكركوك مراراً في أثنائها، وخلفه جابن في مهمته، وكان الاخير أيضاً موجوداً حين أعلن الشيخ نفسه ملكاً على كردستان الجنوبية كما وردت تفصيلاته في مذكرات شاهد عيان⁴²¹.

تبدو الحقائق نفسها واضحة من خلال مواد صحافة الشيخ محمود. فحين أعلن أسماء أعضاء وزارته في العدد العاشر من صحيفة (بانگ كردستان)⁴²² كان نوئيل لا يزال موجوداً في السليمانية بوصفه ممثلاً

⁴²⁰ Report on Iraq Administration April, 1922-March, 1923 " , PP.36-37.

⁴²¹ رفيق حلمي، يادداشت (مذكرات)، الجزء الخامس، بغداد، 1957، ص98-110، الجزء السادس، بغداد، 1958، ص44-43.

⁴²² " بانگ كردستان "، العدد الحادي عشر، 28 صفر 1341/20 تشرين أول 1922، ص1-2.

192 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

للمندوب السامي البريطاني. كما نشرت الصحيفة نفسها في عددها التالي الخبر الاتي تحت عنوان "جناب الميجر نوئيل".

"قبل يومين سافر وكيل المندوب السامي جناب الميجر نوئيل مرة أخرى الى كركوك جواً، وقد وصل السلیمانية الكابتن چاپمن وكیلاً عنه"⁴²³.

أما أدموندس، الذي خلف لونگریگ في كركوك، يؤكد، بالاستناد الى صحافة ذلك العهد، أن الشيخ محمود كان ينظر الى الميجر نوئيل بوصفه ضابط إرتباط (Liasion Officer)، فيما أنه كما يؤكد "لم يكن في الواقع سوى قنصل من نوع ما ليكون حلقة إتصال مع المندوب السامي"⁴²⁴. وكل ذلك يعني أن ما حدث في السلیمانية تم بحضور البريطانيين، وبموافقتهم التي تراجعوا عنها بعد وقوفهم على علاقات الشيخ محمود بالكماليين في تركيا، ولعوامل أخرى تأتي على تفصيلاتها بعد قليل.

وفضلاً عن كل ما سبق نشير الى أن الحقائق الواردة في التقارير والوثائق البريطانية والعراقية الخاصة تبين أن كرد كركوك وترکمانها وقفوا هذه المرة، ويدوافع شتى الى جانب الشيخ محمود بحماس على

⁴²³ "بانگ كردستان"، العدد الحادي عشر، 28 صفر 1341/20 تشرين أول 1922، ص6.

⁴²⁴ C.J>Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.301.

في الترجمة العربية: ص272.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 193

العكس تماماً مما ذكره التقرير البريطاني الانف الذكر. فقد ورد في التقرير نفسه أعراف صريح حول ذلك بالنسبة لاهالي كفري والمناطق المجاورة لها⁴²⁵. ولم يقتصر الامر على الكرد وحدهم, فان زعماء عشيرة بيات إستقبلوا الشيخ محمود في طريق عودته من الهند الى السليمانية, بل رافقوه الى هناك⁴²⁶. والاهم من ذلك بكثير هو أن الاجتماع المهم الذي عقده الشيخ محمود يوم الخامس عشر من كانون الثاني 1923 مع 43 عشائرياً لوضع خطة عمل لنظامه, كان توزيعهم الجغرافي على النحو الآتي:

- 1- 10 من رؤساء العشائر الكردية في إيران.
- 2- 13 من رؤساء عشائر السليمانية و حلبجة.
- 3- 4 من رؤساء عشائر أربيل و كويسنجق.
- 4- 16 من رؤساء عشائر كركوك.

يهما بصورة خاصة تحليل الرقم الاخير, أي مايتعلق برؤساء عشائر كركوك الذين كانوا يحتلون المقام الاول من حيث الكم, أما من حيث النوع فأنهم كانوا يمثلون الجاف والهموند و زنگنه وداوده و جباري و دهلو, والاهم من ذلك قطعاً هو أن إثنين منهم كانا من رؤساء العشائر

⁴²⁵ Report on Iraq Administration April, 1922-March, 1923, P.36.

⁴²⁶ M.A.Kamal, Ntsionalno-Osvobeditelone Dvijenie Irakskom Kurdistane, P.102, C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.272.

194 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

العربية في الحويجة، الاول رئيس فخذ البوعلي فرحان الروحان، والثاني هو سيد عبدالقادر أغا من ملحمة. وبقي أن نضيف أن قائمة أسماء هؤلاء الرؤساء وردت ضمن تقرير سري خاص أعد لملك فيصل الاول من قبل مندوب له بعثه الى الشيخ محمود " وصل السلیمانیة في الخامس من كانون الثاني 1923 متمثلاً لاوامر جلالته " و قابل "الحكمدار في الثامن عشر من الشهر المذكور" والذي "بعد تسليم الكتاب (له) اظهر إمتنانه من صاحب الجلالة"⁴²⁷ , مما يؤشر إعترافاً صريحاً بحكمدارية الشيخ محمود من قبل الملك فيصل وحكومته. تعاون مع الشيخ في تلك المرحلة أيضاً أعرق تركمان كركوك، واكثرهم نفوذاً، منهم كما يؤكد هنري فوستر مؤلف كتاب "نشأة العراق الحديث"، ناظم بيك نفطجي عميد أسرة النفطجي في المدينة⁴²⁸ , وهو شخصية سياسية و إجتماعية معروفة مثل كركوك في مجلس المبعوثان قبل الحرب العالمية الاولى، وكان على إتصال وثيق بجمعية العلم في الموصل التي عرفت بمواقفها المعادية لبريطانيا⁴²⁹ . أثار موقف ناظم بيك هذا حفيظة البريطانيين،

⁴²⁷ دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2574، عنوان الملف: إدارة كردستان، الوثيقة رقم 6، ص 11 و 17، الملحق: قائمة أسماء العشائر المجتمعة في السلیمانیة يوم 15 كانون الثاني 1923.

⁴²⁸ هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، الجزء الاول، بغداد، 1989، ص 255.

⁴²⁹ عبدالمنعم الفلاحی، ثورتنا في شمال العراق، ص 29-30.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 195

والمك فيصل الاول الذي راقبه بوساطة أعوانه عن كذب⁴³⁰. ومن المفيد أن نشير الى أن ناظم بيك نفسه أولى حركات بارزان فيما بعد إهتماماً خاصاً⁴³¹.

أولى الشيخ محمود بدوره التركمان إهتماماً أكبر من السابق. فأن إحدى جرائده، وهي "بانگ كردستان" كانت تنشر قسماً من موادها الأساسية باللغة التركية بأشراف رفيق حلمي- احد أبرز أعوان الشيخ محمود، و أحد أبرز مثقفي الكرد يومذاك. في عددها الاول، مثلاً، نشرت الصحيفة ثلاثاً من موادها الرئيسية باللغة التركية. وفي حالات غير قليلة كانت "بانگ كردستان" تنشر قرارات حكومة الشيخ محمود أيضاً باللغة التركية. كما أقام الشيخ إتصلاً مباشراً مع أبرز زعماء التركمان في كركوك. يصف لنا لونغريگ ذلك هكذا:

"إنه بدأ يتأمر مع الجمعية التركية النشطة التي ألفها في كركوك أسرة آل النفطجي، وعدد من أنصار تركيا العندين"⁴³².

⁴³⁰ دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2574، عنوان الملف: إدارة كردستان، الوثيقة رقم 6، ص18.

⁴³¹ Public Record Office, A??,23/187,Part 17,XMO/1583,from Special Service Officer Royal Air Force Sulaimani to Air Staff Intrlligence Air Headquarters,Hinaidi,Secret.

⁴³² S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950, P.272.

196 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

لكن الذي أثار البريطانيين أكثر من أي شيء آخر، ودفعهم الى بذل كل شيء من أجل إبعاد كركوك عن الحركة القومية الكردية، وعن الشيخ محمود بالذات، كان مطالبة الأخير بنفط كركوك، وبولاية الموصل بأسرها، فضلاً عما أقامه من إتصال مباشر بالسوفيت، وجميعها كانت من الامور غير المسموح بها مطلقاً في نظر البريطانيين. كان الشيخ محمود يردد في محافله الخاصة باستمرار عبارة "النفط نفطي فما شأن الآخرين به"⁴³³.

وقد شاع الاتجاه نفسه بين صفوف أبرز مثقفي الكرد يومذاك، منهم الشخصية الدينية السياسية والاجتماعية المرموقة، عضو المجلس التأسيسي الملا محمد الكويي المعروف، لغزارة علمه، بالمالا الكبير، فلقد كتب قصيدة في عشرينات القرن الماضي بعنوان "هه ناسه نيه وتاوى" (الانفاس المنفوسة)⁴³⁴ وينقل المهندس البريطاني اولتن، الذي أشرف

⁴³³ هذا مارواه لي المرحومان مصطفى رسول، والد الدكتور عزالدين و محمد جميل

الروزبباني.

⁴³⁴ يقول مطلع القصيدة:

" هه نيهسه كه ئينگليزو ئهفرهنج

پاش هه ربه كهى زۆر به ميحنهت و رهنج

بهه فيكرى عميق و حدس و حسه

گهه ببينه شهريكى نفع و حصه

ئههه (خه لكى ترى) كه پو فيج

هيج حهقى نيه به حهقى خوا هيج "

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 197

على تشييد طريق أربيل-رواندوز-رايات مذكوره له بهذا الخصوص اسماعيل بيك رواندوزي الذي مثل أربيل أول مجلس نيابي عراقي:
"تذكره أن حقول النفط تقع في كردستان، لذا لدينا بعض الحق في أن نطالب بحقنا من الارباح التي تجنى من وارداته. لكننا لم نجن حتى الان من نفطنا سوى الرصاص والقنابل"⁴³⁵.

كما كتبت مجلة "زاري كرمانجي" (لسان الكرد) "تقع الثروة المعدنية كافة في الارض الكردية، مع هذا فان الكرد يجدون الابواب موضدة بوجودهم" القول الذي نقله تقريراً إستخباري بريطاني في الحال⁴³⁶.

لاداعي للتأكيد أن نفط كركوك كان أول، واهم مايغري البريطانيين في كل ما إصطلحوا هم على تسميته بجنوب كردستان أحياناً، وكردستان الجنوبية غالباً. يبرز واضحاً في سجلات مفاوضاتهم السرية بشأن مستقبل المنطقة قبل إنهيار الامبراطورية العثمانية. فأنهم تنازلوا عم كل ولاية الموصل لفرنسا بأستثناء كركوك و إمتداداتها بموجب "اتفاقية سايكس-بيكو" المعروفة، إذ إقتطعوا منطقة شهرزور التاريخية، أي كركوك الى حد السليمانية ومن ثم الحدود الإيرانية، منولاية الموصل، وجعلوها ضمن المنطقة (ب) المقررة لهم، في حين تركوا

⁴³⁵ A.M.Hamilton, Road through Kurdistan, The Narrative of an Engineer in Iraq, London, 1937, P.302.

⁴³⁶ Public Record Office, Air, 23/417, XM/04583, " Zari Krmanji ", No.23, January 1930.

198 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

البقية الباقية من ولاية الموصل ضمن المنطقة (أ) لتصبح مع القسم الشرقي من سوريا ضمن المنطقة المخصصة لفرنسا⁴³⁷.

كان موقف الشيخ محمود من هذا الموضوع الحساس يستوجب ضربه دون رحمة من وجهة نظر بريطانية براغماتية، والبراغماتية فلسفة إستعمارية، إستغلالية لا تعير الحق أي إهتمام بنظر من يعدون أنفسهم ثوريين حقيقيين. في معرض حديثه عن كركوك والنفط ورد في تقرير إداري خاص وضعه ادموندس النص الاتي الذي له مغزاه بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدد معالجته هنا:

"من الخطر أن نقبل أي ضعف إداري في محل يكون فيه هذا المنبع المهم لثروة العراق"⁴³⁸.

نرى من الضروري أن نقبل أي ضعف مهمة أخرى بالنسبة لدراستنا هذه، وهي أن الدول الكبرى نفسها كانت تعترف في وثائقها الخاصة أن نفط كركوك يقع ضمن حدود كردستان، وأن ذلك كان يدخل ضمن اهم أسباب إهتمامها بكردستان. فحين تنازلت فرنسا عن ولاية الموصل الى بريطانيا أرادت أن تضمن لها حصة في نفط العراق ككل مقابل ذلك التنازل. ففي الثاني عشر من كانون الاول سنة 1919 قدم رئيس

⁴³⁷ M.S.Lazarev, Krushenie Turetskovo na Arabskom Vostoke, Moskva, 1960, P.130.

⁴³⁸ دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية : ملفات البلاط الملكي، التسلسل العام 1132-وع، رقم الملف د/7، موضوع الملف: القضايا الكردية، ص15، الوثيقة رقم

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 199

الوزراء الفرنسي كليمنصو مذكرة رسمية سرية الى رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج حول هذا الموضوع ورد فيها مانصه:

"بما أن التنازل عن (ولاية) الموصل يخص فرنسا, فإنه يجعل من المفترض ضمان مساواة كاملة (للمصالح الفرنسية مع المصالح البريطانية) في إستغلال منابع النفط في ميسوبوتاميا (بلاد مابين النهرين) وكردستان بأعتبار ذلك تعويضاً مقبولاً (عن ذلك التنازل), وهو أمر تصر عليه الصناعة الفرنسية والبرلمان الفرنسي على حد سواء. ان لهذه المسألة أهمية كبيرة بسبب عدم وجود النفط في فرنسا, وحاجة تلك البلاد للنفط"⁴³⁹.

ومن المفيد أن نشير الى ان رئيس الوزراء الفرنسي أكد في المذكرة نفسها ضرورة إستمرار فرنسا وبريطانيا في "تبادل وجهان النظر حول قضايا القفقاس وكردستان وبلاد فارس التي لن يظهر أي خلاف بصددها على ما يبدو"⁴⁴⁰.

لايمكن فصل نفط كركوك عن ولاية الموصل ومشكلتها. يقول الدكتور فاضل حسين في ختام دراسته الوثائقية عن "مشكلة الموصل" التي قدمها الى جامعة إنديانا الامريكية في العام 1952 أن النفط كان "العامل الحاسم في مشكلة الموصل", وان "النفط في التحليل الاخير عين

⁴³⁹ David Lloyd George, The truth about Peace Treaties, Vol, London, 1938, P?

⁴⁴⁰ Ibid, P??

200 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

مواقف تركيا و بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا" إزاء تلك
المشكلة⁴⁴¹.

في ضوء هذا التقويم الصحيح يمكن منهم دوافع سياسة بريطانيا
المتشددة للغاية بالنسبة لمخططات الشيخ محمود. ففي عز أيام نفوذه،
بعد إعلان ملوكيته الى تزامنت مع تفاقم الصراع على نفط كركوك،
وإنفجار مشكلة الموصل، نشرت صحيفة "رؤى كردستان" (شمس
كردستان) الناطقة بأسم حكومته في عددها الاول بالتحديد مقالاً
إفتاحياً جاء فيه:

"نشرت جريدة العراق البغدادية في عددها 738 مقالاً بعنوان
"منشور حزب الحر العراقي" وفي عددها 743 مقالاً آخر بعنوان
"مجلس إدارة كردستان" وردت فيهما بعض المعلومات عن مطالبة حزب
الحر العراقي من حكومتهم العمل من أجل محافظة كل حقوق والحدود
الطبيعية للعراق، وأدخل (الحزب) كردستان اسم السليمانية ضمن ذلك
لان لها روابط تجارية و إقتصادية كثيرة مع بغداد، كما ذكر مجلس
رؤساء (وزراء) كردستان بأسم مجلس إدارة كردستان. انه لأمر عجيب
ومؤسف، إذ لا يمكن لامرئ له ضمير أن يصدق إبتعاد شخص مثقف عن
الحق الى هذا الحد.. ان علوم التاريخ والجغرافية هي شواهد عدول أن
الامة الكردية كانت تعيش وحدة قائمة بذاتها.. إن نعمة الحقوق

⁴⁴¹ الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية-التركية
وفي الرأي العام، الطبعة الاولى، بغداد 1955، ص301.

كردك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 201

والحدود التي وزعت في عصبة الامم بالعدل لنا فيها نصيبنا, وسوف نضحي من أجل ضمان هذا النصيب بكل موجودنا المادي والمعنوي⁴⁴².

تطرفت الصحيفة نفسها الى الموضوع بوضوح أكبر في عددها السادس حين ذكرت في مقال إفتتاحي بعنوان "ولاية الموصل في لوزان":
"ولما كان جميع أهالي ولاية الموصل كرداً.. فلماذا تطالب بها أقوام أخرى.. إن الترك والعرب والاشوريين يدعمون مطالبهم بها بوجود عدد قليل من أبناء بلدتهم فيها.. إن المطلب الذي وضعناه أمام مؤتمر لوزان ليس حماية أقلية وإنما الدفاع عن حق الحياة لشعب عظيم مستقل صاحب وطن.."⁴⁴³.

تبقى النقطة الثالثة الحساسة التي إستوجبت تجيم الحركة القومية الكردية, وهي ماضهر من بوادر التقرب من السوفيت, وإستحسان الفكر البلشفي. تتوفر في الوثائق والتقارير السرية البريطانية عشرات الشواهد التي تبين بوضوح مدى القلق الذي أثاره ما عده البريطانيون إنتشاراً للفكر البلشفي بين الكرد في ذلك الوقت المبكر⁴⁴⁴. أما الشيخ محمود

⁴⁴² " رؤژ كردستان ", العدد الأول, 25 ربيع الاول 1341/15 تشرين الثاني

1922, ص 1-2.

⁴⁴³ " رؤژ كردستان ", العدد السادس, 9 جمادي الاول 1341/27 كانون الأول

1338 (1922), ص 1-2.

⁴⁴⁴ ينظر على سبيل المثال في:

" Documents on British Foreign Policy, 1914-1939", First series ,
Vol.XLLL.P.667,Public Record

202 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

نفسه فقد إتصل بالحكومة السوفيتية بصورة مباشرة, طالباً منها تأييد القضية الكردية, وتزويده هو بكميات كبيرة من الاسلحة, بما في ذلك الاسلحة الثقيلة⁴⁴⁵. وقف البريطانيون على إتصالات الشيخ محمود هذه بصورة مباشرة, كذلك علم بها الملك فيصل في وقت مبكر. ورد في التقرير الخاص الذي أعده منجوب فيصل الى الشيخ محمود في كانون الثاني 1923, والذي أمض عدة أيام في السليمانية, النص الاتي بهذا الصدد:

"3- جاء الى السليمانية قبل أسبوع نصرالله ملك أفشا وهو حمو سمكو إسماعيل خان.. وقد قابل الحكمدار, وأخذ التعليمات المقتضية و اصطحب معتمدي حكمدار السليمانية مرزا عارف وقائد الاي الخيالة الرئيس الول رشيد أفندي (جودت), وسافروا في 21 منه (كانون الثاني 1923) على طريق سقز الى جوار تيريز, وبعد تعميق البحث وجد ان التعليمات كانت الاتصال بقوى البلشفيك⁴⁴⁶.

Office,F.O,371/4342,F.O,371/13428,A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.

⁴⁴⁵ " Bulletin Pressi Polnomochnovo Predstavitelia RSFSR Persii ", No.3,Mart 1928,Prilojenie No.12.

ينظر النص العربي للرسالة في صحيفة " خهبات- النضال " , بغداد, 11 تشرين الأول 1960.

⁴⁴⁶ دار الكتب والوثائق, الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي, رقم الملف: 2574, عنوان الملف: إدارة كردستان, الوثيقة رقم 6, ص 11, الفقرة الثالثة.

مُرحوكُ و تواجبها حكم التاريخ و الضمير 203

وهنا نشير الى أن "عدم إتفاق الامير فيصل مع البلشفية، وكرهه لها" كان "واحداً من الاسباب الرئيسة لاختياره ملكاً على العراق" كما ورد في تقرير سري أعدته وزارة الحربية البريطانية بتاريخ السابع عشر من شباط 1921⁴⁴⁷.

ظلت احتمالات التغلغل البلشفي بين كرد العراق يؤلف هاجساً يقلق البريطانيين، ويؤثر على رسم سياستهم بالنسبة للقضية الكردية. وردت في ديباجة الكتاب الذي أرفقه قائد القوة الجوية البريطانية في العراق بالتقرير المطول الذي أعدته قيادة قوته خصيصاً لوزير الطيران البريطاني بعنوان "الحركة الكردية"، العبارة الآتية التي تنطوي على مغزى عميق:

"2- يبدو واضحاً من المعلومات الواردة في هذا التقرير أن الكرد يؤلفون أداة قوية، ومهيئة لليد التي ترغب في خلق المشكلات للدولة العراقية، ولاسيما للبلاشفة حين يرون ان الوقت قد حان"⁴⁴⁸.

بقي "الخطر البلشفي" يمثل بعبءاً يؤرق البريطانيين، وعموم الغربيين، ويستوجب في نظرهم إتخاذ كل مايلزم من أجل إبعاده عن

⁴⁴⁷ Public Record Office, F.O., 371/6349,

الدكتور فاروق صالح عمر، حول السياسة البريطانية في العراق 1914-1921 دراسة وثائقية، بغداد، 1978، ص 104-105.

⁴⁴⁸ Public Record Office, F.O., 3371/12255/2542, Secret, Reference

No. 1/407, from Air Headquarters, British Forces in Iraq, Baghdad, to the Secretary, Air Ministry, Adastral House, London, W.C.2, Dated 30th March, 1927.

204 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

نفظ المنطقة. إزداد القلق البريطاني بهذا الخصوص أكثر بعد أن وجد الفكر البلشفي طريقه الى صفوف المثقفين الكرد بعد تحجيم حركات الشيخ محمود. كتب ادموندس في الجادي عشر من شبأ سنة 1927 عن هذا الموضوع يقول:

"أن المنفذ الواضح الثاني⁴⁴⁹ الذي بوسع البلاشفة أن يسيئوا عن طريقه الى العراق هم الاكراد. لقد كان الروس لعدة سنوات جيران الاكراد المباشرين عن طريق مناطق القفقاس واذربيجان الايرانية التي كانت في سنة 1914 منطقة روسية فعلاً. أن معظم المؤلفات الجغرافية والاثنوغرافية واللغوية عن الكرد كان من إنتاج يراع الروس, كما أن تدمير الكرد في تركيا وإيران قد استخدم للتوجه الى روسيا الاسيوية عدداً من الجمهوريات السوفيتية الصغيرة القانعة بوضعها عموماً, وإن تأليف جمهورية كردية مستقلة هو نقطة إبتدائهم الواضحة حين يكونون مستعدين للعمل من الشمال الشرقي⁴⁵⁰, من قواعدهم في أذربيجان الايرانية"⁴⁵¹.

وفي الخامس عشر من شباط عام 1940 قدم ادموندس نفسه, بوصفه مستشاراً لوزارة الداخلية العراقية, مذكرة مطولة حول الموضوع

⁴⁴⁹ ذكر المنفذ الاول قبل ذلك, وهو " إثارة إضطرابات العمال " .

⁴⁵⁰ تحققت نبوءة أدموندس على أرض الواقع بعد حوالي عقدين من الزمن حينما أقام كرد إيران بمساعدة السوفيت ماعرف في التاريخ بجمهورية مهاباد.

⁴⁵¹ Public Record Office, F.O., 371/24560, Russia and the Kurds.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 205

نفسه تحمل عنوان "روسيا والاكرد" كرر فيها الاحتمالات نفسها، مع إضافة معلومات جديدة استقاها من مصادر إستخبارية مختلفة⁴⁵².

لم تكن طموحات الشيخ محمود، وإتصالاته الخارجية، بما في ذلك إتصاله بالسوفيت، بخافية على البريطانيين. فأن المفتش الاداري، ومن ثم الضابط السياسي البريطاني في كركوك آدموندس، مثلاً كان يتابع كل تحركات الشيخ محمود وإتصالاته وما تكتبه صحافته بدقة، وقد نشر مقتبسات مفصلة من الصحافة الكردية ضمن كتابه "كرد وترك عرب"، وكان هو أول مسؤول بريطاني إطلع على إعداد جريدة "بانگی حهق" (نداء الحق) التي أصدرها الشيخ محمود في كهف جاسنة قرب دوكان⁴⁵³ لتمثل بذلك صفحة فريدة في تأريخ الصحافة عموماً.

مارس البريطانيون من جديد ضغوطاً شديدة على الشيخ محمود ونظامه، ولاسيما بعد أن بدأ يخطط، مع خياط كمالين وصلوا السليمانية خصيصاً، من أجل طرد البريطانيين من كركوك⁴⁵⁴، وبعد

⁴⁵² Ibid.

⁴⁵³ ، وفي الترجمة C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arbs,PP.301-302,319
M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe
Dvijenie Irakskom Kurdistane,P.121.

⁴⁵⁴ A.Toynbee,Survey of International Affairs,1925. The Islami
World since the Peace Settelment,London,1927,P.489.

206 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

أن وصلت بغداد تقارير تتوقع بأن في حال إجراء انتخابات، أو تصويت فان "أغلبية سكان لواء كركوك الساحقة ستصوت للشيخ محمود"⁴⁵⁵.

يبدو واضحاً من جميع الوثائق السرية، والتقارير الرسمية البريطانية أن كركوك كانت تمثل السبب الاول للعمليات العسكرية الواسعة التي إتخذتها سلطات الانتداب ضد الشيخ محمود. فقد أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم الموضوع هكذا:

"إن الشيخ محمود الذي نحن أعدناه (من منفاه في الهند) إثر جلائنا من السليمانية، سرعان مابدأ يتأمر مع الاتراك ذدنا بنشاط، وقد أصبح معلومات في مطلع هذا العام (1923) إنه وضع خطة للهجوم على كركوك في شهر آذار"⁴⁵⁶.

أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم الرأي نفسه مرة ثانية في تقرير لاحق عن سير الادارة في العراق، ورد فيه مانصه:

"أن الشيخ محمود منشغل الان بأخذ الاستعداد للهجوم على كركوك"⁴⁵⁷.

⁴⁵⁵ C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arbabs,P.304.

في الترجمة العربية: ص275.

⁴⁵⁶ "Report on Iraq Administration April,1922-March 1923",P.64

⁴⁵⁷ "Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the riad April,1923-December,1924", London,1925,P.32.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 207

ويعترف البريطانيون في وثائقهم السرية صراحة بان خطط الشيخ محمود بالنسبة لكركوك هي التي دفعتهم الى إتخاذ إجراءات حاسمة ذده⁴⁵⁸. ورد في برقية مطولة بعثها المندوب السامي البريطاني يوم الثالث من اذار 1923 من بغداد الى وزير المستعمرات والى السفير البريطاني في طهران الاتي نصه:

"لقد اضطرت، بالاستشارة مع قائد الطيران، الى إعطاء الامر بقصف السيمانية للحيلولة دون قيام الشيخ محمود بالهجوم على كركوك وكفري"⁴⁵⁹.

وفيما بعد كلما ورد اسم الشيخ محمود في الوثائق البريطانية الخاصة كان لابد من الرجوع الى الحقيقة ذاتها، والتأكيد عليها في الغالب. ففي التقرير المهم عن "الشخصيات الرئيسة في العراق في سنة 1935"، الذي وضعته السفارة البريطانية في بغداد خصيصاً للخارجية البريطانية بناء على طلبها، ورد عن الشيخ محمود النص الاتي:

"في سنة 1923 كان لابد من إتخاذ إجراءات مسلحة ضده للحد من محاولاته لد نفوذه الى مناطق كركوك وأربيل"⁴⁶⁰.

⁴⁵⁸ Public Record Office, F.O., 371/18948, 431/431/93, No. 52.

⁴⁵⁹ دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2574، عنوان الملف: إدارة كردستان، ص 39، الوثيقة رقم 10، برقية المعتمد السامي عدد 48/148.

208 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

وهكذا كان الامر فعلاً، ففي أواسط شباط 1923 عقد إجتماع خاص في بغداد بحضور كبار المسؤولين البريطانيين، مثل كركوك فيه آدموندس، لمناقشة الوضع في كردستان. تقرر في الاجتماع دعوة الشيخ محمود الى بغداد لايجاد مخرج سلمي للخلافات القائمة، وإذا رفض الحضور يوجه المندوب السامي إنذاراً يطلب منه ان يترك السليمانية ويأتي الى بغداد مع أعضاء حكومته في غضون خمسة أيام فقط⁴⁶¹. توجه في الوقت نفسه عدد من كبار المسؤولين البريطانيين الى كركوك و أربيل وغيرهما من اجل حشد العشائر الكردية ضد الشيخ محمود⁴⁶². وفي كركوك وتوابعها نشط آدموندس بهذا الاتجاه بصورة خاصة، فيقول عن ذلك بنفسه:

"بذلت ما في وسعي لتقوية الروح المعنوية في المتصرف والموظفين (في كركوك) دون ما خوف، أو مصانعة، وقمت بزيارات عديدة (للشيخ) عبدالكريم في قادر كرم، ولزعماء الطالباني والجاف وغيرهم من رؤساء العشائر لتشجيعهم على مقاومة الدعاية المعادية التي تنهال عليهم..

⁴⁶⁰ "العراق في الوثائق البريطانية سنة 1936"، إختيار و ترجمة وتحرير نجدة فتحي صفوة، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، البصرة، ص68.

⁴⁶¹ C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,PP.314-315.

في الترجمة العربية: ص283-284.

⁴⁶² "The Near East and India"، London, April, 1923, P.368.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 209

وأنبأني (الكابتن) لايين وإستخباراتي الخاصة بأن إنلاع الثورة قد وقت في أوائل آذار, وإن كركوك وكويسنجق ستكونان الهدفين الاولين⁴⁶³.
رفض الشيخ محمود العرض البريطاني, وبأشر بأخذ الاجراءات الضرورية للتوجه صوب كركوك⁴⁶⁴. إزاء ذلك بأشر البريطانيون بتنفيذ خططهم التي أتمدت على الطيران العسكري. سجل لنا أدموندس الذي أشرف من كركوك على تنفيذ الخطة, ملاحظات معبرة تبين مدى أستعداد البريطانيين لضرب الشيخ محمود, فأنه يسمى الطائرات العشرين, وهذا بجد ذاته رقم كبير بالنسبة لامكانات الطيران العسكري عالمياً في ذلك الوقت, يسميها "أرمادا العظيمة" التي "حامت في سماء كركوك"⁴⁶⁵ تشبيهاً باسطول أرمادا الاسباني الشهير الذي بناه فليب الثاني (1527-1598), وكان يوصف عادة بالاسطول الذي لايقهر.

ويتحدث لنا أدموندس أيضاً عن الاجراءات التي إتخذها البريطانيون لنقل الجنود الى كركوك ضمن الخطة المقررة, ويعلق على ذلك بالقول

⁴⁶³ C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.314.

في الترجمة العربية: ص 283.

⁴⁶⁴ M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenje Iraq skom Kurdistane 1918-1958,Vol.I,Moskva 1969,p.198.

⁴⁶⁵ c.j.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.315.

في الترجمة العربية: ص284.

210 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"وهذا كان عملية عسكرية جديدة في ذلك الوقت"⁴⁶⁶. بمعنى أن واحدة من أولى عمليات النقل الجوي للمشاة في التاريخ جرت فوق أرض كردستان لقمع حركتها القومية. وفي مكان آخر من كتابه، الذي هو سجل حافل لمذكراته عن تلك السنوات، يعترف أدموندس بأن الطائرة البريطانية استخدمت لتحقيق الهدف نفسه قنابل تزن الواحدة منها 220 رطلاً لأول مرة في التاريخ⁴⁶⁷. فلا غرو، إذن إن منح البريطانيون الشيخ محمود لقب "مدرّب القوة الجوية البريطانية"⁴⁶⁸. وبقي أن نقول حقاً أن "النفط مستعبد الشعوب" كما قال ذلك الكاتب العربي التقدمي يوسف إبراهيم يزبك في أواسط ثلاثينيات القرن الماضي⁴⁶⁹.

إضطر الشيخ محمود تحت هذا الضغط الكبير إلى اللجوء إلى الجبال اعتباراً من اليوم الرابع من آذار سنة 1923 ليصدر من هناك، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، صحيفة يعبر عنونها "بانگی حەق" (نداء الحق) عن الكثير الكثير. لكن البريطانيين لم يستجيبوا لنداء الحق بسبب نفط كركوك الذي دفعهم، على العكس من ذلك، إلى إتخاذ إجراءات عاجلة لعزل كركوك وتوابعها عن الحركة القومية الكردية إلى

⁴⁶⁶ Ibid.

⁴⁶⁷ Ibid, P.350 313 في الترجمة العربية: ص 313

⁴⁶⁸ القول لـ مجلة The Near East and India اللندنية عن ذلك ينظر في "روشنبری نوى"، العدد 136، 1995، ص 16-17.

⁴⁶⁹ يوسف إبراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت، 1934.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 211

أقصى حد ممكن. فقبل كل شئ فصلوا أربيل عن كركوك أدارياً كما أنبأوا عصابة الامم بذلك في تقريرهم عن سير الادارة في العراق من نيسان 1922⁴⁷⁰. ومن ذلك الحين بوشر بتعيين متصرفين "معادين للكرد" في كركوك بأعتراف الوثائق البريطانية السرية⁴⁷¹, منهم عبدالمجيد اليعقوبي كما ورد صراحة في تقرير سري لضابط الخدمة الخاصة في كركوك⁴⁷², فقد خلف فتاح باشا في منصبه إعتباراً من أيار 1924.

لم يترك ذلك كله سوى أثر محدود على الواقع الاجتماعي والسياسي لكركوك, الامر الذي نتطرق الى ابعاده بقدر من التفصيل في البحث الخاص بالافرازات السياسية الاخرى للواقع القومي لكركوك وتوابعها. كما لم تدفع الاجراءات الاخيرة الشيخ محمود الى التخلي عن كركوك, فسرعان ما عاد الى التخطيط من أجل الزحف على كركوك بالتعاون مع بعض العشائر الكردية بعد انسحابه من السليمانية, الخطة التي لم

⁴⁷⁰ " Report on Iraq Administration April, 1922-March,1923 ", P.74.

⁴⁷¹ Public Record

Offive,Ari,23/417/5088,Reference:No.I/Bd/39,Secret,Special Service Officer,Baghdad,to:Air Staff Intelligence,Air Headquarters,Hinaidi,18th August 1930,P.2.

⁴⁷² Ibid,23/418/5132,Extract from S.S.O.Kirkuk Report, No.V/175,Dated for period ending 28th April,1931,P.2.

212 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

يكتب لها النجاح مرة أخرى بسبب موقف البريطانيين المتشدد⁴⁷³. ولم يكن مجرد صدفة أن رئيس الوزراء ياسين الهاشمي حين قام بزيارة خاصة الى كردستان بدأها بالسليمانية التي وصلها يوم الاول من ايار سنة 1925, ثم توجه منها "الى كركوك, واتخذ (فيها) بعض الاجراءات لحد من نفوذ الشيخ محمود الحفيد, وتثبيت شمل أعوانه" حسب تعبير الحسين⁴⁷⁴.

بقيت كركوك و توابعها مرتبطة بأسم الشيخ محمود بصورة, أو بأخرى حتى اليوم الاخير من حياته, وقد تجسد ذلك بعد القضاء على نظامه مع تفاقم الصراع على ولاية الموصل.

كركوك وتوابعها في إطار مشكلة الموصل

من المعروف إن كماليي تركيا كانوا يطالبون بولاية الموصل على أساس أنها لم تحتل عسكرياً من قبل القوات البريطانية قبل التوقيع على هدنة مودروس بين الحلفاء والدولة العثمانية يوم الثلاثين من تشرين سنة 1918. أدى ذلك الى إثارة مشكلة دولية دخل التاريخ بأسم "مشكلة الموصل" التي مست القضية الكردية من جميع الاوجه بصورة مباشرة, لان كردستان الجنوبية كانت تؤلف أصلاً الجزء الأكبر

⁴⁷³ M.A.Kamal, Natsionalno-Osvoboditelnoe Drijenie Irakckom Kurdistane 1918-1958, Vol.I, P.205.

⁴⁷⁴ عبدالرزاق الحسيني, تأريخ الوزارات العراقية, الجزء الأول ص252.

مُرحوكُ و تواجبها حكم التاريخ و الضمير 213

من ولاية الموصل السابقة. ذكر عضو مجلس العموم البريطاني الميجر
غلاين أثناء مناقشة مشكلة الموصل داخل أروقة المجلس:

"ان الذي يقلق في كل هذه القضية لايمكن في رسم الحدود،
ولايرتبط بمسائل الاقليات القومية، بل أنه يمكن في المشكلة الكردية
الكبرى (great Kurdish Problem) والى أن تحل القضية الكردية فأن
ثمة صعوبات تبقى ماثلة بأستمرار"⁴⁷⁵.

أكد المؤرخ البريطاني المعروف أرنولد توينبي الشئ نفسه⁴⁷⁶، كما أكد
صحيفة (تايمس) اللندنية التي ذكر مراسلها في تقريره الذي بعثه اليها
من إستانبول بتاريخ التاسع عشر من كانون الاول سنة 1925 ما يأتي:
"كلما يتعمق المرء أكثر من النقاش مع الاصدقاء الترك كلما تأكد
لديه أكثر أن المشكلة الكردية هي التي تؤلف أساس النزاع كله. أن هذا
الجانب من القضية فلما يعالج في الصحافة التركية.. مع العلم أنه يؤلف
في الحقيقة النقطة الجوهرية في المسألة برمتها"⁴⁷⁷ (في النص
الانكليزي: (This is really the crax of the whoie matter).

⁴⁷⁵ The Parliamentary Debates. The House. The House of Commons
"Official Report, Fifth Series, Vol. 189, 1924-1925, London, Col. 2102.

⁴⁷⁶ A.J. Toynbee, "Angora" and the British Empire in the East, "The
Contemporary Review", London, Vol. CXXLLL, June 1923, PP. 686-
687.

⁴⁷⁷ "The Times", No. 44, December 21, 1925.

214 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

وفعلاً أن جل ماثير بالنسبة لمشكلة الموصل من البداية حتى النهاية، ومن جميع الاطراف المتصارعة، يظهر دون لبس الواقع الكردي والكردستاني لكركوك وتوابعها، مع العلم ان الكرد كانوا الطرف الوحيد الذي لم يمثلهم أحد في ذلك النزاع المصيري ولم يتبين أي من أطرافه قضيتهم، أويُدافع عنها.

أثير موضوع النزاع حول ولاية الموصل لأول مرة أمام مؤتمر لوزان في سويسرا، الذي إفتحت أعماله يوم العشرين من تشرين الثاني سنة 1922 بهدف عقد معاهدة صلح جديدة مع تركيا الكمالية لتحل محل معاهدة سيفر . فبعد أن فشل تبادل وجهات النظر بين اللورد كيرزن وزير الخارجية ورئيس الوفد البريطاني الى المؤتمر، وعصمت أينونو وزير الخارجية و رئيس الوفد التركي اليه، تم عرض النزاع على لجنة خاصة منبثقة منالمؤتمر إعتباراً منيوم الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة 1923.

إن الحجج التي أثارها الطرفان أمام المؤتمر جاءت لصالح الواقع الكردي لولاية الموثل بأستثناء مدينة الموصل نفسها، وبعض أطراف الولاية. فمن بين الحجج التي شدد عليها عصمت أينونو بصورة خاصة ان النواب الكرد هم الذين متلوا الولاية في المجلس الوطني الكبير الذي أسسه الكماليون على إثر أنتصار حركتهم. أما بالنسبة لكركوك و توابعها بالتحديد فقد تقدم الطرفان بقائمتين إحصائيتين تثبت أينونو تحيزت صراحة الى جانب التركمان في تقديراتها، بينما تحيزت قائمة اللورد كيرزن الى جانب العرب بالنسبة للولاية عموماً، وهي كانت غير

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 215

موضوعية بالنسبة للکرد أيضاً, كما أن الحالتين تناقضان كلياً مع الارقام البريطانية والعثمانية السابقة الى حد كبير كما يبدو ذلك جلياً في ثنايا هذه الدراسة⁴⁷⁸, وفيما يأتي تفصيلات القائمين بالنسبة لكركوك وتوابعها:

-قائمة عصمن اينونو:

الکرد 97000

الترکمان 79000

العرب 8000⁴⁷⁹

2- قائمة اللورد كيرزن:

الکرد 45000

الترکمان 35000

العرب 1000

اليهود 1400⁴⁸⁰

لكن اللورد كيرزن لم ينكر الطابع الكردي للقسم الاعظم من ولاية الموصل, إلا إنه ركز بصورة خاصة على ضرورة الولاية بالنسبة للعراق

⁴⁷⁸ نعود الى تفصيلات ذلك في مبحث "كركوك وتوابعها في الاحصاءات الرسمية و غيرها".

⁴⁷⁹ British Foreign Office, Turkey No 1 (1923), ansanne Conference on Near Eastern Affairs 1922-1923, Record of Proceedings and Draft Terms of Peacemd . 1814 “, P.373.

⁴⁸⁰ Ibid, P.366.

216 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

من وجهتي نظر سوقية (استراتيجية) و إقتصادية⁴⁸¹ بينما إنصب إهتمام الكماليين, وقلقهم على الجانب القومي الكردية للولاية أساساً⁴⁸², فألتقى الطرفان عند هذه النقطة الحيوية- نقطة كردية معظم الولاية, ولكن من منطلقين متناقضين تماماً, ومن أجل هدفين متباينين كلياً. إنتهى مؤتمر لوزان بالتوقيع معاهدة بين الحلفاء وتركيا يوم الرابع والعشرين من تموز 1923 من دون التوصل الى حل لمشكلة الموصل. لكن الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان نصت على ان يعين خط الحدود " بترتيب بين تركيا وبريطانيا العظمى خلال الاشهر التسعة فيرفع النزاع الى مجلس عصبة الامم"⁴⁸³.

حاول الطرفان, بريكانيا وتركيا, إيجاد حل لنزاعهما حول ولاية الموصل في غضون الاشهر التسعة التي حددتها معاهدة لوزان, فعقدتا مؤتمراً في القسطنطينية في ايار 1924 أثار فيه الجانب التركي من جديد موضوع النواب الكرد الذين يمثلون ولاية الموصل في المجلس الوطني الكبير, بما فيها كركوك. لم يسفر مؤتمر القسطنطينية بدوره عن نتيجة, وحين إنتهت مدة التسعة أشهر المقررة يوم الخامس من حزيران 1924 دون التوصل الى إتفاق باشر الجانب البريطاني ذلك

⁴⁸¹ Ibid,P.359.

⁴⁸² " The Contemporary Review ", Vol.CXXLLL, June 1928,PP.386-387.

⁴⁸³ الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل , الطبعة الاولى, ص38.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 217

النزاع على العصبة الامم كما كان مقررأ في لوزان. على أثر ذلك الفت العصبة لجنة خاصة لدراسة النزاع, وإعداد تقرير مفصل عنه حتى يتسنى للعصبة إتخاذ قرار محدد في ضوءه. روعي في تأليف اللجنة, التي أذيعت أسماء أعضائهم يوم الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة 1924, التوازن من وجهة نظر دولية وذل بأن أختير أحد أعضائها من بلجيكا حليفة بريطانيا في الحرب العالمية الاولى, والآخر من المجر حليفة تركيا فيها, والثالث من السويد المحايدة, وقد أختير الاخير رئيساً للجنة.

وصلت اللجنة الى العراق في السادس عشر من كانون الثاني 1925, وبشرت أعمالها في ولاية الموصل إعتباراً من السابع والعشرين منه, يوم وصولها مدينة الموصل وانتقلت اللجنة الى أربيل و كركوك والسليمانية وبعض توابع هذه المدن, وإستمرت تحقيقاتها داخلالولاية لغاية نهاية أذار 1925, ثم رجعت الى جنيف لاعداد تقريرها.

هناك مجموعة من النقاط الجوهرية بالنسبة لموضوع دراستنا ينبغي التوقف عندها بصورة خاصة. فقبل كل شئ أن الجانب البريطاني لم يعر رغبات الكرد وطموحاتهم القومية إهتماماً يذكر فقد أخبر لجنة التحقيق مقدماً بان الاكثرية الساحقة من الكرد بين الجميع, "ساذجة لاتستطيع التعبير عن أرائها"⁴⁸⁴ مع العلم إن أدموندس, الذي

⁴⁸⁴ League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq by the Commission instituted by the Commission instituted by the Council Resolution of September 30, 1924, "Lausanne, 1925, P. 16.

218 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

رافق اللجنة الى السليمانية يؤكد ان أعضاءها إنذهلوا حين سمعوا أجوبة من إستجوبوا هناك على الاسئلة التي وجهت اليهم "اقتصادية كانت أم سياسية", كما لاحظوا الشئ نفسه بالنسبة لكرد كفري⁴⁸⁵.
ومن أجل توضيح الموضوع أكثر تحيل القارئ الى المحاور العميقة التي جرت بين الملا محمد الكويي (الملا الكبير) وبين أعضاء اللجنة غي أربيل المنشورة في "مجلة المجمع العلمي العراقي"⁴⁸⁶ والتي دفعت رئيس اللجنة الى القول "إن هذا الانسان يليق بان يكون عضواً في محكمة العدل بلاهاي وإن لم يكن حائزاً على أي شهادة رسمية جامعية".
من المنطلق نفسه بذل البريطانيون كل ما في وسعهم من أجل أن يحولوا دون إتصال أعضاء اللجنة بالمثلين الحقيقيين للكرد. وفي المقدمة منهم الشيخ محمود الذي حرر, مع ذلك مضبطة نسخاً منها الى الموصل وأربيل وكركوك بامل إيصالها الى اللجنة⁴⁸⁷ وحين جاء أعضاء اللجنة الى السليمانية تحت حراسة مشددة متألف من "جنود بريطانيين و

⁴⁸⁵ C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,PP.420,422.

في الترجمة العربية: ص 376,374.

⁴⁸⁶ "مجلة المجمع العراقي. الهيئة الكردية", المجلد الثاني عشر, 1985 ص 420.

.422

⁴⁸⁷ Public Record Office, Air,23/190,Part II,XM/4583,summary of Intelligence Service Officer Sulaimani for the peod ending 21st February 1925,Secret.

كركوك و تواجعها حكم التاريخ و الضمير 219

شرطة عراقية مع خمس طائرات محلقة فوقهم⁴⁸⁸ حاول الشيخ عبثاً إشعارها بوجوده عن طريق أشعال النيران فوق قمم جبل گویزه المطلّة على المدينة، ويفتح النيران على ضواحي المدينة، مما عرقل وصول اللجنة اليها كما تؤكد ذلك التقارير الاستخبارية البريطانية⁴⁸⁹.

على الرغم من ذلك ان جميع من إستجوبوا من كرد الولاية وبضمنهم كرد كركوك وتواجعها، أكدوا في ردودهم ضرورة ضمان حقوق شعبهم القومية. وبالنسبة لكركوك تحديداً توصلت اللجنة الى إستنتاجات لها مغزاها الكبير بالنسبة لما نحن بصدد معالجته هنا، إقتنع عضوها البلجيكي پاولس، الذي وقعت على عاتق مهمة تقصي الحقائق وتواجعها، وأمضى فيهما أسبوعين كاملين، بانه⁴⁹⁰ "إذا كان الجزء السائد من سكان المدينة تركاً فان الاغلبية الساحقة من سكان اللواء هم كرد".

وقد أكد تقرير اللجنة، وحجج الطرفين التركي والبريطاني المقدمة لها، الحقيقة نفسها، والتي لا تختلف في الواقع عمت قدمها في مؤتمر لوزان، وقد سبق أن أشرنا الى تفصيلاتها المحددة في مدخل هذا المبحث. لكن تقرير اللجنة أضاف الى ذلك الحقائق الاتية التي يجب أن تؤخذ بنظر

⁴⁸⁸ عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، س

.374,376

⁴⁸⁹ Public Record Office,Air,23/190,Part

II,XLM/4583,Aviation,Baghdad,23/2,Y/3335,Secret.

⁴⁹⁰ C.J.Edmonds,Kurds,turks and Arabs,P.416.

في الترجمة العربية: ص371.

220 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الاعتبار بصورة جديدة لانها اعتمدت في إعداد تقريرها على دراسة ميدانية دقيقة ثم السفر بالسيارة، وبالطيارة، بل وسراً على الاقدام وعلى خرائط العرب القديمة، والخرائط الاوروبية، وعلى مؤلفات الاقدمين، والسالنامات العثمانية، وكتب الرحال وكتب الجغرافية لمدارس مصر الثانوية وغيرها⁴⁹¹ :

-إن الكرد يؤلفون العنصر الغالب في جميع الاراضي المنتاز عليها، ويتركز العرب على ضفاف دجلة، وفي مدينة الموصل⁴⁹² .

-إن الجماعات الوحيدة المتماسكة التي تسكن مناطق واسعة من ولاية الموصل هم الكرد والعرب، والخط الذي يفصل بين الجنسين هو نهر دجلة حتى التقائه بالزاب الصغير، ثم جنوب طريق كركوك-كفري⁴⁹³ .

-إذا عدت "الحجة العنصرية عاملاً حاسماً" لحل المشكلة حينئذ "يجب إقامة دولة كردية مستقلة"، الرأي الذي أبدت معظم المناطق الكردية تمسكها به⁴⁹⁴ .

⁴⁹¹ " The Near East and India "، Vol,XXVIII,No.745, August 20,1925,PP.217-218.

⁴⁹² " League of Nations ,Question of the frontier between Turkey and Iraq .. "،PP.54-55.

⁴⁹³ Ibid,PP.86-87.

⁴⁹⁴ Ibid,PP.57,77,89.

من الجدير بالذكر ان الدكتور فاضل حسين ثبت معظم هذه الحقائق نصاً أو مضموناً في أطروحته باللغة الانكليزية، وفي الطبعة العربية الاولى من كتابه المطبوع

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 221

بينت اللجنة ان الكرد حيثما إلتقت بهم أكدوا ضرورة ضمان حقوقهم القومية في حال ضم الولاية الى العراق، وإلا ان الكرد لا يرغبون في العيش في تركيا "كما ثبت ذلك بثوراتهم". وفي ضوء المقارنة بين الحالتين أصرت اللجنة على ضرورة تقديم ضمانات كافية بخصوص حماية حقوق الكرد القومية، وتمديد مدة الانتداب البريطاني على العراق في حال ضم الولاية إليه، وبعبكس ذلك إرتأت ضمها الى تركيا لأنها "تتمتع بأحوال داخلية، ووضع سياسي أكثر إستقراراً من العراق بكثير"⁴⁹⁵.

هنالك جوانب أخرى من مشكلة الموصل، وإفرازاتها تستحق التوقف عندها في إطار علاقتها بكركوك وتواجها. فقبل كل شئ إن المشكلة أثارها نقاشاً مطولاً داخل أروقة المجلس التأسيسي العراقي بوصفه أول سلطة تشريعية في البلاد، والذي كان ممثلوا كركوك فيه من الكرد قاطبة باستثناء أسحق؟؟؟ الذي كان يمثل جميع يهود ولاية الموصل فيه. في الجلسة العشرين للمجلس، المنعقدة يوم الثلاثاء الموافق للثالث من حزيران عام 1924، عبر ممثل بغداد الشيخ أحمد الدواد، الذي أبدى نشاطاً كبيراً للدفاع عن حق العراق في ولاية الموصل، عبر عن رغبته في:

في بغداد في العهد الملكي، فيما حذف الرقيب مقاطع مهمة من الكتاب في طبعاته اللاحقة.

⁴⁹⁵ Ibid, PP.88-89.

222 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"أن يشاركنا بقرارنا نواب أربيل وكركوك، ولا يتخلوا عنا في هذا اليوم العصيب" في "الدفاع السياسي عن الموصل"⁴⁹⁶.

تجاوزت مداخلات أعضاء المجلس التأسيسي هذا الاقرار الضمني من قومي عربي بكردية كركوك وتوابعها الى حد كبير، ففي الجلسة نفسها ذكر ممثل الموصل امجد العمري إنه حين يتحدث عن الموصل لا يقصد بها فقط مدينة الموصل، بل أيضاً "كركوك واربيل والسليمانية وسائر الاقضية الكردية"⁴⁹⁷. وفي الجلسة الثالثة والعشرين المنعقدة بتاريخ التاسع من حزيران 1924 دعا وزير الداخلية، ممثل الموصل في المجلس أيضاً، علي جومت الايوبي، وهو من كبار ساسة العهد الملكي⁴⁹⁸، دعا الى "تقوية المركز العراقي في مفاوضات الحدود، وإن وجود مندوبي (مدينة) الموصل وكردستان مما يتطلب تقوية ذلك المركز"⁴⁹⁹، وهذا

⁴⁹⁶ "الحكومة العراقية . وزارة الداخلية. مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي لسنة 1924م-1343هـ"، بغداد، بلا، ص 352.

⁴⁹⁷ المصدر نفسه، ص 344.

⁴⁹⁸ علي جودت الايوبي (1886-1969) من مواليد مدينة الموصل. خريج المدرسة (الكلية) العسكرية باستانبول سنة 1906، عروبي النزعة، إشتراك في الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، إشتراك في حكومة الملك فيصل في سوريا، مثل الموصل في البرلمان العراقي مراراً، منذ العام 1930 إشتراك في تأليف عدد من أهم الوزارات، رئيس للديوان الملكي 1933، رئيس وزراء أكثر من مرة، سفير للعراق في فرنسا و الولايات المتحدة الامريكية وغيرهما.

⁴⁹⁹ "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي..."، ص 393 .

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 223

يعني بوضوح إن الوزير لم يفصل سوى الموصل عن كردستان. والاهم من كل ذلك هو ان مندوبي كركوك وأربيل وحدهم, من بين جميع مندوبي المناطق الكردية قدموا مذكرة خاصة الى المجلس أثناء مناقشته لمشكلة الوصل طالبوه فيها بضمان حقوق الكرد⁵⁰⁰.

وإثناء البت في مشكلة الموصل أثير موضوع التعليم باللغة الكردية أمام المجلس التأسيسي بروح إتسمت بقدر واضح من الديمقراطية⁵⁰¹, لم يفصل المجلس أثناءه كركوك وتوابعها عن كردستان, بل أكد حقائق مهمة إقراراً تاريخياً صريحة من لدن أول سلطة تشريعية عراقية. ففي جلسة المجلس السادس والعشرين المنعقدة يوم الاثنين الموافق للسادس عشر من حزيران 1924 تحدث أحد أبرز مؤسسي الدولة العراقية الحديثة, رئيس المجلس التأسيسي وممثل البصرة فيه عبدالمحسن السعدون عن هذا الموضوع المهم, وقال بالحرف الواحد:

"لايخفى على رفقائي أعضاء المجلس إن السبب الأكبر الذي أدى الى سقوط الحكومة العثمانية هو غمط المنافع الامم وحقوق الطوائف التي كانت تستظل بالرية العثمانية, فنحن إذا إتبعنا الطريقة التركية التي كانت تغمط حقوق الاقوام فنكون قد أخطأنا كما أخطأوا, فلذا أرى من اللازم والضروري أن نكون أحراراً ونعطي الحرية الى جميع العناصر-

⁵⁰⁰ المصدر نفسه, ص 342-344.

⁵⁰¹ يستثنى من ذلك موقف عدد قليل من أعضاء المجلس من أمثال جيب خيزران ممثل ديالى, و عمر الحاج علوان ممثل كربلاء, و داود الجليبي ممثل الموصل.

224 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

تصفيق- ولانكون حريصين أو بخلاء في إعطاء هذا الحق الى أهله, ولا يخفى إن في العراق عنصراً عظيماً, وهو العنصر الكردي, فأذا لم نعط العنصر الكردي حقه, وندع مدارس تدرس باللغة الكردية فقد تكون النتيجة غير حسنة.. فأتمنى من المجلس أن لا يبخل في إعطاء هذا الحق حتى تكون القلوب متحدة..⁵⁰².

وفي تعقيبه على أقوال عبدالمحسن السعدون, التي إستقبلت بالتصفيق من أعضاء المجلس, أوضح نائب الموصل أمجد العمري حقائق مهمة في ضوء تجاربه العملية, وإحتكاكه المباشر بالمنطق واهلها, إذ قال: " إن الطوائف المختلفة, سواء كانت من العنصر الكردي او من الطوائف غير المسلمة علينا أن نظاهرها, ؟؟ العنصر العربي إليها لتكون دولة العراق مرتبطة العناصر عم حب حميم لاكما كانت عليه الدولة التركية, وإذا أردنا أن نكسب مؤازرة إخواننا سكنه أربيل وكركوك و السليمانية فعلياً أن نساعدهم في هذه المسألة لان الطالب إذا أردنا أن ندرسه بلغة غير لغته الاصلية نجهله يتعب مرتين, مرة للغة وأخرى للدرس. وحينما كنت مدرساً في زمن الحكومة التركية بدار المعلمين كنت أدرس الحكمة الطبيعية (الفيزيك) وكنت أضطر الى أن أقرأ باللغة الكردية بواسطة طالب إنتخبه من بين الذين يجيدون اللغتين التركية (لغة التدريس) والكردية لان العلم الذي كنت أدرسه علم دقيق, وقد إطلعت بنتيجة تجارب عديدة بان أسهل طريقة لتعليم المرء العلم

⁵⁰² "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي ..", ص 517-518.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 225

تدرسه بلغته، فيجب أن لا نسير على منهج الحكومة العثمانية، ويجب علينا أن نجلب قلوب الاكراد". وأضاف "كما إنني أعتقد أنهم سوف يتعلمون اللغة العربية لانهم يحبونها، ويعرفون مزاياها، وكذلك لا يمكن أن ندرس في كركوك الهندسة باللغة العربية لان هذه البلاد العراقية لابد لها من أن تتمسك بالمحبة والالفة لا بالقوة والضغط والحجر على اللغات"⁵⁰³.

أما نائب بغداد المتنور يوسف غنيمة فقد عد الاعتراف بالكردية لغة رسمية بصورة قانونية شرطاً من شروط ضمان "الحرية العامة" خصوصاً "ونحن نريد أن نؤسس حكومة ديمقراطية"⁵⁰⁴.
رداً على ما قيل في تلك الجلسة من جلسات المجلس التأسيسي العراقي، وتعبيراً عن مشاعر الكرد وخواطرهم، القى ممثل أربيل في المجلس الملا محمد كويي كلمة قصيرة استقبلت بتصفيق الحضور، نقل أدناه نصها لاهميتها:

"لقد علمنا قيمة الموصل بملحقاتها، وقد وضعت في كفة والمعاهدة"⁵⁰⁵ في كفة أخرى، ومعلوم لديكم ان العنصر الكردي لا يعد من

⁵⁰³ المصدر نفسه، ص 518-519.

⁵⁰⁴ المصدر نفسه، ص 517.

⁵⁰⁵ يقصد أول معاهدة عقدت بين العراق وبريطانيا في العام 1922، والتي ارتبط موضوع التصديق عليها وإبرامها بمشكلة الموصل، وبأفرازات القضية الكردية بصورة مباشرة.

226 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الاقليات، وقد شاهدتم أن؟؟ الاكراد إشتكوا عند الرئيس، وعند حضراتكم بسبب عدم فهمهم اللغة العربية جيداً، وكثيراً من المطالب التي دارت في خلد الكردي بقيت غير مفهومة لانه لم يستطيع التصريح بها، فتلتبس من العرب إخواننا ان يحترمونا كما نحترمهم- تصفيق- وهذه الفكرة هي أن بقا القومية ببقاء لسانها. يعلم الكردي أكثر من كل الشعوب بان اللغة العربية من الاهمية بمكان، عظيم لانها تتعلق بأساس الديانة، وهي لغة شريفة، ولايمكن أن تعدد مزاياها، ولكن للغة الكردية قيمة أيضاً، وإنما (سبب) عدم إشتهارتها هو عدم تقدم الكردي، وكما قال الحاج قادر⁵⁰⁶ ان البلاغة والفصاحة في الكردية تشب ما في العربية، ولكن عدم تقدم الاكراد هو الذي جعلها بغير أساس، فنرجو منكم أن تساعدونا في هذ المادة الروحية، إذ لايمكن أن يضمحل قوم إلا بأضحلال لسانه، وإن رابطتنا القديمة ستبقى الى يوم يبعثون"⁵⁰⁷.

ومن المفيد أن نشير الى أن السياسي العراقي المعروف حسين جميل نقل لما دار في الجلسة السادسة والعشرين للمجلس التأسيسي بوصفه "شهادة سياسية" عن "الحقوق القومية للاكراد وحقهم في التدريس

⁵⁰⁶ من أبرز شعراء الكرد المجددين، ولد بكويسنجق وتوفي بأستانبول سنة 1897، عرف بروحه القومية الجياشة، وبعنايته الفائقة بلغة قومه، يشبهه الباحثون بالشاعر التركي المعروف نامق كمال.

⁵⁰⁷ "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي .."، ص 519.

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 227

بالكردية في مدارسهم⁵⁰⁸. في السياق نفسه تبقى نقطة مهمة اخرى جديرة بالتمحن والتقويم في إطاره التاريخي الصحيح, وهي أن الكرد أدو دوراً حاسماً في تقرير مصير ولاية الموصل لصالح العراق. ينطبق هذا القول على كرد كركوك و توابعها⁵⁰⁹, الامر الذي يطوي على مغزى عميق, خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار إن أقوى مقاومة لضم الولاية الى العراق جرت في كركوك تحديداً, بل إن اللجنة نفسها فوجئت بان عدأ كبيراً من عرب توابع كركوك صوتوا الى جانب الانضمام الى تركيا⁵¹⁰, كما إن أسراً عربية عريقة في مدينة الموصل وقفت الى جانب تركيا صراحة في عز أيام الصراع المصيري الدائر على الساحة بصدد المشكلة.

وفي سياق موقف الكرد نرى من الضروري أن نشير أيضاً الى ان عدداً من مثقفي كردستان أسسوا "الجمعية الكردية" التي تمتعت بتأييد الاوساط المساءة من سياسة الكماليين الشوفينية تجاه الكرد عموماً. رفع المركز العام للجمعية مذكرة مطولة برقم 719 وتاريخ الاول من تشرين الاول 1924 "الى مجلس عصبة الامم" وردت فيها معلومات تدحضن إدعاءات الجانب التركي وحججه بصدد العلاقات القومية

⁵⁰⁸ حسن جميل, العراق. شهادة سياسية 1908-1930, دار اللام لندن, 1987,

ص 142-143.

⁵⁰⁹ عن ذلك يروي لنا آدموندس, وهو شاهد عيان مهم, أمثلة معبرة . ينظر:

C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,PP.282, 109,416-417,420.

⁵¹⁰ الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 120.

228 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

واللغوية بين الكرد والترك، الامر الذي راهنت عليه كثيراً من أجل إقناع المحافل الدولية وعصبة الامم للموافقة على ضم ولاية الموصل اليها، ما يبدو واضحاً في ثنايا تقرير اللجنة و وثائق العصبة ومؤتمر لوزان. ورد في المذكرة، التي أولتها الاوساط السياسية والصحافة العراقية اهتماماً كبيراً ما يأتي:

"في الزمن الذي يدعى مجلس عصبة الامم الى البت في عصبة ولاية الموصل نهائياً ترى الجمعية الكردية من واجبها ان توصل لكم صوت تلك البلاد النائية، وإن كان هذا الصوت ضعيفاً لايسمع في العالم المتمدون. إن جمعيتنا قامت في وجه الاتراك المطالبين بحاكميتهم على بلاد تحررت أخيراً من مظالمهم، ولم تنزل قائمة بوجههم، فهي لكونها تأسست للدفاع عم منافع القوم الكردي تعارض شديداً مطالب حكومة أنقرة في إمتلاكها الموصل³ لان أكثرية سكان هذا الولاية أكراد.. إن اقوى مبدأ تمسك حكومة أنقرة لتبرير مطالبتها في ولاية الموصل هو إشتراك الترك والكرد في الدين والحرف والعرق، والحقيقة ان هذه (الادعاءات) لم تجد قبولاً، وتصديقاً لدى الكرد لان الكرد يعلمون إنه ليس لهم من صلة بالترك من حيث المنشأ واللغة، ولانهم مستقلين عن العرق التركي و لغته.. وإعادة الادارة التركية على الموصل تكون جريمة مشهودة على حقوق الامم بوجه عام، ومضرة بحقوق الاكراد بوجه خاص، أولئك الاكراد الذين لهم حق الحياة المختارة، فارجاع الموصل الى الاتراك يفضي حتماً الى إختلافات مستمرة تجعلها عرضة لاسوأ العواقب. نحن ويطيدو الامل بأن عصبة الامم المثلة بمجلسها لاتذهب لاتذهب مذهب الشطط، وتتباعد

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 229

عن مبادئ الحق والعدل التي هي قوتها الحقيقية، بل ترفض بصورة قطعية مطالب الاتراك.. وهذا التدبير هو الذي يضع حداً نهائياً الى مطامع الاتراك، فيخلص الموصل ذات الصبغة الكردية الظاهرة من الادارة التركية المشؤومة، فالعصبة الكردية تتشرف بتقديم هذه المذكرة الى أنظار الهيئة العادلة، والقاضية بالحق بين الامم لتبين لها حالة الاكراذ المحزنة، والمنبعثة من رضوخهم الى الادارة التركية، ونأمل ان تتمكن عصبة الامم من إتخاذ التدابير الضامنة لحياة حرة، وإنكشاف سريع لقوم مظلوم كالشعب الكردي، وبهذه الصورة ربما يملأ الفراغ الذي أحدثته معاهدة لوزان عن قصد بتجاهلها المسألة الكردية. فبأسم العدالة، وبأسم حقوق الشعوب المقدسة، وبأسم المدينة تطلب الجمعية الكردية مساعدة محكمة العدل الكبرى عبي تحسين حالة شعب منسي، ومهجوس بحكم القوة حتى إذا إكتسب حريته الشرق الادنى..".

أحدثت هذه المذكرة صدى كبيراً في الوسط السياسي العراقي ولاسيما بين الجماعات القومية العربية التي رأت فيها دليلاً دافعاً لدحض جميع إدعاءات الجانب التركي. فقد نشرت صحيفة "الاستقلال" التي كان يديرها عبدالغفور البدري، ويرأس تحريرها قاسم العلوي، نصها في مكان بارز⁵¹¹. ونشرت صحيفة "العالم العربي" الواسعة الانتشار نصها أيضاً⁵¹², كما إعتد الدكتور فاضل حسين في دراسته الاكاديمية عن

⁵¹¹ "الاستقلال" (جريدة)، بغداد، العدد 556، 8 شباط 1925.

⁵¹² "العالم العربي"، 14 آذار 1925.

230 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

مشكلة الموصل على المضمون العام للمذكرة لتحديد موقف الكرد في العراق من الموضوع⁵¹³. أما "حزب الأمة" فقد إختار المذكرة ملحقاً لتقريره "عن قضية الموصل" الذي رفعته "الهيئة المركزية للحزب الى لجنة الحدود التي إنتدبتها عصبة الأمم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق وتركيا", ذلك الحزب الذي أسسه عدد من القوميين العرب للدفاع عن "حق العراق في ولاية الموصل" من أمثال ناجي السويدي و المحامي محمد علي محمود و المحامي علي محمود الشيخ علي و المحامي إبراهيم ناجي و غيرهم⁵¹⁴. وقد أكد الحزب أهمية مذكرة "الجمعية الكردية" بصورة خاصة⁵¹⁵, والتي تضمنت إحصاء عن ولاية الموصل يبين بوضوح الطابع الكردي لكركوك وتوابعها, الموضوع الذي نعود الى تفصيلاته في المبحث الخاص بكركوك وتوابعها في الاحصاءات الرسمية وغيرها.

وبالمناسبة نرى من الضروري أن نشير الى أن المحامي يوسف الحاج الياس, وهو من مؤسسي "حزب الأمة" كما نوهنا, والذي تحول فيما بعد الى أحد أقطاب "الحزب الوطني الديمقراطي" النشطين, يؤكد إن القوميين العرب لم يكونوا في الواقع في مستوى فهم أبعاد القضية

⁵¹³ الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 229-230.

⁵¹⁴ "تقرير حزب الأمة عن قضية الموصل, مطبعة دار السلام, بغداد, 1343هـ -

1925م, الملحق رقم 1, ص أھ.

⁵¹⁵ المصدر نفسه, ص 23.

كركوك و تواجدها حكم التاريخ و الضمير 231

الكردية كما ينبغي حتى في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ العراق، إذ لم يتجاوز موقفهم حدود رفع شعارات عاطفية مرحلية، فيما تبني العديد من مؤسسي "حزب الأمة" فيما بعد مواقف شوفينية متعصبة تجاه الكرد و حقوقهم المشروعة⁵¹⁶.

وفي خضم الصراع على مصير ولاية الموصل إتخذ الكرد مواقف أخرى غير قليلة إنصب كلها في صالح العراق، فان كرد كركوك والسليمانية، و "جميع العشائر الكردية القاطنة في ولاية الموصل"، أهالي "300 قرية في الجبال الشاهقة التابعة لرواندوز التي كانت من القديم مركزاً لامارة كردية استولى عليها الاتراك قبل سبعين سنة"، و "معشر اكراد عقرة"، و "مشائخ دهوك والعمادية"، و "علمدار زاده عبدالرحمن عن الكركوكليين"، و "فرع جمعية الدفاع في زاخو"، وفرعه الاخر في دهوك، وأعيان أربيل وغيرهم رفعوا عشرات البرقيات والمضابط الى أعضاء لجنة التحقيق، أو الى عصابة الامم مباشرة يؤكدون فيها رغبتهم في أن يعيشوا ضمن العراق مادام "قانونه الاساسي يضمن حقوقهم القومية"⁵¹⁷.

⁵¹⁶ مقابلة مع المحامي يوسف الحاج الياس بتاريخ 15 ايار 1995.

⁵¹⁷ "العالم العربي"، 25 و26 تشرين الاول و تشرين الثاني 1924 وغيرها، "الاستقلال"، 26 تشرين الاول 1924 و 19 و 27 شباط و 3 و 9 و 24 اذار وغيرها.

232 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

ومن الجدير بالذكر أن صحف بغداد نشرت صور بعض تلك البرقيات والمضابط أكثر من مرة من اجل النظر اليها بوصفها أدلة معبرة في صالح العراق⁵¹⁸.

وفي السياق نفسه نشر القاضي والبرلماني والمثقف والوجه الاجتماعي الكردي البارز معروف جياوك، وكان من أشد المتحمسين للاسلام، وللأخوة العربية الكردية، سلسلة مقالات حول الموضوع نفسه على صفحات "المفيد" التي أصدرها ببغداد إبراهيم حلمي العمر، و "اندفعت في مسيرة الحركة الوطنية أندفاعاً مدهشاً"⁵¹⁹. دحض جياوك في سلسلة مقالاته التي إختار لها عنوان "الأكراد وحدود العراق" حجج الكماليين بقوة، وجلب "أنظار أعضاء لجنة التحقيق الى قضايا إجتماعية و إقتصادية و سياسية تاريخية مهمة"⁵²⁰، مما دفع صاحب "مطبعة الاستقلال" البغدادية الى الاسراع في جمع تلك المقالات في كتاب يحمل عنوان "القضية الكردية"، ونشره على نفقة مطبعته⁵²¹.

⁵¹⁸ تنظر على سبيل المثال البرقية المطولة من "رواندوز مركز الامانة الكردية" في عددي 573 و 581 من جريدة "الاستقلال" لصاحبها عبدالغفور البديري، الصادرتين في 27 شباط و 19 اذار 1925.

⁵¹⁹ عبدالرزاق الحسني، تأريخ الصحافة العراقية، ص 86.

⁵²⁰ جياوك الكردي، القضية الكردية، بغداد، 1925، ص 26-66.

⁵²¹ ينظر غلاف المصدر نفسه.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 233

وجد موقف الكرد هذا صدى ملموساً له خارج العراق أيضاً، وباتجاه من شأنه أن يساعد على إضعاف موقف تركيا، فعلى حد معلوماتنا أولته الصحافة الاجليزية، وكذا العربية غير العراقية قدراً واضحاً من الاهتمام. إن ماورد في صحيفة المقطم المصرية في مقالها المعنون "الاکراد والعراق" يوضح المقصود هنا، إذ قالت فيه:

"لم يقع تبدل مسألة الموصل سوى ما وافتنا به رويتر أخيراً من أن زعماء الكرد ووجهاءهم في هذه الولاية أرسلوا الى جمعية الامم بأسم جميع العشائر الكردية إحتجاجاً شديداً على دعوى الترك قائلين إنه لاحق لهم بولاية الموصل لا من الوجهة الاقتصادية ولا من الوجهة الجنسية .. وكيفما كان الحال فان في هذا الإحتجاج المرسل من جميع القبائل الكردية ما يضعف الحجة التركية القائلة علة تمسك الكرد بالترك، ونفورهم من الحكم العراقي، ويؤثر تأثيراً كبيراً في سير هذه القضية، لان الكرد يؤلفون القسم الأكبر من سكان هذه الولاية، فهم معظم أبناء الشمال، كما أن العرب يؤلفون معظم سكان الجنوب والغرب، وماللتك إلا أقلية صغيرة ضئيلة لا يحسب حسابها، ولايقام لها وزن في تقرير المصير، فالأمم تحكم برأي الاكثرية لا الاقلية على التفاهم والاتفاق بين عرب العراق وكرده الذين عاشوا السنين الطوال وهم على خير ما يكون من الوفاق والوئام"⁵²².

⁵²² مقتبس في: "العالم العربي"، العدد 194، 8 تشرين الثاني 1924، ص2.

234 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

أما أخطر موقف كردي أدى دوراً حاسماً في تقرير و مصير ولاية الموصل فيمكن في الانتفاضة الواسعة التي إنفجرت في كردستان تركيا بقيادة الشيخ سعيد بيران والمثقفين البدرخانيين والشمزيين والدكتور فؤاد في شباط 1925⁵²³ , إن هذه الانتفاضة كانت تعني, بكل بساطة, إن تركيا الكمالية مرفوضة في أعين الكرد بدوافع قومية ودينية, مما ترك تأثيراً واضحاً على الرأي العام العالمي, ولاسيما إن الصحافة الغربية أولت أسبابها و وقائعها ونتائجها اهتماماً كبيراً⁵²⁴ وكان أمراً طبيعياً أن ينعكس ذلك بقوة على آراء لجنة التحقيق وداخل أروقة عصبة الامم, خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار حقيقة إن اللجنة باشرت توأ باعداد تقريرها لمجلس العصبة وللإستدلال أكثر على ما نقول نورد أقوال ليوبولد إييري, وزير المستعمرات و مندوب بريطانيا لدى مجلس العصبة, بهذا الخصوص, فقد قال أمام المجلس, وفي ذروة النقاش الدائر حول مصير الولاية مانصه:

"عن البيان التركي أكد بصورة خاصة, من أوله الى آخره, على الفرضية القائلة إنه مادام هناك عدد كبير من الاكراد في تركيا, فيجب

⁵²³ للتفصيل عن الانتفاضة ينظر: كمال مظهر , إنتفاضة عام 1925 الكردية في تركيا. دراسة تحليلية, الطبعة الثانية و كاوا للنشر والتوزيع, بيروت, 2001.

⁵²⁴ تنظر على سبيل المثال:

" The Times “, February 28, March 5, April 1, 7, 9, 13, 16, 28, May 29, August 25, November 26, 1925, “ Survey of International Affairs 1925 “, Vol.I, PP.508-510,” The Near East and India “, August 13, 27, 1925.

مُرحوكُ و توابعها حكم التاريخ و الضمير 235

إعتبار أكراد العراق راغبين بالعودة الى تركيا، ورجى المجلس أن يقدر ماإذا كانت الثورة الكردية في تركيا تشجع الاكراد خارج تركيا على الرغبة في الخضوع للحكم التركي، وعلى إبداء عواطفهم مع الحكومة التركية ضد الشعب من جنسهم الخاص⁵²⁵.

من هنا فأن الدكتور فاضل حسين، المتخصص الاول في تأريخ مشكلة الموصل، يبدو على حق تماماً حين يحدد تأثير الانتفاضة في كردستان تركيا على تقرير مصير ولاية الموصل هكذا:

"وقد إعتبرت (الثورة) الكردية حادثة مشؤومة لتركيا في الوقت الذي كان يقرر فيه مصير ولاية الموصل ذات الاكثية الكردية"⁵²⁶.

إهتمت الصحافة العراقية باحداث الانتفاضة في كردستان تركيا، فنشرت تفصيلات أخبارها أولاً بأول، وفي صدر صفحاً، الاولى، أو في اماكن بارزة من صفحاتها الاخرى⁵²⁷، فقد إتخذت حجة إضافية لتأكيد ضرورة إعطاء ولاية الموصل للعراق⁵²⁸. إستغناء الصحافة الغربية بدورها الانتفاضة لترويج فكرة ضم الولاية الى العراق⁵²⁹ دفع كرد

⁵²⁵ مقتبس في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص 155.

⁵²⁶ المصدر نفسه، ص 313.

⁵²⁷ إعداد "العالم العربي " و "الاستقلال" و "العراق" و المفيد "وغيرها طامخة

بالاخبار والتعليقات والمقالات عن إنتفاضة العام 1925 في كردستان تركيا.

⁵²⁸ ينظر على سبيل المثال في: "العراق"، "11 آب 1925.

⁵²⁹ عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص

236 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

تركيا ثمن موقفهم هذا غالباً، فقد عد مصطفى كمال إنتفاضة الشيخ سعيد طعنة بخلاء وجهت اليه من الخلف في واحدة من أخرج لحظات تأريخ نظامه، مما دفعه أن يصيب جام غضبه عليهم بعد أن كان أول زعيم ثوري يعترف بحق الكرد في الحكم الذاتي في كانون الثاني 1923، ورد نصه في وثيقة رسمية نشرت مجلة "نحو العام الفين" التركية صورتها في العام 1988⁵³⁰. لكن من سخرية القدر ان تحور هذه الحقيقة الى شماتة ساذجة متداولة على الالسن يوصم بها كرد العراق اليوم من أناس يقارنون "فردوسهم هنا بجحيم إخوتهم هناك مع إصرار عجيب على جهل مطبق بالتأريخ. ومن المفيد ان نشير بهذه المناسبة أيضاً الى أن مصطلح "أتراك الجبال" بدأ يظهر بين الاوساط الشوفينية التركية بعد إنتفاضة الكرد بقيادة الشيخ سعيد في العام 1925، هذا المصطلح الغريب عن روح العصر، والذي عبر العديد من المؤلفين والمتقنين العرب الكرد به مراراً وتكراراً حتى الان، ولايستبعد أن يستمروا على ذلك حتى يوم الدين.

ولابد أن نشير أيضاً، ونحن بصدد معالجة هذا الموضوع إن إنتفاضة الشيخ سعيد أثارت حفيظة تركمان كركوك وتوابعها بقوة بحكم أعجابهم الشديد بمصطفى كمال أتاتورك بوصفه زعيماً وطنياً، كما اثار

⁵³⁰ 2000 Dogru Dergisi، Sayi 46,6.XI.1988,

الدكتور إبراهيم داقوق، أكرد الدولة العثمانية، "المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية"، تونس، العدد الخامس والسادس فيفري 1992، ص 194.

كردكرد و توابجها حكم التاريخ و الضمير 237

اسلوب قمعها حفيظة كرد العراق بقوة، فتحول الامران الى أول عامل مؤثر سلباً على العلاقات الطيبة التي كانت تسود الطرفين الى ذلك الحين.

كان بوسع الشيخ محمود وأنصاره أن يثيروا في كردستان العراق إنتفاضة مشابهة لتلك التي شهدتها كردستان تركيا في أخرج أيام البت في مشكلة الموصل، إلا أن جهود الشيخ محمود إقتصرت على محاولات سلمية إستهدفت ضمان الحقوق القومية لكرد في ظل الظروف الذي إستجد نتيجة تدويل النزاع حول مصير ولاية الموصل، وقد سبق أن أشرنا الى مواقف الشيخ في هذا المضمار، ونضيف الى ما ذكرناه بهذا الصدد ان الشيخ قادر، أخ الشيخ محمود، وعدداً من أبرز أعوان الشيخ كانوا من بين من إستجوبتهم لجنة التحقيق في السليمانية، فكانوا، حسب رواية شاهد عيان، "ممثلين بروح النضال، فالامر بالنسبة لهم لم يكن قبولاً ذليلاً لاستجواب مفروض، ولا أجوبة سرية عن سؤال ثانوي (petite question)، بل كان الأمر أخطر من هذا، فعقدوا العزم بجهرهم بسوء الحكم العثماني ورفضهم له في جلسة عامة للجنة.. أعلنوا فيها إصرارهم الا يخضعوا ثانية الى الاسياد الذين قاسوا منهم الامير"⁵³¹ يقوم أدموندس موقف الشيخ محمود من تحقيقات اللجنة هكذا:

⁵³¹ C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.413.

في الترجمة العربية: ص 369.

238 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

"كان الشيخ محمود أذكي، وأبعد نظراً من أن يظهر نفسه أثناء زيارة أعضاء اللجنة، فبقى بعيداً، وقرر هؤلاء من تلقاء أنفسهم إنه ليس من حسن اللياقة إستخدام نائر علي ليقدّم شهادة. هكذا إنتظر الشيخ حتى عادوا فواصل تكتيكة الحربي⁵³² .

ومن الضروري ان نشير هنا الى أن الشيخ محمود تبني موقفه هذا في وقت أثارت فيه مشكلة الموصل موضوع بنود معاهدة سيقر بالنسبة للقضية القومية الكردية. فقد أعاد مؤتمر نقابات العمال واللجنة الاستشارية في الشؤون الدولية لحزب العمال البريطاني الى الازهان "إن بريطانيا وافقت على تأسيس دولة كردية بمعاهدة سيقر⁵³³ . كما ان لجنة عصبة الامم نفسها لم تستطع ان تتجاهل بنود سيقر بهذا الخصوص، مما يضفي بعداً خاصاً على موقف القوى القومية الكردية من مشكلة الموصل. أصنف الى ذلك ان الدعاية التركية كانت قوية، ومؤثرة هي الاخرى منذ بداية إثارة المشكلة⁵³⁴ , لكنها عجزت، مع ذلك، في التأثير على موقف الراي العام الكردي إلا في حدود.

⁵³² Ibid,P.422.

في الترجمة العربية: ص 376.

⁵³³ مقتبس في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى ص 246.

.247

⁵³⁴ "The Near East and India " , Vol.XXII,No.604, December 7,1922,P.723.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 239

هكذا ادى الكرد, بمن فيهم كرد كركوك و تواجدها, حاسماً من جميع الواجه من أجل ضمان ضم ولاية الموصل الى العراق بدوافع مختلفة لم تكن مصالحهم آخرها قطعاً. لكن ذلك لم يقدر حق قدرة. يقول أدموندس, الذي كان من اكثر الناس إطلاعاً على دقائق ذلك الموقف, وأهميته في حسم الصراع من أجل الموصل:

"ان زيارة اللجنة أعطت زخماً شديداً للشعور الوطني الكردي الذي جرف في طريقه عدداً كبيراً من المستائين الذين كان أكثرنا تفاؤلاً يتوقع ووقوفهم الى جانب تركيا فأضاً بهذا الشعور يدفعهم الى المعسكر المعادي للترك ان الاستجابات الطويلة كادت كلها, وعلى حد سواء تكون ذات إتجاه قومي غلاب, لكنها لم تتخذ طابع الانفصال بصورة عامة.. وان كرد السليمانية وجهوا مايمكن وصفه بالضربة القاصمة في المعركة الدائرة للمحافظة على كيان العراق, وإنهم لعلى إدراك تام بما فعلوا, لكن ياترى هل ترتفع الحكومة العراقية الى مستوى الحدث فتتبنى سياسة كريمة, بعيدة النظر إزاء الكرد؟ ان التقرير اللجنة الخاصة التي عينتها الامم جاء الان مؤيد لاماني الكرد الذين... أنقذوا البلاد من تجزأة قتالة يوقفتهم الخالدة في السليمانية.. ان قادة الراي العام الكردي غدوا هكذا في خيلاء جيد مع انفسهم ومع الدولة التي شعروا بانهم أثبتوا (لها) أنهم ليسوا مجرد مواطنين أذلاء⁵³⁵.

⁵³⁵ C.J.Edmonds , Kurds, Turks and arabs,P.434.

240 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

حين نقوم موقف الكرد في الصراع التاريخي من أجل الموصل ينبغي أن نعيد الى الازهان موقف القوى العربية في العراق تجاه حقوقهم المشروعة، الموقف الذي إتسم بروح شوفينية، وتجاهل مقيت حتى في ذلك الظرف العصيب. فان أياً من الاحزاب و الجمعيات والهيئات التي ظهرت يومذاك للدفاع عن حق العراق في ولاية الموصل لم تشر في برامجها، أو في صحافتها ونشاطاتها الى حقوق الكرد وقضيتهم بأي شكل كان على الرغم من إعترافها على مضمض منها بان الكرد يؤلفون أكثرية سكان الولاية⁵³⁶. ولكن حتى بالنسبة للموضوع الاخير فان تلك الاوساط لم تتبن موقفاً موضوعياً. فعلى الرغم من الحماس الذي أبدته بالنسبة للمذكرة التي رفعتها "الجمعية الكردية" الى عصابة الامم، كما سبق أن نوهنا الى ذلك، إلا أنها أبدت إعتراضاً على الارقام الاحصائية التي وردت في المذكرة بالنسبة لعدد الكرد في الولاية، مع العلم أن الجمعية أستقت معلوماتها من السالنامات العثمانية. كما أن الرقم الذي ذكرته بالنسبة للكرد (450 ألف) كان أقل من الرقم الوارد في سجلات إحصاء النفوس العراقية لسنة 1922-1924 وهو 494007، فيما أن الرقم الذي ذكرته الجمعية بالنسبة للعرب (180 ألف) كان أكثر من الرقم الوارد

⁵³⁶ عن مناهجها ونشاطاتها ينظر في: عبدالرزاق الحسين، تأريخ الاحزاب السياسية العراقية، ص 70-86، الدكتور فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العراق 1921-1932، بغداد، 1978، ص 134-135، 141-155، "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل".

حُرُوكُهُ وَ تَوَابِعُهَا حَكْمُ التَّأْرِيخِ وَ الضَّمِيرِ 241

بالنسبة للعرب في الاحصاء نفسه وهو (166941). ومن الضروري أن نشير بالمناسبة الى أن لجنة عصابة الامم عدت الارقام الواردة في سجلات إحصاء النفوس العراقية لسنة 1922-1924 الادق، والافضل من بين جميع الارقام الاحصائية المقدمة لها من الاطراف المتنازعة، أو المذكورة في المصادر والمراجع المختلفة. مع ذلك فان "حزب الامة" حين نشر مذكرة الجمعية الكردية ضمن تقريره عن القضية الموصل سجلت عبارة يقول نصها "وهذا الاحصاء لايعتمد به حزب الامة" بعد المعلومات الاحصائية التي سجلتها الجمعية في مذكرتها مباشرة⁵³⁷.

حذت صحيفة "الاستقلال" حذو "حزب الامة" تماما⁵³⁸ بل أنها تمادت في موقفها الشوفيني بصورة من الصعب تصديقها نظراً لحراجة الموقف يومذاك، والحاجة الملحة الى جلب عواطف الكرد، وضمان تأييدهم لا إثارة حفيظتهم بصورة فظة، ؟؟؟ بعيد عن أبسط قواعد الموضوعية، أو الذوق على أقل تقدير ففي عددها المرقم 604 كتبت تقول:

"وليس سكان كردستان أمة، بل هم مجموعة قبائل فلغتهم غير موجودة، وكل قبيلة منهم تتكلم لهجة مختلفة".

قالت "الاستقلال" ماهو أمر من ذلك وأدهى، فقد تحدث بلغة الطورانيين ومنطقهم تماماً، وفي ذلك وجه من الغرابة يعجز الباحث

⁵³⁷ "تقرير حزب الامة عن القضية الموصل"، ملحق رقم 1، ص:ب.

⁵³⁸ "الاستقلال"، العدد 556، 8 شباط 1925، ص 3.

242 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

عن إيجاد أي تفسير منطقي له حتى فيما لو نظرنا إليه من زاوية التعالي الشوفيني الذي يسيطر على عقلية القوميين المتعصبين. تساءلت "الاستقلال" "هل في كردستان قومية كردية حقيقية؟"، وأجابت: "لاستطيع أن نرد على هذا السؤال بما يقرب من الحقيقة إذا إقتصرنا على أقوال سكان الاستانة فأن الكرد المقيمين فيها أصبحوا تركاً، ونسوا جنسيتهم الاصلية وكذلك كثير من المشايخ الذين تغلبت العصبية الدينية فيهم على العصبية القومية، فلا يريدون أن يعرفوا أنفسهم الا تركاً.."⁵³⁹.

تبدو أبعاد هذه الصورة القاتمة بصورة اوضح إذا علمنا إن الاعضاء المجلس التأسيسي لم يتحملوا المذكرة المعتدلة للغاية التي قدمها ممثلوا كركوك و أربيل الى المجلس اثناء مناقشة مشكلة الموصل، والتي سبقت الاشارة اليها أيضاً، بحيث اضطر محمد شريف وهو أحد الموقعين على المذكرة، الى تقديم توضيح هذا نصه الذي تبدو فيه صورة الموقف بشكل جلي وواضح:

"أقول بكل صراحة إننا أبناء العراق الشمالي، أعني الاكراد، لانريد الانفصال عن العراق بوجه من الوجوه لان الاكراد لا يعيشون بدون العراق قطعاً، ولكننا مع ذلك لانتنازل عن طلب ما يضمن لنا حقوق الاقلية من الميزة الادارية وفق ماجاء في المادة الثالثة من المعاهدة

⁵³⁹ المصدر نفسه، جياووك الكردي، القضية الكردية، ص 67-82.

حُرُوجُكَ وَ تَوَابِعُهَا حَكْمُ التَّأْرِيخِ وَ الضَّمِيرِ 243

العراقية-البريطانية⁵⁴⁰، وهذا الموقف الحرج هو الذي دعانا الى ان نرفع الى الرئيس المحترم تقريراً نذكر فيه موقفنا تجاه المعاهدة مع بيان أسبابه الموجبة، فزجو من رفقاءنا الكرام ان لا يداخلهم الريبة في وطنيتنا، وأن لا يحملوا ماتلي عليهم في التقرير على محمل ينافي حسنيتنا مادمننا لم تخرج في هذا التقرير عن الحدود القانونية⁵⁴¹.

على الرغم من ذلك إضطر مندوب أربيل داود الحيدري أخيراً الى سحب المذكرة باسم الموقعين عليها، مع العلم أنها كانت تدعو بالاساس الى تأجيل البت في المعاهدة العراقية-البريطانية الى أن يتم تحديد مصير ولاية الموصل، الشعار الذي رفعته الكرد لانهم ربطوا معه مطلباً متواضعاً يتعلق بجزء قليل من حقوقهم المشروعة⁵⁴².

لم يمض سوى وقت قصير عاى ماحدث داخل المجلس التأسيسي حتى عهد تأليف الوزارة الجديدة الى ياسين الهاشمي في الثاني من اب 1924، ليتزامن مع عهده الذي إستمر حتى الحادي والعشرين من حزيران 1925، أهم وادق مراحل مشكلة الموصل مما كان يتطلب، دون

⁵⁴⁰ يقول نص المادة الثالثة من المعاهدة بهذا الخصوص: "يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً أساسياً ليعرض على المجلس التأسيسي العراقي، ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب أن .. يأخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق، ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة ...".

⁵⁴¹ "مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي"، ص 343-344.

⁵⁴² المصدر نفسه، ص 342-344، 354، 425، 430، 433-434.

244 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

ريب، تبني سياسة مرنة تجاه الكرد على الأقل من منظور تكتيكي صرف. وقد أعلنت الوزارة في منهاجها الذي أذاعته يوم الثامن من شهر آب سنة 1924 أنها تتخذ بصورة خاصة "التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية، وتخفيف ما أصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل". نشرت جميع صحف العاصمة نص هذا الوعد الصريح، بما في ذلك صحيفة "الاستقلال"⁵⁴³. هنا ندع التعليق على ماجرى للمتخصص الاول في تأريخ حياة ياسن الهاشمي ودوره في السياسة العراقية الدكتور سامي عبدالحافظ القيسي الذي يقول مانصه بهذا الخصوص في "دراسة وثائقية حصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في تأريخ العراق الحديث من جامعة بغداد":

"لما تسلم ياسين الهاشمي الحكم في 2 آب 1924 كان الوضع في كردستان خطيراً جداً، ولاحظ ان هناك أستياء عاماً لدى الراي العام العربي في العراق جراء تدهور الاوضاع في شمال العراق تناولته الصحافة من وجهات نظر متعددة، إلا إنها كانت متفقة على ضرورة وصنع حد له. وقد اراد ياسن الهاشمي الاستفادة من رغبة الراي العام هذه، فبينما في منهاجه الوزاري تعزيزاً لمكانة الوزارة في الاوساط الشعبية، إذ وعد الشعب بعد ستة أيام من تبوئه كرسي الوزارة بأنه سيتخذ التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية، وتخفيف ما أصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل، إلا أنه:

⁵⁴³ "الاستقلال"، العدد 417، 8 آب 1924.

كركوك و تواجدهما حكم التاريخ و الضمير 245

لم يكن مخلصاً في وعده حيث سار على سنة الوزارات التي سبقته بأستخدام العنف والقمع في علاج هذه المشكلة، ولعله كان أشد من غير في هذا الامر بحكم مسؤوليته كوزير للدفاع، إضافة الى رئاسة الوزارة. فقد شنت وزارته خلال الفترة الواقعة بين 20 و 30 آب 1924 سلسلة متواصلة من الحملات العسكرية ضد قوات الثورة الكردية، وأعقب عمليات جوية مركزة قام بها سلاح الجو البريطاني خلال النصف الاول من شهر أيلول 1924⁵⁴⁴.

إن هذه التعقيب يغني عن الخوض في تفصيلات الموضوع. ولكن من المفيد ان نشير الى ان ياسن الهاشمي نفسه لم يكن من أصل عربي رغم إدعاءات أسرته⁵⁴⁵، وان وزارته ضمت عنصراً مثقفاً، مخلصاً من الطراز الاول هو محمد رضا الشبيبي الذي عرف بميوله الديمقراطية، ومنطقه الوطني، وجرأته النادرة، إلا أنه سكت مع ذلك، سكوت من في القبور بالنسبة لما جرى للكرد فقط طوال وجوده في الوزارة الهاشمية الاولى⁵⁴⁶، في حين إنه إستقل من

⁵⁴⁴ سامي عبدالحافظ القيسي، ياسين الهاشمي و دوره في السياسة العراقية بين عامي 1922-1936، البصرة، ص 277-279.

⁵⁴⁵ للتفصيل عن ذلك ينظر في: المصدر نفسه، ص 21-23، " العراق في الوثائق البريطانية سنة 1936"، ص 78-79، مقابلة مه محمد جميل الروزباني بتاريخ 14 تموز 1994، مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتاريخ 22 تموز 1994.

⁵⁴⁶ أشرف مؤلف هذه الدراسة على رسالة ماجستير و أطروحة دكتوراه محمد رضا الشبيبي، أعدهما الدكتور علي عبد شناوة، وقد طبعت الاولى في لندن سنة 1995، والثانية في بغداد سنة 2003.

246 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

منصبه احتجاجاً على منح الوزارة أول إمتياز للنفط في العراق للشركات الأجنبية، وهو موقف يدل دون شك، على الاخلاص والجرأة والتضحية أيضاً لانه في وضع مالي صحب عندما قدمت إستقالته من الوزارة.

مست هذه المواقف عواطف الوطنيين الكرد، ومشاعرهم في الصميم، حتى إن معروف جياوك، الذي قلنا عنه قبل قليل إنه كان من أشد المتحمسين للاسلام، وللاخوة العربية-الكردية والذي دافع عن حق العراق في ولاية الموصل بحماس منقطع النظر في سلسلة مقالات عدت صحيفة "المفيد" البغدادية ما ورد فيها أمراً "يفيد البلاد، ويوطد دعائم الألفة بين جماعات وطوائفها وأفرادها"، قرر "ترك السياسة والكتابة منذ مدة لاشتداد لهجة متطرفي العرب تجاه العناصر، لاسيما العنصر الكردي"، وقد علقت "المفيد" على ذلك بالقول:؟ نحن نوكد لجياوك⁵⁴⁷، ولكل فضلاء قومه بأن الامة العربية التي رأت كيف تمزقت تركيا من جراء الضغط على عناصرها، وأجناسها لايمكن أن تنسى هاتيك الصبر والدروس البليغة.. ونحن لانسمي الذين إشتدت لهجتهم ضد العناصر، إن صح ذلك، وهو بعيد، بالمتطرفين، بل نوصمهم بالخيانة والمروق عن الوحدة والخروج على الجامعة الوطنية، ومحال أن يكون أولئك، إ، كان لهم أثر، عرباً، بل وهم أعداء للعرب، يريدون أن يحضروا بدسائسهم لهذه البلاد الناشطة الى؟؟ عزها الغابر، ومجدها الدائر، قبراً يلقونها وإستقلالها وأمانيتها

⁵⁴⁷ في النص: له.

كركوك و تواجها حكم التاريخ و الضمير 247

فيه⁵⁴⁸. ولكن للأسف الشديد قل من كان يفكر بمثل هذا المنطق السليم في صفوف القوميين العرب العراقيين يومذاك، وندر عددهم بعد ذلك ندرة الماء في الصحراء.

إنتهت اللجنة التي ألفتها عصبة الأمم للبت في مشكلة الموصل من إعداد تقريرها التاريخي في أواسط تموز سنة 1925، فقد ؟؟ الى مجلس العصبة، كما وزعته على الصحافة العالمية. ان اللجنة بعد أن درست المشكلة من جميع أوجهها بعمق أكدت في تقريرها إن الحجج الأساسية، ولاسيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف أكثرية السكان تميل لتأكيد ضم الولاية الى العراق، ولكن بشرطين أساسيين، الاول منهما أن تبقى "هذه الاراضي" تحت الانتداب البريطاني لمدة خمس وعشرين سنة "الضمان الاستقرار فيها"، والثاني أن تؤخذ رغبات الاكراد بنظر الاعتبار⁵⁴⁹، الشرطان اللذان أكدهما مجلس العصبة عندما إتخذ قراره الذي يقضي بضم الولاية الى العراق في السادس عشر من كانون الاول من العام نفسه، ليتحول ذلك الى وثيقة دولية جديدة ملزمة بالنسبة لحقوق الكرد القومية في العراق، بما في ذلك كرد كركوك وتواجها.

⁵⁴⁸ "المفيد"، العدد 165، 8 آب 1925، جياووك الكردي، القضية الكردية، ص26.

⁵⁴⁹ League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq، PP.88-89.

248 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

أعلنت الحكومتان البريطانية و العراقية رسمياً عن التزامهما بالشرط المذكورين بصورة مطلقة⁵⁵⁰. فبالنسبة للشرط المتعلق بحقوق الكرد أعدت السلطات البريطانية في العراق بالتعاون مع السلطات المحلية مذكرة خاصة تضمنت حقائق معينة عن إدارة المناطق الكردية مع نص خطاب رئيس الوزراء أمام مجلس النواب في احادي والعشرين من كانون الثاني 1926, الذي أكد فيه ضرورة منح الكرد حقوقهم القومية, ألحقتها بالمذكرة التي قدمتها للعصبة بخصوص تمديد المعاهدة العراقية-البريطانية⁵⁵¹. في ضوء ذلك وافق مجلس العصبة يوم الحادي عشر من آذار 1926 على مشروع قرار جديد يعلن فيه "ان قراره المؤرخ في السادس عشر من كانون الاول 1925 أصبح نهائياً". أرسل المجلس, في الوقت نفسه, المذكرة البريطانية المتعلقة بأدارة المناطق الكردية الى لجنة الانتداب التابعة للعصبة لمراقبة تنفيذ التعهدات المتعلقة بحقوق الكرد القومية في العراق, الموضوع الذي غدا يؤلف ركناً أساسياً في التقارير اللاحقة التي كانت الحكومة البريطانية تقدمها الى عصبة الامم عن سير

⁵⁵⁰ Surrey of International Affairs, 1925', PP. 520-521.

⁵⁵¹ League of Nations. Frontier between Turkey and Iraq. Treaty between Great Britain and Iraq signed at Baghdad on January 13th 1926', Genera, 1926

كركوك و توابعها حكم التاريخ و الضمير 249

الادارة في العراق, وبقيت كركوك تحتل نفس موقعها السابق في ذلك الركن المخصص للقضية الكردية⁵⁵².

بينما ان "عواطف أكثرية سكان" ولاية الموصل كانت تؤلف أحد أهم العوامل الحاسمة في تقرير مصير الولاية لصالح العراق, وأشرنا ضمن المبحث العديد من الحقائق التي تبين إن تلك الحقيقة تنطبق بالدرجة الأولى على كرد الولاية, بضمنهم كرد كركوك و توابعها. ومن أجل أن تبدو هذه الحقيقة في إطارها الواقعي المقنع نضيف الى ما ذكرناه حتى الان من شواهد حقيقة مهمة أخرى هي إن لجنة العصابة "قد فوجئت إذ وجدت إن عدد العرب المؤيدين لتركيا (في الموصل) كبير- فمن بين 188 شاهداً أيد 53 تركيا و 102 العراق..⁵⁵³.

كان من المفروض أن يتحول هذا الموقف الى دفع قوي, وثابت لحل مشكلة الكردية في العراق على أسس ديمقراطية باتجاه "يؤثر على بقية الكرد" و يفضي الى "ضمان تحقيق السلام في هذا الجزء من العالم" كما تمنى ذلك أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني⁵⁵⁴. لكن ذلك لم يحدث للأسف, الأمر الذي نلاحظ بعض جوانبه من خلال

⁵⁵² ينظر على سبيل المثال موضوع الاكراد في: " Special Report by His Majesty's Government... to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931", PP.251-266.
⁵⁵³ الدكتور فاضل حسين, مشكلة الموصل, الطبعة الاولى, ص 122.
⁵⁵⁴ "The Parliamentary Debates.The House of Commons", Officio Report, Fifth Series, Vol.189, 1924-1925, Col.2102.

250 دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

التطرق الى التطورات السياسية في المنطقة الكردية بعد حل مشكلة
الموصل, وفي إطار علاقتها الجدلية بكركوك وتابعها.